



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عشر  
عليه  
ص

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

مقدمة

وقدحات إيمانية بين القرآن والسنة النبوية

16

الكتاب المجمع

# الاقتصاد والاجتماع

المكتبة العلمية  
سنة 1430 هـ



مكتبة دار الفکر  
دار الكتب العلمية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الإقتصاد و الإجتماع

كاتب:

خالد فائق العبيدى

نشرت فى الطباعة:

دارالكتب العلميه

رقمى الناشر:

مركز القائميه باصفهان للتحريات الكمبيوترية

## الفهرس

٥	الفهرس
١٢	الإقتصاد و الإجتماع
١٢	اشارة
١٢	مقدمة
١٤	الفصل الأول نظرة عامة
١٤	مقاصد الشريعة:
١٤	اشارة
١٥	١. الضروريات:
١٥	٢. الحاجيات:
١٥	٣. التحسينيات:
١٨	الفصل الثاني الاقتصاد فى الإسلام
٢٢	الفصل الثالث النظام الاجتماعى الإسلامى
٢٢	اشارة
٢٢	١. حرمة الدم و حفظ حق الحياة:
٢٢	٢. حرمة العرض فسان للفرد حق الكرامة:
٢٢	٣. حرمة المال و حق التملك:
٢٣	٤. حرمة البيوت و حق الاستقلال الشخصى:
٢٣	٥. حرية رأى و الفكر و الاعتقاد و التعبير:
٢٣	٦. حق المعارضة و النصيحة:
٢٣	٧. حق القضاء و القصاص العدل:
٢٣	٨. حق التعلم حتى وقت الحرب:
٢٣	٩. حق العمل «١»:
٢٥	١٠. حق التجمع لعمل الخير و نبذ التجمع للشر:

١١. ثبت حقوق الزواج و المرأة و الميراث و نظام الأسرة: ..... ٢٥
- منزلة المرأة و الأسرة في الإسلام: ..... ٢٦
- معنى القوامة في الإسلام: ..... ٣٠
- الحقائق العلمية بنفى المساواة المطلقة: ..... ٣٣
- منزلة الوالدين في الإسلام: ..... ٤١
- الفصل الرابع بعض دلائل الرقى في السلوك الاجتماعي في الإسلام ..... ٤٢
- الملحق تاريخ التشريع الإسلامي ..... ٥٠
- اشارة ..... ٥٠
- التشريع الإسلامي: ..... ٥٠
- أدوار تاريخ التشريع الإسلامي ..... ٥٠
- مصادر التشريع الإسلامي: ..... ٥١
- اشارة ..... ٥١
١. القرآن الكريم: ..... ٥١
٢. السنة النبوية: ..... ٥١
٣. الإجماع: ..... ٥١
٤. القياس: ..... ٥٢
- ضرورة التزام الفقه الإسلامي، و التمسك بأحكامه: ..... ٥٢
- اشارة ..... ٥٢
- ١- الدور الأول: التشريع في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم الكتاب و السنة: ..... ٥٣
- اشارة ..... ٥٣
- ١- القرآن الكريم: ..... ٥٣
- أ- تعريفه: ..... ٥٣
- ب- الفرق بينه و بين الحديث النبوي و الحديث القدسي: ..... ٥٣
- ج- نزول القرآن الكريم «١»: ..... ٥٤

- ٥٤ ..... اشارة
- ٥٥ ..... الحكمة من نزوله منجما: .....
- ٥٥ ..... د- نزول القرآن على سبعة أحرف: .....
- ٥٥ ..... اشارة
- ٥٧ ..... حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف: .....
- ٥٨ ..... ه- جمع القرآن و ترتيبه: .....
- ٥٨ ..... اشارة
- ٥٨ ..... ١- جمع القرآن بمعنى حفظه على عهد النبي صلى الله عليه و سلم: .....
- ٥٩ ..... ٢- ترتيب الآيات و السور: .....
- ٥٩ ..... ٢- تاريخ الحديث النبوى: .....
- ٥٩ ..... كتابة الحديث فى عهد النبي صلى الله عليه و سلم: .....
- ٦٠ ..... ٢- الدور الثانى: التشريع فى عصر كبار الصحابة .....
- ٦٠ ..... الكتاب و السنة فى الدور الثانى: .....
- ٦٠ ..... اشارة
- ٦٠ ..... أ- القرآن الكريم فى عهد أبى بكر رضى الله عنه .....
- ٦١ ..... ب- جمع القرآن فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه .....
- ٦١ ..... اشارة
- ٦٢ ..... رسم القرآن: .....
- ٦٣ ..... تحسين الرسم العثمانى: .....
- ٦٣ ..... ضوابط القراءة الصحيحة: .....
- ٦٤ ..... عناية العلماء بالمكى و المدنى: .....
- ٦٤ ..... الفرق بين المكى و المدنى: .....
- ٦٤ ..... أهمية معرفة المكى و المدنى: .....
- ٦٤ ..... ١- الاستعانة بها فى تفسير القرآن: .....

- ٢- معرفة الناسخ و المنسوخ من الآيات: ..... ٦٤
- الحديث فى عهد الصحابة رضى الله عنهم: ..... ٦٤
- اشارة ..... ٦٥
- عوامل حفظ الصحابة للحديث: ..... ٦٥
- قوانين الرواية فى عهد الصحابة: ..... ٦٥
- فقه الصحابة: ..... ٦٦
- ٣- الدور الثالث: التشريع فى عهد صغار الصحابة و التابعين ..... ٧٢
- اشارة ..... ٧٢
- مميزات و خصائص هذا الدور: ..... ٧٢
- نبذة عامة بمصطلح الحديث: ..... ٧٣
- اشارة ..... ٧٣
- تعريف الحديث: ..... ٧٤
- أهم مراتب الحديث من حيث القوة و الضعف: ..... ٧٤
- علم الجرح و التعديل: ..... ٧٥
- أهم كتب الرواية فى القرنين الثانى و الثالث هجرى: ..... ٧٥
- ١- موطأ مالك: ..... ٧٥
- ٢- مسند الإمام أحمد: ..... ٧٦
- ٣- صحيح البخارى: ..... ٧٦
- ٤- صحيح مسلم: ..... ٧٦
- ٥- سنن أبى داود: ..... ٧٧
- ٦- جامع الترمذى: ..... ٧٧
- ٧- سنن التستائى: ..... ٧٧
- ٨- سنن ابن ماجه: ..... ٧٧
- ٤- الدور الرابع من تاريخ التشريع الإسلامى: عصر الأئمة ..... ٧٨



- ٧٨ ..... اشارة
- ٧٨ ..... أولا: ترجمة الإمام الأكبر أبي حنيفة النعمان رضى الله تعالى عنه و أرضاه: .....
- ٧٨ ..... بشاره النبي صلى الله عليه و سلم به: .....
- ٧٨ ..... حرصه على الكسب الحلال: .....
- ٧٩ ..... حرصه على مظهره: .....
- ٧٩ ..... طلبه للعلم: .....
- ٧٩ ..... ولعه بالفقه الفرضي: .....
- ٨٠ ..... فتنته مع أبي هبيرة: .....
- ٨٠ ..... منهج أبي حنيفة العلمي: .....
- ٨١ ..... تأديبه لتلميذه أبي يوسف: .....
- ٨١ ..... موقفه من آل بيت النبي صلى الله عليه و سلم: .....
- ٨٣ ..... أهم مؤلفاته: .....
- ٨٣ ..... أقوال معاصريه فيه: .....
- ٨٥ ..... ورعه و تقواه و عبادته لله تعالى: .....
- ٨٥ ..... عرض القضاء عليه و وفاته: .....
- ٨٥ ..... ٢- ترجمة الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه: .....
- ٨٥ ..... بشاره النبي صلى الله عليه و سلم به: .....
- ٨٦ ..... ميلاده و نسبه و نشأته و طلبه للعلم: .....
- ٨٧ ..... تفوقه العلمي و جلوسه للفتيا: .....
- ٨٧ ..... ورعه و تخوفه من الفتوى: .....
- ٨٨ ..... الأجواء التي كانت سائدة في عصره و علاقته بالخلفاء: .....
- ٨٩ ..... علم الإمام مالك و أقوال بعض العلماء فيه: .....
- ٨٩ ..... أهم مؤلفاته: الموطأ: .....
- ٩٠ ..... منهجه العلمي: .....

- ٩٠ ..... أصوله الاجتهادية:-----
- ٩٢ ..... قاعدة: المعروف عرفا كالمشروط شرطا .....
- ٩٣ ..... قاعدة: إن النص يهيمن على العرف و لا يهيمن العرف على النص. ....
- ٩٣ ..... أسباب انتشار مذهب الإمام مالك: .....
- ٩٤ ..... من أقواله: .....
- ٩٥ ..... ٣- ترجمة الإمام الشافعي رضى الله عنه: .....
- ٩٥ ..... بشاره النبي صلى الله عليه و سلم به: .....
- ٩٥ ..... اسمه و نسبه و تاريخ ميلاده: .....
- ٩٥ ..... تحصيله و طلبه للعلم: .....
- ٩٧ ..... اتهامه بخيانة الخلافة العباسية: .....
- ٩٨ ..... موقف الشافعي من الإمامة و الخلافة: .....
- ٩٨ ..... إقامته فى العراق: .....
- ٩٩ ..... تأليفه لكتابه "الرساله" و أهميته: .....
- ١٠٠ ..... عودة الشافعي إلى العراق: .....
- ١٠١ ..... أسفاره و زيارته مصر: .....
- ١٠٢ ..... لقاءه السيدة نفيسة و أحذه عنها العلم: .....
- ١٠٢ ..... تدريسه و تأليفه لكتابه "الأم": .....
- ١٠٢ ..... أدب الشافعي مع مخالفى مذهبه و عدم تعصبه: .....
- ١٠٣ ..... علم أصول الفقه و تعريفه: .....
- ١٠٤ ..... منهج الشافعي العلمى: .....
- ١٠٥ ..... من عباداته و نوافله: .....
- ١٠٥ ..... مرضه و وفاته: .....
- ١٠٥ ..... من وصاياه و أقواله: .....
- ١٠٦ ..... ٤- ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه .....

- ١٠٦ ..... اشارة
- ١٠٦ ..... مولده و نسبه:
- ١٠٦ ..... طلبه للعلم:
- ١٠٧ ..... حجة بيت الله الحرام:
- ١٠٧ ..... ورعه و تقواه و تعففه:
- ١٠٧ ..... منهجه العلمى و مميزات فقهه:
- ١٠٨ ..... رفضه للفتوى فى أول حياته:
- ١٠٨ ..... شدة حرصه و أسلوبه فى التدريس:
- ١٠٩ ..... محنته العظيمة:
- ١١٠ ..... موقفه من الحكم و الدولة:
- ١١٠ ..... مسند الإمام أحمد:
- ١١١ ..... أعمال للمؤلف
- ١١٢ ..... مشاريع كتب للمؤلف
- ١١٢ ..... فهرس المحتويات
- ١١٢ ..... تعريف المركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

## الإقتصاد و الإجتماع

## إشارة

نام كتاب: الإقتصاد و الإجتماع نويسنده: خالد فائق العبيدى موضوع: اعجاز علمى تاريخ وفات مؤلف: معاصر زبان: عربى تعداد جلد: ١ ناشر: دارالكتب العلميه مكان چاپ: بيروت سال چاپ: ١٤٢٦ / ٢٠٠٥ نوبت چاپ: اول

## مقدمه

مقدمه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أفضل و أشرف رسله و أنبيائه سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، و على آله و صحبه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، و بعد. لقاؤنا يتجدد معكم للمرة الثانية عشرة فى سلسلتنا (ومضات إعجازية)، و سنتعرض فى هذا الكتاب إلى روعه و سبق القرآن الكريم فى مجال غايه فى الأهمية، و هو علوم بناء الأفراد و الأسر و المجتمعات بناء هادفا متأنيا مازجا بين الروح و المادة. لم يعرف العالم نظاما اقتصاديا و اجتماعيا عادلا يضمن للجميع حقوقهم دون غصب أو تمييز بين عرق أو دين أو انتساب مثل النظام الاقتصادى و الاجتماعى الإسلامى، هذا النظام العظيم الذى وصل حدا يضرب به المثل فى التاريخ البشرى فى العدالة و المثالية، كما هو الحال فى عهد سيدنا عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه الذى لم يبق فردا واحدا من أفراد الأمة الإسلاميه المتراميه الأطراف يدخل ضمن إطار الفقراء، فالكل دون استثناء مكثف و مرتاح، هذا فى الصدر الأول من عصر الرسالة الإسلاميه، و هذا ما يؤكد عظمة التشريع الإسلامى للاقتصاد و أحوال المال من الزكاه و الصدقات و التدابير الاقتصاديه الإسلاميه العظيمه الأخرى التى تحتاج إلى مجلدات كثيره و هذا يترك لأهل الاختصاص ... أما فى عصرنا هذا فإن النظام الاقتصادى و الاجتماعى الإسلامى الذى طبق فى السويد باقتراح من أولف بالمه نهاية العقد الثمانينى و بداية العقد التسعينى من القرن العشرين قد أنقذها من هاويه اقتصاديه و اجتماعيه مرعبه. لقد سبق التشريع الإسلامى كل الشعارات و الثورات و المؤسسات الداعيه لذلك كالثورة الفرنسيه و منظمه الأمم المتحده و منظمه حقوق الإنسان و الدعوات المتعلقة بمحاربه التمييز العنصرى بدءا من حقوق الإنسان، و عداله توزيع الثروات، و حريه العقيدة و الفكر السامى غير المبتذل، و تطبيق مبدأ القانون فوق السلطه، و احترام العهود و المواثيق مع الصديق و العدو، و سماع و احترام الرأى الآخر .. لكن الفرق الرئيس بينهما رغم تقدم الأول أى الإسلام على الثانى أى الدعوات الحديثه هو أن الأول دعى و طبق فملا الدنيا عدلا للإقتصاد و الاجتماع، ص: ٤ و رحمه لأن الإسلام جاء لتحقيق هذا الغرض، أما الثانى فدخلت فيه المصالح الضيقه للنفس البشريه و مطامعها فلم يطبق و لم يعدل و إنما كانت شعارات فقط أو تطبيق رمزى بأحسن الأحوال. و القصص فى عدل الإسلام الذى لم يشهد تاريخ البشريه مثله أكثر من أن تذكر، فهذا سيدنا الصديق رضى الله عنه، الرجل عند المواقف، الذى يهابه الجبال من الرجال، و أى رجال، إنهم الصحابه رضوان الله تعالى عنهم، يذهب يوميا، فيما يروى سيدنا عمر رضى الله عنه، بعد صلاة الفجر و إكمال الورد بالذكر حتى طلوع الفجر إلى مكان جعل الصحابه يسألون عنه، حتى يقول سيدنا عمر: هممت يوما أن أتبعه بعد شروق الشمس و خروجه من المسجد لأعرف الخبر و أستقصى الأمر، فاتبعته و وجدته دخل بيتا فى طرف المدينه، فإذا هو بيت امرأه عجوز لا عائل لها، فدخلت عليها و سألتها عن أحوالها فقالت: لو لا هذا الشيخ الذى يأتينا يوميا لإنجاز عمل البيت من إعداد الطعام و التنظيف لكان حالنا بأتعس حال، فقال لها الفاروق أ تعرفين من هو قالت لا. و كان سيدنا عمر رضى الله عنه كلما يذكر القصه بعد توليه أمر المسلمين يجلس و يضع يده على وجهه قائلا: أتعبت الخلفاء من بعدك يا أبا بكر .. و ها هو الفاروق عمر رضى الله عنه فى تطبيق العدالة و الاقتصاد من الظالم و إن كان مسئولاً مع القبطى الذى ظلمه ابن عمرو بن العاص - ابن الأكرمين - بضربه بالسوط على رأسه عقب سباق بينهما، و قوله المأثور و المشهور لأبيه عمرو بن العاص و الى مصر (متى استعبدتم الناس و قد خلقتهم أمهاتهم أحرارا) إلا دليلا بسيطا عن العدل الذى ساد الأرض و أممها إبان الحكم الإسلامى

بعد الجور و الظلم الذى عانتة من قبل الحكم الفارسى و الرومانى و الحبشى قبل ذلك. و عدل سيدنا عثمان رضى الله عنه مع رعيته و قبوله للنقد خلال الفتنة يسجل بأحرف من نور ... و من بعده سيدنا على عليه الرضوان و السلام مع اليهودى فى قصة الدرع، و مع غيره من الرعية تبين عظمة هذه الأمة. و ما كل ذلك إلا إخراج للناس من الظلم الذى وقع بهم جراء تسلط الأشراف و الرؤساء و الأكابر عليهم و عدم الاقتصاص منهم إذا أخطوا، و هو ما شخّصه الرسول الأكرم صلى الله عليه و سلم بقوله فى الحديث الذى أخرجه الإمام مسلم (الحدود ٣١٩٦) عن عروة عن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٥ عائشة أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التى سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالوا و من يجترئ عليه إلا أسامه حب رسول الله صلى الله عليه و سلم فكلمه أسامه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (أتشفع فى حد من حدود الله)، ثم قام فاختطب فقال: (أيها الناس إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه و إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد و أيم الله لو أن فاطمة بنت محمّد سرقت لقطعت يدها). و ما ذلك إلا تحقيق لأوامر الله و رسوله فى القضاء و العدل الاجتماعى و الإقتصادى الذى سنحاول جاهدين فى هذا الكتاب من سلسلتنا أن نطرق بعض أبوابه الواسعة. تكثر هذه الأيام عقد الندوات و المؤتمرات فى كل دول العالم لأجل نيل المرأة كافة حقوقها و تمام استقلالها من نير احتلال الرجل تارة، و لأجل تشريع زواج الجنس الواحد تارة أخرى، و لأجل إعطاء أهل البغاء حقوقهم الكاملة و تشريع مهنتهم السامية تارة ثالثة، و هلم جري .. و عجا و حسرة على العباد، فلا يتركون حالة تشيع معها الفوضى الفكرية و التخبط الاجتماعى و الانحطاط الخلقى إلا و طرقوها بدعوى الحرية و المساواة و الديمقراطية، بينما يذبح البشر جوعا و قتلا و حصارا فترمل النساء و يسبى أو ييتم الأطفال تحت شعارات شتى، و ترمى آلاف الأطنان من القمح و الزبد و اللحم فى البحر لثلا يؤثر ذلك على اقتصاد الأغنياء بينما يتضور الفقراء جوعا، و لا- من مجيب أو سامع أنات الملايين من البشر ... و بأحسن الأحوال تجتمع الوفود، فى فنادق السعود، لتنفق النقود، و تكتب العهود، و يبقى الحال على ما هو عليه .. أية عدالة لنظام عالمى جديد أعمى تلك التى يعدنا بها من يسمون أنفسهم أهل التحضر و العدالة و الديمقراطية؟! الحق أيها الأخوة أن الذى يريد أن يصلح و يصدق النية فى ذلك من الساسة و الحكام يستطيع الإصلاح، لأن توافر النوايا و الإمكانيات و التعاضد بين أمم البشر موجود، لكن المشكلة أنه حتى الذين يريدون الإصلاح تاهوا فى زحمة أهل المصالح الضيقة و النوايا الخبيثة الذين يخلطون الخبيث بالطيب، فيتكلمون بكلمة الحق و يريدون بها الباطل .. و الحق أن البشر يجرب ليفشل فيكرر التجربة بعناد أشد و كبر أعلى نحو أوامر خالقه، الذى يعلم خيره فىأمره باتباعه و يعلم شره فيجنبه الخوض فيه. و ما يحصل اليوم من تخبط للبشرية و انتشار الفقر و الأمراض التى لم يعهدها بنو الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٦ البشر من قبل كالأيدز و السارس و جنون البقر و أنفلونزا الطيور، و كذلك التلوث البيئى و فتحة الأوزون و ظاهرة الاحتباس الحرارى و ما تبعها من زيادة حرارة الأرض، و تدمير الكوكب بتغيير مستمر فى بنيتة البيئية بحجة التطور و الحاجة للصنيع، و انتشار الفوضى العارمة جراء العولمة فى كل العالم، و كثرة القتل بالحروب الفتاكة و الحصارات المهلكة، و انتشار الكوارث الطبيعية جراء كل ذلك من زلازل و براكين و فيضانات و تصحر و جفاف و حرائق و أعاصير و خسف الأرض و غير ذلك، إلا صور بسيطة لنتائج التدخل العشوائى و غير المنتظم للبشر و تلاعبهم بمصيرهم ليقودوه إلى هاوية سحيقة من حيث لا يشعرون، و ما خفى كان أعظم!. أما الإسلام الذى تنبأ بحصول كل هذه الفوضى فى العالم فى آخر الزمان «١» فإنه جاد فى إحلال الخير لكل البشرية، فلا- يبحث عن تجربة و خطأ، إنما هو إرشاد الخالق لخير المخلوق، فأعطى الإسلام لكل ذى حق حقه، و حرّم الظلم بكل أنواعه و على كل المخلوقات حتى الحيوان و الجماد .. و ها هو العلم يثبت يوميا صحته و دقة الأوامر الإسلامية فى التشريعات سواء أ كانت للأحوال الشخصية، أو للجناح و الجرائم، أو للعلاقات الخاصة و العامة بين الكتل البشرية من الأسرة إلى الجيرة إلى المحلة فالمدينة فالدولة، و انتهاء بعلاقات الأمم ببعضها سلما و حربا. و لكن البشر رغم كل الأدلة يعاندون و يكابرون لا لشيء إلا لأنهم إذا ما أقروا بأحقية التشريع الإسلامى فإن بضاعتهم ستبور، و تفسد دعاوهم الباطلة و تخسر تجارتهم الفكرية العقيمة، فتكون الضربة القاضية لأتباع إبليس من الإنس و الجن، و هذا بالطبع لن يتحقق لأن للجنة أهلها و للنار أهلها، و ستستمر المعركة بين جند الله و جند

إبليس حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا مصداقا لقوله تعالى: وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ ائْتَبْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)، (البقرة: ١٤٥) ... وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا

(١) راجع حديث (خمس بخمس) فى كتاب الطب (الكتاب التاسع من هذه السلسلة)، و كذلك الأحاديث فى الكتاب القادم من هذه السلسلة عن مواصفات ما سيحصل فى آخر الزمان. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٧ وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٤)، (النمل: ١٤) .. أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ (٧٠) وَ لَوْ ائْتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ (٧١)، (المؤمنون). المشكلة أن الأهواء و الشهوات بكافة أشكالها هى التى تحكم البشر و لو أنهم قدروا الله حق قدره و عرفهم مع من يتعاملون، لما تجزأ أحد على الاعتراض على أوامر الله و تشريعاته، و لكن الله تعالى رءوف بالناس على ظلمهم رغم كونه سبحانه غنى عنهم و هم من يحتاج إليه فى كل الأحوال: وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧)، (النساء: ٢٧) .. فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥٠)، (القصص: ٥٠) .. أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَ اضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَ خَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَ قَلْبِهِ وَ جَعَلَ عَلَى بَصِيرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (٢٣)، (الجاثية: ٢٣). على أن التشريع الخفيف أعطى فسحا عظيمة فى جنبااته لاستيعاب المتغيرات التى تطرأ على المجتمع، لكن الأصل هو الحفاظ على إنسانية البشر و كرامتهم و حرية أفكارهم و حرمة دمائهم و أعراضهم و أموالهم، فلا- تجارة بجمال المرأة و جسدها، و لا أموال تزداد بربا يسحق الأغلبية المحرومة، و لا اعتداء على أهل ذمة أو عقيدة مخالفة، و لا قبول بأى جنس عمل يحول البشر الذين خلق الكون من أجلهم إلى مجرد آلات تستغل لرفع نفر قليل و سحق أمم بأكملها. هذا الكتاب يبين لكل من يريد أن يستبين أن أى تشريع جاء به الإسلام كان لسبب مصلحى فى الصحة و الإقتصاد و الاجتماع، و لكل البشر دون استثناء و دون تمايز بين الرجل و المرأة، الأسود و الأبيض، العربى و الأعمى، إلا بالاستحقاق الذى تقتضيه المصلحة العامة و بما شرعه الله تعالى الخالق الكامل العالم بكل خفايا مخلوقاته لمصلحة المخلوق الناقص مهما علا علمه، و الله غالب على أمره و لكن أكثر الناس لا يعلمون ... الإقتصاد و الاجتماع، ص: ٨ و سنفرد فى نهاية الكتاب ملحق بتاريخ التشريع الإسلامى. إن هذه الدنيا التى نعيش فيها لهى بحق اسم على مسمى، فهى حياة دنيا لا قرار فيها و لا- ثبات لأى شىء و ديدنها التغيير و التبديل من حال إلى حال .. بل هى طريق إلى حياة أخرى أهم و أبقى- هى حياة البقاء و الاستقرار أو الدار الآخرة- فما نزرعه فى حياتنا الدنيا نحصده هناك فى ذلك العالم الذى ينتظرنا فى عالم غيب الله تعالى، عند ملك الملوك، المليك المقدر، هناك حيث لا- أحد يظلم فتيلًا، فيما رضا و ثواب، و إما سحق و عقاب .. إما إلى نار و إما إلى جنه.

الإقتصاد و الاجتماع، ص: ٩

## الفصل الأول نظرة عامة

### مقاصد الشريعة:

#### إشارة

مقاصد الشريعة: لفظ الشريعة فى أصل الاستعمال اللغوى الماء الذى يرد الشاربون، و هى فى نفس الوقت طريق و منهاج و منبع يرتوى منه، ثم نقل هذا اللفظ إلى معنى الطريقة المستقيمة التى يفيد منها المتمسكون بها هداية و توفيقا «١». أما الشريعة فقها فهى ما يختص بالأوامر و النواهى و الإرشادات التى وجهها الله تعالى إلى عباده ليكونوا مؤمنين صالحين عاملين، سواء أ كانت متعلقة بالأفعال أم بالعقائد أم بالأخلاق، و ذلك لأنها محكمة مستقيمة و لأنها الطريق إلى حياة النفوس و ارتواء العقول. و نفوس البشر مجبولة على

الأثرة و عدم الانضباط و حب الذات، فالناس بحاجة إلى تشريع ينظم علاقاتهم و يحد من أنانيتهم و يمنعهم من العشوائية و عدم الانضباط فى السلوك و التصرفات، و إلا- كان الأمر فوضى بينهم، و الفرد فى المجتمع يرغب فى إيجاد نظام يحدد له الحدود و الواجبات فى المجتمع الذى يعيش فيه. و حيث إن البشر لا يستقرون على ضابط واحد يضبطهم لفترة زمنية معينة، فهم دائمو التغيير فى الفكر و المنطق و المعتقد بحسب مراحل الحياة التى يعيشون و نوع البيئة المحيطة و عوامل أخرى عديدة، من أجل ذلك كانت الشرائع السماوية رحمة بالعباد و فصلا بينهم فيما يختلفون أنزلها خالقهم كى يبين لهم أفضل السبل لفض هذه الاختلافات و النزاعات فضلا عن تنظيمها لعلاقات الناس بربهم و خالقهم كى يتوجهوا له بالحمد و الشكر و العرفان بجميل النعم، فالتشريع الإلهى عدل من الله تعالى و رحمة لعباده «٢». تهدف الشرائع السماوية عامة و شريعة الإسلام بوجه خاص إلى تحقيق مصالح

(١) الشريعة الإسلامية و مكانة

المصلحة فيها، القاضى فاضل دولان، ص ٣٦، و انظر (بين الفقه و القانون)، للأستاذ عبد الهادى أبو طالب، ص ٧. (٢) الشريعة الإسلامية و مكانة المصلحة فيها، القاضى فاضل دولان، ص ٣٦-٣٧ بتصرف. و انظر مدخل الفقه الإسلامى، للدكتور محمد سلام المذكور، ص ١١ و ما بعدها. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٠ العباد و حفظها و منع الضرر عنهم، إلا أن هذه المصالح ليست هى ما يراه الإنسان مصلحة له و نفعاً حسب هواه و رغبته، إنما المصلحة ما كانت مصلحة فى ميزان الشرع الذى شرعه خالق الإنسان و الكون معا فهو سبحانه مسبب أسبابه و أصل وجوده، و هو سبحانه القيوم- أى القائم- على ديمومة هذا الكون و هذا الإنسان حتى ينتهى العالم بإذنه، و هو سبحانه الوحيد الذى أحاط بكل شىء علماً، و من دواعى و متطلبات هذه القويمية و هذه الإحاطة أن يحدد الأطر و القوانين و النواميس التى يمشى بها هذا الكون بشكل صحيح سواء أ كان فى المادة أو الروح، فيعرف تبعاً لذلك أن الأمر الفلانى مناسب للإنسان باستخدام الأسلوب الفلانى و هكذا.. و يقسم العلماء مقاصد الشريعة هذه إلى ثلاثة أقسام و هى حسب الأهمية و الأولوية:

### ١. الضروريات:

١. الضروريات: و معناها أنها لا بدّ منها فى قيام مصالح الدين و الدنيا بحيث إذا فقدت لم تجر مصالح الدين و الدنيا على استقامة، بل فساد و تهاجر و فوت حياة، و فى الآخرة فوت النجاة و النعيم و الرجوع بالخسران المبين. و هذه الضروريات هى خمس، حفظ الدين و النفس و العقل و النسل و المال. و الحفظ يكون بأمرين فأما أحدهما فهو ما يقيم أركانها و يثبت قواعدها و هو عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود، و أما الثانى فهو ما يدرأ عنها الاختلال و يحافظ عليها من كل ما يمكن أن يؤثر عليها أو يقوضها.

### ٢. الحاجيات:

٢. الحاجيات: و معناها أنها مفترق إليها من حيث التوسعة و رفع الضيق المؤدى فى الغالب إلى الحرج و المشقة اللاحقة بفوت المطلوب، فإذا لم تراع دخل على المكلفين الحرج و المشقة، و لكنه لا- يبلغ مبلغ الفساد العادى المتوقع فى المصالح العامة و هى جارية فى العبادات و العادات و المعاملات.

### ٣. التحسينات:

٣. التحسينات: و هى الأخذ بما يليق من محاسن العادات و تجنب الأحوال المندسات التى تأنفها العقول الراجحات، فهى التى تجعل أحوال الناس تجرى على مقتضى الآداب العالية و الخلق القويم. فإذا فاتت لا يختل نظام الحياة و لا يلحق الناس المشقة و الحرج، و لكن تصير حياتهم على خلاف ما تقتضيه المروءة و مكارم الأخلاق و الفطرة السليمة. و لكل من هذه الأقسام الثلاثة مكملات و هذه

بالتأكيد ليست على مرتبة واحدة، الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١١ وقد نتجت عن هذه المصالح الثلاثة و مكملاتها عدة قواعد فقهية استنبطها الفقهاء (١). إذن أول مقاصد الشريعة و أهمها هو الضروريات بأقسامها الخمسة، و أهم هذه الأقسام هو حفظ الدين و من ثم النفس و العقل للكائن البشرى الذى هو أهم مخلوق فى هذا الكون بل خلق الكون لأجله، فجعل الله تعالى كل ما فى الكون من أمور عظيمة لا يجدها إلا مكابر مسخر بأمره لأجل خدمته هذا المخلوق. و من ثم أنزل الكتب و أرسل الرسل ليينوا للناس على مر الأجيال حقيقة و سبب وجودهم، و حذروهم من مغبة انقيادهم وراء ما خلق لأجلهم و ترك ما هو أهم ألا و هو ما خلقوا من أجله (٢). تتميز تنظيمات الله تعالى بسلامتها من أى غرض و ميل إلى الهوى و تفضيل لبشر على بشر فى لون أو نسب أو جنس، فالخلق عند الله تعالى سواء، بالإضافة إلى نفوذ علمه و إحاطته بجميع خلقه. و الناس لو سلمت تنظيماتهم الوضعية من الهوى و الغرض فهى لم تسلم من النقص و العوج و الزيف، بدليل تناقض أحكامهم، بل إن الشخص الواحد يناقض نفسه فينقض اليوم ما أبرمه بالأمس. و يؤكد أهل الشريعة الإسلامية أن هذه الشريعة تعتبر أساسا و مصدرا لكل تشريع لأنها شمولية أى شاملة للجنس البشرى لأى جيل فى كل زمان و المكان بحيث لا- يمكن أن تقوم مقامها شرعة أخرى لشمولها الأصول و الفروع و الظاهر و الباطن، فهى الحق و هى العدل و هى المصلحة و حيثما كان الحق و العدل و المصلحة فتم شرع الله تعالى، و أنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب و مهيمنا عليه فأحكم بينهم بما أنزل الله و لا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شذرة و منهاجا و لو شاء الله لجعلكم أمم و امة واحدة و لكن لئلا تعلمكم فى ما آتاكم فاستيقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون (٤٨)، (المائدة: ٤٨) .. ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها و لا تتبع أهواء الذين لا يعلمون (١٨)، (الجاثية: ١٨). و الأحكام التى تناولها الشرع الإسلامى ثلاث: الأحكام الاعتقادية، و الأحكام

(١) الإسلام و التنمية البشرية، الدكتور

أسامة عبد المجيد العانى، ص ٩-١٤ بتصرف. (٢) انظر كتابنا (القرآن منهل العلوم)، إصدار الجامعة الإسلامية، بغداد، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٢ الخلقية، و الأحكام العملية. و هذه الأنواع الثلاثة تشمل جميع أنواع تنظيم العلاقات من عبادات و حقوق و واجبات و أخلاق و تعاملات و أقوال و أفعال و تصرفات بين الإنسان و ربه، نفسه، أهله، جنسه، بيئته فى الأرض و الكون، و كل ما يحفظ حقوق الجميع بما يحفظ لكل ذى حق حقه، و ما ينجى الكائن البشرى فى دنياه و آخرته. فحدد الإسلام العبادات التى يتقرب بها الإنسان من ربه عز و جل من صلاة و صيام و زكاة و حج، و تناول أحكام المعاملات بين الناس، فنظم العقود و حدد أحكامها كعقد الإيجار و الرهن و ما إلى ذلك، و تناول أحكام و مسائل الأحوال الشخصية و شئون الزواج و تنظيم شئون الأسرة و العلاقات الأسرية و حقوق كل فرد فيها، و أوضح السبل و الإجراءات القضائية فى المحاكم و طرق الإثبات، و بين مركز الحاكم بين المتقاضين، و حدد أحكام النظام الإدارى و الدستورى فى الدولة، و بين السبل لاختيار رئيس الدولة و حقوقه تجاه الرعية و واجباته نحوها، كما نظم القانون الدولى و علاقات الدول ببعضها فى الحرب و السلم. و كل ذلك نظم تنظيما دقيقا بقواعد قانونية رصينة لا يأتيها الباطل من بين يديها و لا من خلفها لأنها من لدن حكيم عليم بشئون البشر و سائر الكون، صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨)، (البقرة: ١٣٨) (١). و حيث أن الأحكام الشرعية الإسلامية التى نسخت ما قبلها تعهد الله بحفظها من أى تحريف أو تلاعب بشرى قد يصيبها، فإنها خالدة باقية دائمة حتى يرث الله الأرض و من عليها. إذا ما تدبرنا آيات الله الخالدات من و جهة نظر تشريعية قانونية و اجتماعية و اقتصادية، فماذا نرى؟ - المسلم الغنى مستخلف فى مال الله و ملكه، و الثروة أمانة فى عنق حاملها يسأل عنها يوم القيامة، من أين جمعها و فيم أنفقها. - الكسب الحلال يؤدي إلى أسرة كريمة طيبة، و الكسب الحرام يترك أثره فى الجوارح و السلوك ليكون أسرة فاسدة مفسدة كالطفيليات و المكروبات المدمرة. - توزيع عادل للثروات بحيث لا يبقى فقير أو محتاج، و هذا ما حققه الخليفة (١)

الشرعية الإسلامية و مكانة المصلحة فيها، القاضى فاضل دولان، ص ٣٧-٤١، بتصرف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٣ الراشدى



الخامس عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه. - ردع لكل متناول بشكل لا يتجرأ بعده الآخرون على التقليد و هذا ما أثبتته التطبيق العملى فى المجتمع الإسلامى - كقطع يد السارق مثلا. - نظام عظيم للزواج و تكوين الأسرة و تربية الأولاد. - القانون فوق السلطة، و لا يستثنى الحاكم و المحكوم من عدالة القضاء، فالإسلام هو أول من وضع هذا الشعار و طبقه. - تكريم لا يدانيه تكريم للمرأة بدءا من ولادتها و تحريم الوأد الذى كان شائعا بين العرب قبل البعثة الشريفة، مرورا ببحث الوالدين على تربية البنات على أصول الخلق الرفيع و العلم النافع، ثم أهمية المرأة فى البيت و القضاء و العلم و الحرب و السلم و غير ذلك مما تزخر به كتب الفقه الإسلامى فى أهمية دور المرأة فى أن تكون بانية للأسرة و المجتمع لا- أن تكون مدمرة له وفق المفهوم الغربى الذى يجعل من المرأة عبارة عن جسد يباع و يشتري بأبخس الأثمان، و ما يتبع ذلك من اتباع الشهوات للجنسين، و ترك الطريق الأمثل فى الزواج و تكوين الأسر إلى الطريقة الغرائزية الحيوانية فى تصريف الشهوة. إن نظرة ثاقبة إلى سورة النساء فقط و تدبر مدى الروعة العظيمة فى تقسيم الميراث فى الإسلام و حقيقة إعطاء النصف و الربع و الثلث و السدس لحالات مختلفة يريك مدى الترابط بين القانون و علم الاجتماع و الاقتصاد و الرياضيات. فإذا تأملت لما ذا هذه الكسور و حقيقة تقسيمها بهذه الدقة و ربطها مع الحالات الاجتماعية المختلفة لكل تقسيم، لعلمت الدقة فى مراعات الله تعالى لحقوق الأسرة برمتها و منها المرأة بأصنافها الثلاث الزوجة و البنت و الأم، من جهة و دقة التقسيم الرياضى من جهة ثانية. قام المهندس الأستاذ مولود مخلص الراوى بتقديم بحث رائع فى هذا الموضوع إلى المؤتمر الأول للإعجاز القرآنى الأول المنعقد بمدينة السلام بغداد للفترة ٢١-٢٦ رمضان ١٤١٠ هـ الموافق ١٦-٢١ نيسان ١٩٩٠ م، و أسماء (الإعجاز فى علم الموارد) و الذى يتضمن إعداد برنامج حاسوبى للقسام الشرعى يمكنه حل جميع مسائل الميراث مفردة كانت أم متناسخة (متعددة الوفيات) بأعداد صحيحة أو ما يعرف بالتصحيح و بنفس الأسلوب الشائع فى تنظيم القسامات الشرعية. و قد جرى اختبار البرنامج عمليا من قبل الإقتصاد و الاجتماع، ص: ١٤ لجنة شرعية متخصصة ثم تم اعتماده من قبل وزارة العدل العراقية للاستخدام عمليا فى المحاكم العراقية «١». يقول أحد الحقوقيين الغربيين و هو يعلق على ما جاء فى سورة النساء: (لا يمكن أن يكون هذا القرآن من عند محمد لأننا الآن و فى عصر التطور الهائل لا نستطيع أن نعطي تشريعا بهذه الروعة و التفصيل و الدقة و العدالة لكل أفراد الأسرة دون استثناء). و قد اعترف الراسخون فى العلوم القانونية من رجالات الغرب بأن التشريع الإسلامى يعد فى طليعة المصادر الصالحة لسد حاجات التشريع الحديث. و نطق بذلك قرار مؤتمر القانون المقارن المنعقد فى مدينة لاهاي، فى شهر آب من سنة ١٩٣٧ م، الموافق لجمادى الآخرة من سنة ١٣٥٦ هـ، و قد دعى إليه الأزهر، فمثله مندوبان من كبار علماءه فحاضرا فيه عن المسئولية الجنائية و المسئولية المدنية فى الإسلام، و عن نفى أية علاقة مزعومة بين القانون الرومانى الوضعى و الشريعة الإسلامية الغراء. و قد خرج المؤتمر على أثر ذلك بقرار تاريخى خطير بالنسبة إلى رجال التشريع الأوربي، جاء فيه: ١. اعتبار الشريعة الإسلامية مصدرا مهما من مصادر التشريع العام. ٢. اعتبارها حية قابلة للتطور. ٣. اعتبارها تشريعا قائما بذاته، ليس مأخوذا من غيره «٢». كان النظام القضائى الإسلامى أول من جاء بفكرة القضاء و القانون فوق الحكم و السلطان، و طبقها فعلا- فى كثير من الحالات منها القصة المعروفة للإمام على كرم الله وجهه مع اليهودى الذى اشتكى إلى القاضى بأن أمير المؤمنين - حاشاه- قد سرق درعه، فحضر الطرفان أمام القاضى و انتهت القضية بإعلان اليهودى إسلامه لما رأى من عدل الإسلام .. و هكذا أخذ الغربيون منا هذا التراث العظيم و صدروا لنا دكتاتورياتهم التى كانت فى عصور ظلام مهم، ثم ادعوا أنهم متحضرون لأنهم ديمقراطيون، فتنهوا

(\_\_\_\_\_ الإعجاز فى علم الموارد،

المهندس مولود مخلص الراوى، الإعجاز القرآنى، المؤتمر الأول للإعجاز القرآنى الأول المنعقد بمدينة السلام بغداد للفترة ٢١-٢٦ رمضان ١٤١٠ هـ الموافق ١٦-٢١ نيسان ١٩٩٠ م، ص ٦٥٩-٦٧٦. (٢) الشريعة الإسلامية و مكانة المصلحة فيها، القاضى فاضل دولان، مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م، ص ٢٤. الإقتصاد و الاجتماع، ص: ١٥ معشر المسلمين لهذه المغالطة. و ها هو الأمير تشارلز يدلى باعتراف خطير خلال مؤتمر عقد بلندن عام ١٩٩٦ م من أن ٦٠٪ من القضاء البريطانى يعتمد فى روحه و بعض نصوصه

على التشريع الإسلامى «١». ولأهمية الموضوع لعامة الناس كى يفهموا عظمة هذا الدين و سعة آفاقه و تعدد آراءه و شمول آلاءه، فقد أفردنا ملحقا فى نهاية الكتاب لتبيان تاريخ التشريع الإسلامى و المراحل التى مرّ بها بشكل مختصر قدر الإمكان. (١) انظر كتاب (المنظار الهندسى للقرآن الكريم)، للمؤلف. و بإمكان القارئ الكريم الرجوع لنص الكلمة من مصادرها او من شبكة المعلومات الدولية (الإنترنت). الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٦

## الفصل الثانى الإقتصاد فى الإسلام

الفصل الثانى الإقتصاد فى الإسلام إن ما يشهده العالم من ظلم اقتصادى لفئات كبيرة من المجتمع البشرى يؤكد ضرورة ملحة ألا و هى كيفية تكوين نظام اقتصادى يجعل العدالة هى السمة الأبرز لتكوينه، و يطرد كل الأفكار التى من شأنها أن تكون دولا غنية و أخرى فقيرة أو على الأقل أن يكون الفرق بسيطا مقبولا- و ليس ساحقا للغالبية الفقيرة. إن أهم مبدأ جاء به التشريع الإقتصادى الإسلامى هو إزالة تلك الهوة بين الفريقين الأغنياء و الفقراء و محاولة تقليصها قدر الإمكان. يقول الله تعالى: ما أفاء الله على رسوله من أهيل القرى فليله و للرسول و لى القربى و اليتامى و المساكين و ابن السبيل كنى لا- يكون دولته بين الأغنياء منكم و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و اتقوا الله إن الله شديد العقاب (٧)، (الحشر: ٧). أى لكى لا- تكون الغنائم محصورة بين مجموعة الأغنياء فقد شرع التوزيع للجميع دون استثناء، فالمبدأ إذن منع الاحتكار المالى و السلعى كى لا يحصل الخلل و المن ثم المظالم و المآسى التى تؤدى إلى الاقتتال من أجل المال. و إنك لتجد فى التشريع الحنيف ما أغنانا عن ذكره الكثير من الباحثين و المتخصصين فى هذا الشأن المهم، و ما ذكر فى الكتب و المؤلفات و المجلدات ما يجعلنا نتعد عن التفصيل و نقرب من الاختصار. دائما ما يحث الإسلام و كتابه رسول الله صلى الله عليه و سلم الناس على التكامل و التكافل الإقتصادى، و ينهاهم عن الاحتكار و الغش و السحت و السرقة و أكل مال اليتيم و اليمين الفاجر و الربح الفاحش و غير ذلك من القيم الرائعة فى التعامل التجارى و الإقتصادى بين الأفراد و الدول، كما شرعت الزكاة و جعلت من دعائم النظام الإسلامى لما لها من أثر إيجابى على المجتمع، و كذا و الصدقات و المكوس و نظم بيت المال للحفاظ على التوازن بين الغنى و الفقر فى الأمة. و قد فرض على الأغنياء ما يغنى الفقراء و هدد الممانعون بأشد العقاب فى الدنيا و الآخرة لأن الفقر كاد أن يكون كفرا، كما جعل الدين ثقيلًا على النفس لأنه يمنع الحى من الراحة و الميت من نيل الأجر حتى يسدد عنه دينه. و قد طبق كل ذلك فى عهود كثيرة و أثبت نجاحه و تميزه. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٧ الناحية الإقتصادية فى نظام الحكم الإسلامى تستند على مسألتين، الأولى هى كيفية أخذ الدولة للمال من الأمة، و الثانية كيفية إنفاقه. أما الأولى، فكانت الدولة الإسلامية تأخذ الزكاة على الأموال و الأراضى و عروض التجارة و المواشى و الزروع و الثمار، باعتبار أن الزكاة عبادة، لتقوم بتوزيعها على مستحقيها من الأصناف الثمانية المقررة شرعا، كما تأخذ الخراج و الجزية و ضرائب الجمارك بحكم إشرافها على التجارة فى الصعيدين الداخلى و الخارجى، و كانت تقوم على إدارة ما هو داخل فى الملكية العامة أو ملكية الدولة كالمعادن و القنوات و غيرها من موارد بيت المال. أما من حيث إنفاق هذه الأموال فإنها توزعها حسب الأحكام الشرعية، و قد طبقت أحكام النفقة على العاجز و حجزت على السفه و المبذر، و وجدت أماكن الفقراء و المعسرين، و نفذت أحكام العمل و العمال، و منعت الاحتكار و الغش و الاستغلال و الرشاوى و كل وسائل الكسب غير المشروع. و من الحق أن نقول إن بعض الحكام كانوا يسيئون تطبيق أحكام الشرع فى هذه الناحية، و كان البعض الآخر يحسن غاية الإحسان فى رعاية هذه الناحية، تبعا لنفسية الحاكم و مدى التزامه بالأحكام الشرعية، و موقف الأمة منه و خصوصا العلماء، فإذا حصل لبعض الحكام أن يقصر و يسىء فلا يعنى هذا عدم التطبيق «١». لا أريد هنا أن أدخل فى تفاصيل هذا العلم الواسع و عظمة التشريع الإسلامى فى الزكاة و الصدقات و التدابير الإقتصادية الإسلامية العظيمة الأخرى و التى تحتاج إلى مجلدات كثيرة لتفصيلها و هذا يترك لأهل الاختصاص «٢». إلا أننى سأركز

على أمر غاية في الخطورة بل هو أخطبوط مرعب التهم العالم كله بسبب نظام اقتصادي غير عادل حذر الإسلام منه أيما تحذير ألا وهو (الربا). الربا لغويا هو مطلق الزيادة والنمو، وهو حسب ما فصله الإمام الرازي رحمه الله في مختار الصحاح: (ربا) الشيء زاد و بابه عدا. والرابية مائة ارتفع من الأرض و كذا (١) الإسلام بين العلماء والحكام،

الشيخ الشهيد عبد العزيز البدرى، ألفه عام ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م. مطبعة أنوار دجلة، بغداد، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ص ١٣-١٤. (٢) بإمكان القارئ الكريم الرجوع إلى مصادر مهمة في النظام الاقتصادي الإسلامي، وأفضل كتاب (المعاملات المالية المعاصرة في ميزان الفقه الإسلامي)، للمؤلف الدكتور على أحمد السالوس لأهميته وأسلوبه المميز. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٨ (الربوة) بضم الراء و فتحها و كسرهما و الربوة أيضا بفتح الراء. و الربو النفس العالى يقال ربا من باب عدا إذ أخذه الربو. قال الفراء في قوله تعالى: فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخَذَةً رَابِيَةً (١٠)، (الحاقة: ١٠)، أى زائده كقولك أربيت إذا أخذت أكثر مما أعطيت. و رباة تربية و تربية أى غذاه و هذا لكل ما ينمى كالولد و الزرع و نحوه. و الربا فى البيع و قد أربى الرجل و الربية مخففة لغيره فى الربا و هو فى حديث صلح أهل نجران. قال الفراء: هو ربية مخففة سماعا من العرب و القياس (ربوة) بالواو «١». يقول الله تعالى فى محكم كتابه: ١- الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَاتَّبَعَهَا فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَ يُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦)، (البقرة). ٢- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ إِنْ تَبْتغي فَلَكمُ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَ لَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩)، (البقرة). ٣- يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠)، (آل عمران: ١٣٠). ٤- وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَ قَدْ نُهِوا عَنْهُ وَ أَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦١)، (النساء: ١٦١). ٥- وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبَا لِيُزْبِتُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَزْبِتُوا عِنْدَ اللَّهِ وَ مَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْغِفُونَ (٣٩)، (الروم: ٣٩). فَإِنَّ آيَاتِ الْمَبَارَكَاتِ تَبِينُ مَا لَخَطُورَةُ هَذَا الْأَمْرِ وَ عَظْمَةُ تَأْثِيرِهِ السَّلْبِيِّ عَلَى

(١) مختار الصحاح، الشيخ الإمام محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى، ص ٢٣١-٢٣٢. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٩ الإقتصاد للفرد و المجتمع، كما تبين مدى التهديد العظيم الذى هدد به الله تعالى المتعاملين بالربا ألا و هو حرب من الله و رسوله، و هذا ما نراه اليوم. و لقد اكتشف علميا أن القلق الذى يحدث نتيجة تراكم الثروات يودى إلى إفراز مادة الأدرينالين التى بدورها ترفع ضغط الدم و تؤدى إلى الحزن و الألم، و هذا يودى إلى مرض البول السكرى، و يتعرض الإنسان إلى الانفعالات العصبية فىرى الدنيا فى عينيه سوداء قاتمة لا أمل فيها. يودى ذلك بالتراكم إلى تخبط الإنسان فيصبح بحال غير طبيعى كأن به مسا من جن أو كأنه مجنون، و هذا ما وصفه تعالى فى كتابه الكريم فى الآيات التى استعرضناها آنفا من الآية ٢٧٥ من سورة البقرة و التى تصف حالة المتعاملين بالربا: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكِ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا .... كما و أنك تجد نسبة عالية من الناس قد أصابهم من الربا أما مباشرة أو أصابهم من رشاشه تماما كما تنبأ رسول الله صلى الله عليه و سلم فيما سيكون من أمر الناس عند آخر الزمان «١»، فاختلفت أموالهم الحلال بحرامه بسبب البنوك و التعاملات الربوية من جهة و بسبب تداخل المصالح العالمية اليوم بشبكة عنكبوتية و التى أصبح معها من الصعب بمكان الانفكاك منها شئنا أم أيينا. فما ذا كانت النتيجة أننا أكلنا فى بطوننا بعض هذا الحرام المتأتى من الربا المفروض علينا فرضا، فأصبح الرجال و النساء يرقصون و يتمايلون فى الملاهى و الطرقات كأنهم بهم مس من الشيطان، إلا من رحم ربي، فصدق الله و رسوله. ذكرنا تلك المشاكل الصحية المتأتية من الربا رغم أنه يفترض أن ندرجها ضمن المواضيع الطيبة، و لكن الموضوع يقتضى الإشارة المباشرة. و لا أريد هنا الدخول فى الأسباب التى أوصلتنا إلى هذه النهاية لأن الشرح يطول، و لكننى سأذكر بعض الأمور من كتاب ألفه رجل أمريكى وليم

غاي كار و ترجمه إلى العربية سعيد جزائري و طبعته بالنسخة العربية دار النفائس للطباعة و النشر. اسم الكتاب (أحجار على رقعة الشطرنج) دفع المؤلف حياته ثمنا له و كان قد استغرق في تأليفه و جمع وثائقه و حقائقه حوالي أربعين عاما و قد أحدث ضجة كبيرة في خمسينات القرن العشرون و لا يزال من المصنوعين

(١) راجع الأحاديث التي وردت في ذلك في كتابنا الأخير من هذه السلسلة (آخر الزمان). الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٢٠ المهمة التي تقض مضاجع اليهود و فضائحهم التي تزكم الأنوف. يذكر المؤلف في هذا الكتاب حقائق مذهلة توصل إليها ببحث و استقصاء مضمينين مفادها أن سبب ما نعاينه هو المشكلة الاقتصادية التي أكلت العالم بسبب ما فعله المرابون اليهود طيلة أربع قرون من الزمن سيطروا فيها على المال العالمي و مصادره و أمسكوا بزمام الشريان الاقتصادي العالمي فتحكموا به و بنوا إمبراطورية اقتصادية مهولة أساسها الربا بأضعاف مضاعفة و من ثم تحولت سيطرتهم إلى سيطرة إعلامية و اجتماعية و سياسية و عسكرية و هذا ما نراه اليوم من سيطرتهم على أعقد العقد السياسية فيما يسمى الدول الكبرى في العالم، ألا و هو الكونغرس الأمريكي و بالتالي سيطرتهم على تعيين الرئيس الأمريكي نفسه، (و أضيف هنا أن أكثر من ٨٠٪ من الحكومة الأمريكية منذ عام ١٩٩٢ م و لحد اليوم هم من اليهود المؤصلين و هذه أكبر نسبة لليهود في تاريخ الحكومات الأمريكية)، بل إن المحافظين الجدد الذين يرسمون السياسة الأمريكية الحالية هم صهاينة أو متصهينون، فستان بين جورج واشنطن الذي سمي اليهود بالحشرات التي يجب أن تسحق و تطرد، و بين ما وصلت إليه أمريكا اليوم، و كذلك شتان ما بين الملك إدوارد الأول الذي طرد ما تبقى من اليهود بعد ذبحهم ذبح الشاة و بين ونستون تشرشل الذي يقول أنا صهيوني ابن صهيوني، و كل من جاء بعده. إن حب اليهود للمال جاء منذ عهد سيدنا موسى عليه السلام بعد حادثه العجل الذي عبده بعد ما نجاهم الله تعالى من فرعون و كما أخبرنا القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ... وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ... (البقرة: من الآية ٩٣)، أى جعل الذهب و الفضة و المال الإله الذي يحكمهم بعد ما كفروا بالله تعالى و سمحوا لأنفسهم بأن يعبدوا عجلا مصنوعا من الحلي الذي أخذوه من أهل مصر القديمة. هذا العقاب الإلهي لهم بأن أصبحوا عبدة للمال جعلهم لا يتورعون عن فعل أى شىء و من ذلك الربا الذي حرم عليهم في التوراة بنص الآية القرآنية التي ذكرناها (النساء: ١٦١). إن الكتاب الذي أشرنا إليه يذكر أسماء هؤلاء المرابين و انتساباتهم و مؤسساتهم و أين و صلوا الآن بعد أربعة قرون من العمل الأخطبوطي الدءوب توارثوه جيلا بعد جيل، و هو كتاب غايه في الأهمية و الروعة يعطى لقارئه الفكرة الواضحة حول خبث هؤلاء الناس و مكرهم و دهائهم الذي جعل من كل دول العالم مقلدا لهم أو طائعا ذليلا- بسبب الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٢١ الحبال التي أوثقوها حول رقاب الشعوب و ما فعلوه من أسلوب اقتصادي خنق العالم و كبله بالديون و المشاكل الاقتصادية التي لا تنتهى و ما صندوق النقد الدولي إلا ذراع واحد من أذرع هذا الأخطبوط المرعب. لتتحول الآن إلى كاتب آخر و هو الدكتور حسين مؤنس، إذ كتب بحثا في مجلة أكتوبر المصرية (العدد ٤٧٥، ديسمبر، ١٩٨٥، ص ٥٠-٥٢)، توصل فيه في النهاية إلى تعبير نصه: «إذن فالربا يعنى خراب الدنيا فعلا»، قال فيه: «خلال السنوات الماضية تجلى بوضوح أكثر فأكثر أن العالم كله يسير بسرعة متزايدة نحو كارثة اقتصادية بلا حدود، و أن تلك الكارثة لا ترجع إلى أن موارد الخير و الرزق في الأرض قد قلت و لم تعد تكفى الناس، لأن الحقيقة عكس ذلك فقد ازدادت هذه الموارد خلال السنوات الماضية بصورة تخطت كل التوقعات و الدراسات، فإنتاج العالم من الغذاء يبلغ اليوم أضعاف حاجة البشرية جميعا إذا هي دبرت بعدائه، ففي بعض بلاد الدنيا مقادير من الغذاء تكفى أهل الأرض جميعا، فهذه أمريكا تتحدث عن جبال القمح، و هذه أوربا تحدثت عن جبال الزبد، بينما في قارة إفريقيا يموت ١٠٪ من سكانها سنويا في حين أن الملوك و الأمراء يعملون موائد تكفى إنقاذ أضعاف هذا الرقم من موتهم و هلاكهم و لا أحسب هذا التفاوت إلا من جراء الربا». و قد ساق الرجل أمثلة عديدة بالأرقام حول موضوع الربا فمثلا نراه يقول «إن القلم الذي أكتب به الآن يكلف من مواد و صناعة و هندسة و نقل و أمور أخرى رقما يساوى عشر المبلغ الذي أشتريه به»، و أمثلة أخرى عديدة، و يقول أيضا متسائلا بعد هذه الأمثلة، (ما الذي يجعل هذا الفرق الهائل بين الواحد و العشرة؟! فيجب، الوسطاء و البنوك، ثم يتساءل

فى نهايه البحث ما الذى يعطى الدولار كل هذه القوة؟!، إنه الربا، إنها المعاملات الربويه التى هى أساس الإقتصاد الغربى كله. لأن الثروة الأمريكية التى لا تصدق و التى يصل قيمه المداورة اليومية لها مئات البلايين من الدولارات لا يمكن أن تكون قد تكدست بهذه الصورة الرهيبة عن طريق التجارة الحرة الشريفة، لأن أرباح المعاملات التجارية مهما بلغت فإن للمكاسب التجارية حدودا، و الشطارة و المهارة مهما بلغت فهى لن تسمح لك ببيع منتجاتك بأكثر من أربعة أو خمسة أضعاف تكلفتها، فإذا أنت بعته بمائة ضعف فأنت هنا تدخل فى ميدان السرقة، و السرقة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٢٢ تسمى فى عرف التجارة الغربى (tsertnI) أو (tefineB) و الترجمة العربية الفصيحة للكلمتين هو الربا». و توصل فى نهايه بحثه إلى أن مأساة البشرية التى نعيشها الآن هو أساسها أن «عالمنا الراهن يقوم على الربا من البدايه حتى النهايه» .. فشتان بين عدل الإقتصاد فى الإسلام و شريعته السمحاء التى ملأت العالم رحمة و عدلا طيلة ثمانية قرون و بين بربريه حضارة العم سام. تعلق بعض المتأخرين بكلمه (أضعاف مضاعفة) التى وردت فى قوله تعالى فى الآية ١٣٠ من آل عمران التى أوردناها آنفا، و قالوا أن الربا المحرم هو ما كان أضعافا مضاعفة، أما ما كان بسيطا و قليلا فلا حرمة فيه. إن هذا الفهم الخاطئ للآيه الرد على هؤلاء كما يذكر الأستاذ صلاح الدين عبد المجيد هو أن هذا من باب التدرج فى التشريع تماما كما تدرج حكم تحريم الخمر، و العبرة دائما بالحكم الأخير، فكما يلاحظ من آيات الربا التى أوردناها أن هناك تدرجا فى الحكم بتحريمه حتى وصل إلى درجة الحرب من الله و رسوله على فاعليه و العياد بالله .. و الأحاديث الشريفة الصحيحة فى ذلك كثيرة، نذكر منها: ١. أخرج البخارى فى الوصايا (٢٥٦٠) عن أبى هريره رضى اللهم عنه عن النبى صلى الله عليه و سلم قال (اجتنبوا السبع الموبقات)، قالوا يا رسول الله و ما هن قال (الشرك بالله و السحر و قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق و أكل الربا و أكل مال اليتيم و التولى يوم الزحف و قذف المحصنات المؤمنات الغافلات). ٢. أخرج الإمام مسلم فى المساقاة (٢٩٩٥) عن جابر قال لعن رسول الله صلى الله عليه و سلم أكل الربا و مؤكله و كاتبه و شاهده و قال هم سواء ٣. أخرج أبو داود فى البيوع (٢٨٩٦) عن سليمان بن عمرو عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم فى حجة الوداع يقول (ألا إن كل ربا من ربا الجاهليته موضوع لكم رءوس أموالكم لا تظلمون و لا تظلمون ألا و إن كل دم من دم الجاهليته موضوع و أول دم أضع منها دم الحارث بن عبد المطلب كان مسترضعا فى بنى ليث فقتلته هذيل)، قال (اللهم هل بلغت)، قالوا نعم ثلاث مرات، قال (اللهم اشهد)، ثلاث مرات و لقد أصدر المؤتمر السنوى لمجمع البحوث الإسلامية الذى عقد عام ١٩٦٥ م قرارا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٢٣ هذا نصه: (الفائدة على أنواع القروض كلها ربا محرم، لا فرق فى ذلك بين ما يسمى بالقرض الاستهلاكى و ما يسمى بالقرض الإنتاجى، و إن كثير الربا و قليله حرام). إن الربا له أضرار كثيرة فى جوانب ثلاثة: الجانب الخلقى و الجانب الاجتماعى و الجانب الاقتصادى. يرى عميد الاقتصاديين الأوربيين (كينز) أن الربا هو سبب الكساد، و أن المجتمع النامى لكى يحقق آماله فى التنمية عليه أن يصل فى تعامله الاقتصادى إلى الدرجة التى تصير درجة الفائدة (الربا) صفرا .. و إن نظرة واحدة إلى ديون العالم النامى التى وصلت إلى أرقام مرعبة، هى كلها ديون ربويه، و مهما عملت الدولة لتسديد تلك الديون تراها تغرق فيها أكثر، السبب ببساطة أن المبدأ هو مبدأ إيغال فى المشكله و ليس حلها. على أن هناك فوائد لا تنكر من عمل المصارف الإسلامية كتييسير التبادل و تعزيز طاقة رأس المال و تحويل النقود بين الدول و بيع و شراء العملات و إصدار الشيكات و تحصيل الديون و بيع أسهم الشركات و تأجير الخزائن الحديدية و تسهيل التعامل مع الدول الأخرى .. و من هنا بدأت فكرة البنوك غير الربويه فى خمسينيات القرن العشرين الميلادى، و قد أثبتت نجاحا باهرا مما دفع إلى تطوير الفكرة و انتشارها حتى وصل إلى أوروبا و أمريكا «١». فى بدايات العقد التسعينى من القرن العشرين الميلادى عقد مؤتمر عن الإقتصاد الإسلامى فى جامعه ليفيوروه البريطانية بحضور كبار اقتصاديين العالم، و استمعوا إلى شروح عن آيات القرآن الكريم و أحاديث المصطفى صلى الله عليه و سلم المتعلقة بتنظيم الشؤون الاقتصادية، فكان الانبهار العظيم من الجميع، و تم الاتفاق على تدريس الإقتصاد الإسلامى فى الجامعات البريطانية فى البكولوريوس و الماجستير و الدكتوراه. و فعلا فى عام ١٩٩٦ م تأسس معهد مار كفيدل للدراسات الإسلامية الاقتصادية تحت إشراف أساتذة مسلمين متخصصين أمناء و أوفياء، و ليس المستشرقين الذين شوهوا

الإسلام و كتابه و سننه رسوله، و دسوا لنا السم في الدسم. و قد قام هؤلاء الأساتذة بالإشراف (١) بحث للأستاذ صلاح الدين عبد المجيد في مجلة التربية الإسلامية، السنة ٣٥، العدد ١٢، ص ٢٧ - ٣٠، بتصرف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٢٤ على الطلاب من مختلف المراحل الجامعية و لأربعة جامعات بريطانية كمرحلة أولى. و ها هي المصارف الإسلامية غير الربوية تبدأ بالانتشار في أمريكا و أوربا و تدر بالربح الوفير باعتراف الغربيين أنفسهم، و ها هي الإنجازات تترى لتكون بداية الخير، فأول الغيث قطر كما يقولون، و الحمد لله رب العالمين. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٢٥

## الفصل الثالث النظام الاجتماعي الإسلامي

### إشارة

الفصل الثالث النظام الاجتماعي الإسلامي لقد كون رسول الله صلى الله عليه و سلم مجتمعا رائعا بعد أن طبق النواميس و الأوامر الإلهية التي جاء بها القرآن الكريم، فبدأ بالنفس و الأهل و الأقربون صعودا إلى المجتمع و المدينة و الدولة، فكانت تلك الحقبة تمثل أعظم الحقب التي حفظت للإنسان كرامته و عزته بعد أن عرف ربه و استقام على ذلك. و هنا أسرد قصة لطيفة لأحد الرحالة الأوربيين الذي زار بغداد في العصر العباسي الثاني، فأجر منزلا، و كان يستيقظ كل صباح فيجد القمامة التي رماها في باب بيته ليلة أمس و قد أزيلت، و كان يتعجب للأمر. فقرر ذات ليلة أن يراقب الباب و لا ينام، فإذا بجاره يخرج عند هجيع الليل ليحمل القمامة و يرميها بعيدا. فأتى لجاره بعد ذلك فسأله عن الأمر، فقال له الجار، إني و الله لم أكن أتمنى أن تعلم بهذا، أما أنك و قد علمت و سألتني فسأجيبك ... إن ديننا قد وصى بالجار، و إني رجل أخاف العبور على الصراط يوم القيامة، فلم يفهم السائل، فسأله عما عناه بالصراط، ففسر له الأمر، فزاد عجبه. و عند ما عاد لبلده روى القصة لأهله و قال لهم متسائلا: هل استطاعت كل فلسفاتنا أن تضع في الناس خلقا رفيعا مثل ما فعله الصراط بالمسلمين؟ ... ذكرت تلك القصة لأبين لكل من يدعى أن المسلمين أخذوا النظافة من الغرب أن يعود لهذه الحضارة الرائعة و ذلك التاريخ المشرف ليعرف إلى أية أمة ينتمي. و لقد كفلت حضارة الإسلام العظيمة للبشر كل ما يحتاجونه لإقامة الأسس و المرتكزات التي حددتها، و من ذلك:

### ١. حرمة الدم و حفظ حق الحياة:

١. حرمة الدم و حفظ حق الحياة: من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعا و من أحيها فكأنما أحيى الناس جميعا و لقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيرا منهم بعد ذلك في الأرض لمشرقون (٣٢)، (المائدة: ٣٢).

### ٢. حرمة العرض فسان للفرد حق الكرامة:

٢. حرمة العرض فسان للفرد حق الكرامة: يا أيها الذين آمنوا لا يشخر قووم من الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٢٦ قووم عسى أن يكونوا خيرا منهم و لا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهم و لا تلمزوا أنفسكم و لا تنازروا بالألقاب بسئ الاسم الفسوق بعد الإيمان و من لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١)، (الحجرات: ١١) .. يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم و لا تجسسوا و لا يغتب بعضكم بعضا أ يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه و اتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)، (الحجرات: ١٢).

### ٣. حرمة المال و حق التملك:

٣. حرمة المال و حق التملك: فى البخارى (الحج ١٦٢٣) عن ابن عباس رضى اللّهم عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه و سلم خطب الناس يوم النحر فقال: (يا أيها الناس أى يوم هذا قالوا يوم حرام قال فأى بلد هذا قالوا بلد حرام قال فأى شهر هذا قالوا شهر حرام قال فإنّ دماءكم و أموالكم و أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى بلدكم هذا فى شهركم هذا)، فأعادها مرارا ثم رفع رأسه فقال: (اللّهم هل بلغت اللّهم هل بلغت). قال ابن عباس رضى اللّهم عنهما فوالذى نفسى بيده إنّها لو صيّته إلى أمته فليبلغ الشاهد الغائب لا ترجعوا بعدى كفّارا يضرب بعضكم رقاب بعض.

#### ٤. حرمة البيوت و حق الاستقلال الشخصى:

٤. حرمة البيوت و حق الاستقلال الشخصى: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا و تستلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون (٢٧)، (النور: ٢٧).

#### ٥. حرية الرأى و الفكر و الاعتقاد و التعبير:

٥. حرية الرأى و الفكر و الاعتقاد و التعبير: و فى هذا يطول الشرح و التفصيل لكثرة ما ورد فى ذلك.

#### ٦. حق المعارضة و النصيحة:

٦. حق المعارضة و النصيحة: للحاكم و المحكوم، فى الترمذى (الفتن ٢٠٩٤) عن أبى بكر الصّديق أنّه قال أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم و إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (إنّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه). و فى صحيح مسلم (الإيمان ٨٢) عن تميم الدارى أنّ النّبى صلى الله عليه و سلم قال: (الذين النصيحة) قلنا لمن قال: (لله و لكتابه و لرسوله و لأئمة المسلمين و عامتهم).

#### ٧. حق القضاء و القصاص العدل:

٧. حق القضاء و القصاص العدل: كما ذكرنا فى ما سبق من آيات و كذلك قوله الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٢٧ تعالى: و لا تزر وازرة وزر أخرى (الأنعام: من الآية ١٦٤). ألا تزر وازرة وزر أخرى (٣٨)، (النجم: ٣٨) ..

#### ٨. حق التعلم حتى وقت الحرب:

٨. حق التعلم حتى وقت الحرب: \* و ما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون (١٢٢)، (التوبة: ١٢٢) ... و قد حث النّبى صلى الله عليه و سلم على طلب العلم فى عدة أحاديث كما فى حديث النسائى فى الطهارة (١٥٨) عن عاصم أنّه سمع زرّ بن حبّيش يحدث قال أتيت رجلا يدعى صفوان بن عسال فقعدت على بابه فخرج فقال ما شأنك قلت أطلب العلم قال إنّ الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب فقال عن أى شىء تسأل قلت عن الخفين قال كنا إذا كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فى سفر أمرنا أن لا نترعه ثلاثا إلّا من جنباه و لكن من غائط و بول و نوم.

#### ٩. حق العمل «١»:

٩. حق العمل (١): فقد دعا الإسلام للعمل لأنه من أهم وسائل الارتزاق، وهو أساس الاقتصاد، والدعامه الأساسية للإنتاج، وهو عبادة من أجل العبادات مع النية الخالصة، وكل قطرة عرق تبذل فيه تكون في ميزان المسلم مع صلاته و صيامه و زكاته .. و المسلم لا يعمل من أجل الدنيا و الحرص عليها و على فتنها و متاعها، بل لأن العمل أساس كل شيء بل هو أساس التقرب إلى الله تعالى .. يقول العلامة أبو الأعلى المودودي رحمه الله (إذا تعاطيت التجارة و الصناعة أو اشتغلت بالخدمة، و أدت ما عليك من الواجب بكل أمانة و صدق اتقاء لله تعالى، ثم كسبت الحلال و تجنبت الحرام، كان كسبك هذا و سعيك في سبيله عبادة لله تعالى، مع أنك ما قمت بكل ذلك إلا- لتكسب الرزق لنفسك) .. لذلك تجد أن القرآن الكريم قد قرن العمل بالإيمان في آيات كثيرة، فجاء الحث عليه في كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و سلم و في أقوال السلف الصالح. يقول الله تعالى في دعوة صريحة للعمل و الارتزاق و طلب الرزق و الكسب و السعي لكسب المعاش فإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) (١) هذه النقطة

عن مقاله رائعه للأستاذ الفاضل الشيخ الجليل إبراهيم النعمه بمجلة التربية الإسلامية بعنوان العدالة الاجتماعية، السنة ٣٥- العدد ١٢، ص ٤١-٤٥، بتصرف. الإقتصاد و الإبتعا، ص: ٢٨ (الجمعة: ١٠) .. و يقول تعالى أيضا هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (١٥)، (الملك: ١٥) .. و كأن القرآن يصرخ بالناس أن اعملوا لتأخذوا ثمرة عملكم، و اتعبوا و انصبوا لتجدوا لذة كسبكم. فالسعي إذن هو الوسيلة إلى الكسب .. كما و قرن القرآن الكريم السعي في التجارة بالجهاد في سبيل الله تعالى إعلاء دينه، فيقول تعالى .. وَآخِرُونَ يُصْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنْتَعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخِرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ... (المزمل: من الآية ٢٠) .. و الآيات في هذا المعنى كثيرة، إذ أحصى بعض الباحثين المحققين الآيات القرآنية الداعية إلى العمل و السعي لكسب العيش فكانت تزيد على ١٦٠ آية، و التي ذكرت مطلق العمل بلغت ٣٦٠ آية، كما وردت معاني أخرى للعمل في ١٠٩ آية. و في الحديث الشريف نجد الأحاديث الكثيرة التي ترغب بالعمل، منها قوله صلى الله عليه و سلم في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في باقى مسند المكثرين (٨٠٦٠) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه و سلم قال (خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح) .. و قوله صلى الله عليه و سلم فيما ينقل البخارى رحمه الله تعالى في كتاب البيوع (١٩٣٠) عن خالد بن معدان عن المقدم رضى الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: (ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده و إن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) .. و قوله صلى الله عليه و سلم في حديث الطبرانى فى الأوسط و الأصبهاني من حديث ابن عباس رضى الله عنه: (من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له) .. و أخرج الترمذى فى كتاب البيوع (١١٣٠) عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه و سلم قال: (التاجر الصدوق الأمين مع النبيين و الصديقين و الشهداء). و يسمو الإسلام بالعمل حتى يجعله بمنزلة الجهاد فى سبيل الله، فقد روى كعب ابن عجرة رضى الله عنه قال مر على النبي صلى الله عليه و سلم رجل، فرأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم من جلده و نشاطه، فقالوا يا رسول الله لو كان هذا فى سبيل الله! فقال صلى الله عليه و سلم: (إن كان خرج يسعى على ولده صغارا فهو فى سبيل الله، و إن كان خرج يسعى على أبوين كبيرين فهو فى سبيل الله، و إن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو فى سبيل الله، و إن كان خرج يسعى رياء أو مفاخرة، فهو فى سبيل الشيطان)، رواه الطبرانى و رجاله رجال الصحيح .. و قد نهى النبي صلى الله عليه و سلم عن المسألة و حث على القوة الاقتصادية فاليد العليا خير الإقتصاد و الإبتعا، ص: ٢٩ من السفلى، و خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى كما قال صلى الله عليه و سلم، و حث على الدقة و الإبتعا فى العمل و قرنه بحب الله للعبد، و حث على إعطاء العامل و الأجير أجره بسرعة دون إبطاء. أما أقوال السلف الصالح رضى الله عنهم فى هذا المعنى كثيرة، منها ما يذكره الغزالي رحمه الله تعالى فى الإحياء (٢/٦٤) و هو قول سيدنا عمر رضى الله عنه (ما من موضع يأتينى الموت فيه أحب إلى من موطن أتسوق فيه لأهلى: أى أبيع و أشتري)، و قوله رضى الله عنه (إنى لأرى الرجل فيعجبني فأسأل: أ له حرفة؟، فيقال: لا، فيسقط من عيني) .. و قالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها (المغزل بيد المرأة خير من الرمح فى يد المجاهد) .. و يقول بعض الصالحين (ليست العبادة أن تصف قدميك-



يعنى للعبادة- و غيرك يقوت لك: ابدأ برغيفيك فاحرزهما ثم تعبد) .. و قال ابن خلكان (لو يعلم المسلمون و أبناء المسلمين ما أعد الله تعالى للمسلمين فى إحياء الأرض، ما ترك مسلم بقعة دون إحياء رجاء الثواب المدخر عند الله تعالى). و يسمو الإسلام بالعمل أيضا حتى يجعله فوق الكثير من العبادات، فالرجل الذى يعمل و يعول أخاه العابد يصير أعبد منه، و هناك من يفضل الصناعات على العباد كالشيخ الشعرانى و هو من المتصوفة، ذلك لأن نفع العبادة تعود على صاحبها حسب، بينما نفع الحرف فيعود على الناس جميعهم بالخير .. و إذا كان الإسلام قد دعا إلى العمل فقد نهى عن الجلوس فى البيت من غير عمل، فهذا سيدنا عمر رضى الله عنه يدخل المسجد بعد الصلاة، فيرى فيه قوما قابعين بدعوى التوكل على الله، فما كان من فاروق الإسلام إلا أن علاهم بدرته، و قال كلمته المشهورة (لا- يقعدن أحدكم عن طلب الرزق و يقول: اللهم ارزقنى، و قد علم أن السماء لا- تمطر ذهبا و لا فضة، و أن الله تعالى يقول فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) .. و هذا الإمام أحمد رضى الله عنه سئل عمن يجلس فى بيته من غير عمل بحجة أن رزقه سيأتيه فأجاب السائل (هذا رجل جهل العلم، أما سمع قول النبى صلى الله عليه و سلم (.. جعل رزقى تحت ظل رمحى ..)، و قوله حين ذكر الطير (.. تغدو خماسا و تروح بطانا ..).

### ١٠. حق التجمع لعمل الخير و نبذ التجمع للشر:

١٠. حق التجمع لعمل الخير و نبذ التجمع للشر: و تعاوتوا على البرِّ و التَّقوى و لا- الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٣٠ تعاوتوا على الإثم و العُدوانِ و اتَّقوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢)، (المائدة: من الآية ٢). و هكذا كان العمل الجماعى للخير أمر فيه خير. ففى الترمذى (الفتن ٢٠٩٢) عن ابن عتياس قال قال رسول صلى الله عليه و سلم: (يد الله مع الجماعة). و تعاون الجماعة فى الإسلام من أعظم القربات إلى الله تعالى، فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهم أخبره أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال «المسلم أخو المسلم لا يظلمه و لا يسلمه و من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته و من فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة و من ستر مسلما ستره الله يوم القيامة»، و عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم «من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة و من يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا و الآخرة و من ستر مسلما ستره الله فى الدنيا و الآخرة و الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه...».

### ١١. ثبت حقوق الزواج و المرأة و الميراث و نظام الأسرة:

١١. ثبت حقوق الزواج و المرأة و الميراث و نظام الأسرة: كما سنفضل لاحقا. لقد كثر الحديث هذه الأيام عن حقوق الإنسان فى دول العالم و فى دول الغرب بالذات و تحديدا فى الولايات المتحدة، فبدأت تسوق هذه الحقوق و كأنها بضاعتها أو أنها وصية عليها، و أصبحت ذريعة فى إخضاع من هم دونها و إيذاء الأمم و الشعوب تحت دعوى الدفاع عن حقوق الإنسان. لكن الواقع يشير و منذ ما يربو عن ال ٥٠ عاما أن الدول الغربية نفسها هى أول من لا يطبق هذه الحقوق إلا فى الأمور التى تفيد مصالح ضيقة لجماعات معينة دون غيرها، و الأمثلة فى هذا أكثر من أن تذكر. إن الكلام عن حقوق الإنسان لا يأخذ مداه ما لم يكن هناك تنفيذ و تفعيل لتلك الحقوق. فبدون منهجية تفعيل حقوق الإنسان و ضماناتها الحقيقية يصبح الكلام عنها و السعى إليها ... كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه و ما هو ببالغه ...، (الرعد: من الآية ١٤) .. فلا- ينفع الكلام و التأشير و التعداد ما لم تقترن بالتطبيق. يذهب علماء القانون العام إلى تقسيم حقوق الإنسان إلى مجموعات من أجل تيسير دراستها، فقسموها إلى مجموعة الحريات الشخصية التى تشمل الحرية الشخصية للفرد و حرية التنقل و السكن و المراسلات، ثم تأتى مجموعة حريات الفكر و تشمل حرية العقيدة و التعليم و الصحافة و الرأى. القسم الثالث هى مجموعات حريات التجمع مثل حرية الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٣١ التظاهر و تأليف الجمعيات و الأحزاب و الحركات، ثم مجموعة الحقوق و الحريات الاجتماعية مثل حق العمل و اختيار نوعه و الراحة و الفراغ و المعونة عند العجز و المرض و الشيخوخة.

ثم تأتي مجموعة الحريات الاقتصادية، مثل حق التملك و التجارة و الصناعة. و مجموعة الحقوق السياسية مثل حق الانتخاب و الترشيح و تقرير المصير ... و قد سبق الإسلام و كما فصلنا آنفا إلى تشريع هذه الحقوق بل أضاف إليها حقوقا أخرى. و رغم أن هذه الحقوق و الحريات جاءت تعدادا و مناشدة في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان غير أنه لا توجد وسائل فعالة لتفعيلها و نقلها من النظرية إلى التطبيق. و فوق ذلك فإنها باتت معرضة لأن تعصف بها العولمة بأبعادها الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية من جهة أخرى، و تحكّم الدول الكبرى المتغترسة التي تشن الإرهاب الدولي تحت غطاء الدفاع عن حقوق الإنسان. و بقي ميثاق حقوق الإنسان حبرا على ورق و لم ينفذ منه شيء، فالعالم اليوم يعيش حالة غالب و مغلوب، و تفرد قوة عظمى بالهيمنة على العالم، بل إنها اختطفت الأمم المتحدة و ميثاقها و جعلتهما ألعوبة في يدها، فكان حق الفيتو سيئ الصيت لصالح مصالح خاصة ضيقة بمجموعة بشرية معينة قمة الإساءة للمنظومة الدولية و حقوق الإنسان، ثم جاء تشكيل المحكمة الجنائية الدولية ليسهم في تعزيز الظلم و الاستبداد في جعل جرائم أميركا و أعوانها في منأى عن المسائلة و العقاب .. لكن الأمر يختلف بالنسبة للشريعة الغراء، التي يستنبط منها نظام كامل متكامل لحقوق الإنسان لا- يهتم بالدرج و التعداد، بل جعل حقوق الإنسان منهجا و فعلا و تطبيقا. و حين كانت أوربا تغط في نوم عميق و تعيش قرونها الوسطى المظلمة تحت جبروت القساوسة و النبلاء و السلطات المطلقة للحكام، جاء الإسلام بتصور شامل لحقوق الإنسان، و كانت دولة الإسلام تنشر العدل و الإحسان، على أسس و مبادئ شرعية قانونية لم تعرفها البشرية من قبل، و كان الخليفة مقيدا بأحكام الكتاب و السنة، ملتزما باحترام حقوق الإنسان و الأفراد و حرياتهم التي نص عليها الإسلام، و وضع الضمانات التي تكفل حمايتها من كل جور و اعتداء .. إن المنهج الإسلامي يقوم على إقامة العدل و تقديمه على السلم عند التقاطع بينهما، و لا يحترم السلم المبني على الظلم، و أعلن القرآن الكريم أن إقرار العدل في الأرض هو أعظم هدف بعد عبادة الله تعالى، و التي هي أعلى غايه على الإطلاق لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيُقُومَ النَّاسُ الْإِقْتِصَادَ وَالْإِجْتِمَاعَ، ص: ٣٢ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (٢٥)، (الحديد: ٢٥). و قوله تعالى فَقاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ، (الحجرات: من الآية ٩) .. و بعد فإن الإسلام أسس على الأرض أول دولة قانونية تخضع فيه السلطة خضوعا تاما لقيود تسمو عليها، لأن مصدرها كتاب الله و أساسها الفكري العقيدة، لا تقبل التلبس بالظلم و الباطل و كما ذكرنا في قصة الإمام على عليه الرضوان و السلام مع اليهودي، ترعى حقوق الإنسان من خلال منظومة كاملة من الأحكام، و حقوق الإنسان في الإسلام ذات صفة دينية تقوم على العقيدة و العبادات، و هي ليست منحة من بشر و إنما هي منح إلهية واجبة على الجميع، و لا مجال فيها لاستثناء أو تمييز ما بين حاكم و محكوم «١».

### منزلة المرأة و الأسرة في الإسلام:

منزلة المرأة و الأسرة في الإسلام: رغم أننا قد تحدثنا عن بعض أوجه العظمة و الروعة في التشريع الإسلامي في الزواج و أسس تكون الأسرة في كتاب الطب النفسي، إلا- إننا هنا سنحاول الولوج أكثر في هذا الموضوع. إن من أشد ما تبتلى به الأمم و المجتمعات و الأفراد عدم الاتعاظ بأخطاء و تجارب غيرها من الأمم و المجتمعات البشرية على المستويين الفردي و الجماعي، و لذا حفل القرآن الكريم بقصص الأمم السابقة، فأحد أسباب ارتقاء العنصر البشري مقارنه بغيره من المخلوقات تراكم الخبرات بين الأجيال و انتقالها بين الأمم، لكن كثيرا ما يتخلى الإنسان عن هذه الميزة من تلقاء نفسه فيكرر أخطاء غيره و يطيل فترة تطوره و تقدمه. و من الأخطاء التي ما زالت تعاني منها الأمة و مجتمعاتها استيراد أنماط اجتماعية و اقتصادية غريبة ذات قضايا و اهتمامات مختلفة تماما عن واقعنا و حاجتنا. لقد عشنا قرونا عديدة لا نجادل في مسلمة جاءت في كتاب الله تعالى تقول: ... وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى ...، فلم يكن رجالنا يرون في ذلك ميزة لهم- إلا- حالات شاذة لا يقاس عليها-، و لم تكن نساؤنا يرين فيها إقلاقا من شأنهن أو حطا من قدرهن، بل هي توصيف لواقع و فطرة نراها (١)

مقاله للأستاذ الدكتور أكرم عبد الرزاق المشهدانى بمجله التريبه الإسلاميه بعنوان حقوق الإنسان بين الشريعة و القوانين الوضعيه، السنه ٣٥- العدد ١٢، ص ٤٩-٥٣، بتصرف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٣٣ شاخصه ليس فقط بين بنى البشر بل بين الذكر و الأنثى لدى مخلوقات الله تعالى مما نرى حولنا. لكن هذا الواقع تغير لا بسبب اكتشاف جديد وضعنا أيدينا عليه أو مشكله نجمت عن هذه المسلمه، بل لأن تيارا فى بعض بلدان الغرب سعى لأن يكون عكس ذلك بدعوى أن المرأة مظلومه لأنها لم تعط حقوقها عبر التاريخ، فجاءت استجابات مجتمعاتنا لهذه الدعوى سريعه دون تمحيص أو تروى لمعرفة الحقيقه و إعطاء كل ذى حق حقه، فالمرأة فى الغرب تخرج امرأة تقود طائره حريه، فنفع حتى و لو كنا لا نقاتل أعدائنا، و هم يعملون فرق رياضيه نسويه فى الجمباز الخليع فنفع و لكن بالبنتال، و المرأة عندهم تلبس الخليع لموضه خريف عام كذا فنفع و نقتل كالبغاوات و الأرجوزات، و غير ذلك من الأمثله التى تنم عن عقد نفسيه مترسخه فى كثير ممن ينتمون لهذه الأمه بالاسم فقط، اسمها الغرب. إن حقيقه كون الجنسين متساويين فى كل شىء و بشكل مطلق تم ترويجها فى السنين الأخيره من حياة البشره، فدعوى تحرير المرأة و دعوى المساواه و إنقاذ الجنس اللطيف من همجيه الرجال و تسلطهم جاءت متأخره و بالتحديد فى القرنين الماضيين فقط. فلم نسمع فى تاريخ الحضارات جميعا صدى لهذه الدعوه، لا لأن الرجل كان يضطهد المرأة و يبيعها فى سوق النخاسه، أو يتمتع بها و يرميها، أو لأسباب أخرى، و إنما لأن هذه الدعوه هى باختصار كلمه حق يراد بها باطل. فحقيقه أن المرأة مضطهده فى كثير من حقوقها لا ينكرها عاقل، و لكن المشكله هذا التكال و الثوره غير المنضبطه فى سبيل تحقيق ما يزعم أنه تطبيق عادل لما يضمن للمرأة حقوقها المتكافئه مع حقوق الرجل بما يجعل المجتمع يسير فى طريق الخير و المساواه، و لكن الحقيقه أن المسأله أخطر من ذلك بكثير. لقد أعطى الإسلام حقوقا للمرأة و تكريما لم يشهد التاريخ البشرى مثيلا- له من قبل، فقد كانت البنت محتقره، و محل سخرية و تدمر لأهلها فى أغلب المجتمعات البشره قبل الإسلام، و لا يقتصر ذلك على عرب الجزيره كما يظن البعض و إن كان يبدو أن الأمر لدى العرب يأخذ منحى أكبر، فقد كانت توأد و تدفن حيه لمجرد كونها أنثى، فكان هذه الأفعال و غيرها من أشد الأفعال التى ردها الإسلام و حزمها بقوله تعالى أ فَاصْرِفْكُمْ عَنْ رُبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَ اتَّخِذْ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠)، الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٣٤ (الإسراء: ٤٠) .. و إذا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٍ (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩)، (النحل) .. أم اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَ أَصْفَاكُم بِالْبَيْنِ (١٦) وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٍ (١٧) (الزخرف) .. وَ إِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (٩)، (التكوير). و هكذا نزل القرآن الكريم ليعطى المرأة المنزله الرقيه التى تستحق، فأفرد لها سورة باسمها (سورة النساء) و التى ثبتت حقيقه مهمه فى بداياتها و هى مساواه المرأة للرجل فى النشأه و الخلق و العبوديه لله تعالى يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)، (النساء: ١). فكلمه زوج تعنى المقابله، فللزوجه فى القرآن عدده معانى و هنا تعنى التقابل أو التكامل أو المساواه و ليس التضاد ... كذلك جمع الله تعالى بين الجنسين فى مهمه استخلاف الله البشر على إدارة الأرض و إصلاحها و هو يقصد جنس البشر ذكرا كان أو أنثى (البقره: ٣٠)، و سوى بين الجنسين فى التكريم و التفضيل الذى خص به الإنسان (الإسراء: ٧٠)، و ساوى بينهما فى الخلق من طين (ص: ١٦)، و نفى الإسلام عن المرأة مسئولية الخطيئه الأصلية. كما ركزت الآيات و الأحاديث على المساواه فى العمل من عمَلٍ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)، (النحل: ٩٧). هنا تجدر الإشارة إلى أن تقديم الذكر على الأنثى لا يفيد التفضيل كما يظن البعض، فكما يعلم من قواعد اللغه و الأحكام الشرعيه أن التغليب هنا يفيد المساواه، فالقرآن كان يمكن أن يشير إلى النساء بصيغه جمع المذكر الذى يفهم على أنه يعنى الإناث أيضا، و هذا يعرف لغه بالتغليب، و لكن القرآن فضل الوضوح منعا للبس و تأكيداً للمساواه. كذلك ساوى الشرع الحنيف بين الجنسين فى اكتساب الأجر و لا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا كَتَبْنَا وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا، (النساء: الإقتصاد و

الإجتماع، ص: ٣٥ ٣٢). كما ساوى الإسلام بين الجنسين فى الولاية و تولى المسئوليات كالدعوة إلى الله و عمل الخير و النهى عن الشر و الجهاد و غير ذلك من المسئوليات التى تقيم المجتمع و الدولة بقوله تعالى: وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٧١)، (التوبة: ٧١). و قد كانت السيدة عائشة رضى الله عنها من كبار رواة الحديث و عنها قال عروة بن الزبير (ما رأيت أحدا أعلم بفقهِه أو طب أو شعر من عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها). و يروى أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولى (أم الشفاء بنت عبد الله) على مرفق اقتصادى مهم هو حسبه السوق. كما أن سمراء بنت نهيك الأسديّة كانت تمر بالسوق تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر. و هناك أميرات و لىن الحكم فى التاريخ الإسلامى كشجرة الدر وقت المماليك فى مصر. كما ساوى الإسلام الجنسين بمسئوليته تحمل النتائج بغض النظر عن الفاعل: كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)، (المدثر: ٣٨) .. و أخرج البخارى فى صحيحه (كتاب الجمعة ٨٤٤) عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته الإمام راع و مسئول عن رعيته و الرجل راع فى أهله و هو مسئول عن رعيته و المرأة راعية فى بيت زوجها و مسئولة عن رعيتهما و الخادم راع فى مال سيده و مسئول عن رعيته و كلكم راع و مسئول عن رعيته). أما عن العقوبة لجرم كالسرقة فقد قدم الرجل السارق على المرأة السارقة لأنه الأقدر على ذلك: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣٨)، (المائدة: ٣٨). بينما فى الزنا قدمت المرأة الزانية فى العقوبة على الرجل لأن يبيدها إتمام الجرم من عدمه، فهى تستطيع منع الجرم إن أرادت حتى و إن أراد الرجل الزانى الزانية وَ الزَّانِي فَاجْتَدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَ لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ لَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢)، (النور: ٢). و القاعدة الفقهيّة فى هذا الباب الذى يعنى بالعقوبات الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٣٦ و المعروف قانونا بالمساواة القانونية بين الجنسين تقول (النساء شقائق الرجال). و لكن الإسلام غلظ العقوبة فى الدنيا و الآخرة على الذين يدعون أمر الزنا على المرأة دون بينه و يتهمونها جزافا و بهتاناً، إذ عليهم بأربعة شهود على دقة ادعاءهم: وَ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤)، (النور: ٤) .. إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ، (٢٣)، (النور: ٢٣). أما فى المعاملة فقد أمر الشرع الحنيف الرجال بحسن المعاملة مع النساء، فهما هو رسول الله صلى الله عليه و سلم يوصينا بالنساء فى كل الأوقات، بل و حتى قبل وفاته صلى الله عليه و سلم كان آخر كلامه أن استوصوا بالنساء خيراً، و كان أحن الناس على أزواجه، فهى الحديث الذى أخرجه الترمذى (المناقب ٣٨٣٠) عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلى) .. و فى بعض أسفاره كان يأخذ إحدى زوجاته صلى الله عليه و سلم فحصل أن ساق الحادى الجمل بقوة فوبخه صلى الله عليه و سلم على هذا الفعل و أمره أن يرفق بالقوارير أى بالنساء، و سماهن كذلك لرقتهن، فقد أخرج البخارى فى الأدب (٥٧٤١) عن أنس بن مالك قال كان النبى صلى الله عليه و سلم فى مسير له فحدا الحادى فقال النبى صلى الله عليه و سلم: (ارفق يا أنجشة و يحك بالقوارير). و المتتبع لسيرة المصطفى صلى الله عليه و سلم و سير الصحابة و التابعين يجد القصص الرائعة التى تدرى لها الدموع من فرط المحبة و الإخلاص و حسن التعامل و المودة بين الزوجين فى البيت المسلم و بين الحاكم و المحكوم فى حالة الدولة و القضاء. أما قدسية الزواج فقد كرم الإسلام الزوجة أيما تكريم منذ خطبتها و حتى أقرب الأجلين الموت أو التفريق إن حصل و ما يتخلل ذلك من معاملات، و فى كلتا الحالتين لا- يجوز للزوج أن يأخذ من الزوجة ما قدمه لها إلا إذا أتت بفاحشة و إن أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِخْرَاجَهُمْ فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أ تَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠)، (النساء: ٢٠). و أما الزوجة الصالحة فقد جعلت أعظم كنز يعطى للرجل فى دنياه. فهى سنن أبى داود (الزكاة ١٤١٧) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ وَ الَّذِينَ يَكْبُرُونَ الدَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ ... قال كبر ذلك على المسلمين فقال عمر رضى الله عنه أنا أفرج عنكم فانطلق فقال يا نبى الله إنه كبر على الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٣٧ أصحابك هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إن الله لم

يفرض الزكاة إنما ليطيب ما بقي من أموالكم وإنما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم، فكثير عمر ثم قال له (ألا أخبرك بخير ما يكتز المرء المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته و إذا أمرها أطاعته و إذا غاب عنها حفظته). أما تعدد الزوجات و التي أخذها الغرب حجة على الإسلام كما توهموا، فهي اختيارية و شرعت لأسمى غرض و هو الخوف على النساء من الضياع خصوصا أولاء الأطفال منهن و الذين لا يجدون من يعيلهن، فهي اختيار و بشروط مهمة أهمها إقامة العدل بينهن فإذا تعذر ذلك فزوجة واحدة تكفي و إن خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانكحُوا ما طاب لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا (٣)، (النساء: ٣). تدبر الآية و انظر أنها شرطية ابتدأت ب (و إن) أداة شرط. أي إن خفتم ألا تعطوا اليتامى حقوقهم فلکم أن تتزوجوا من أمهاتهن لترعوهم، ثم تعود الآية لتقول، ف (إن) مرة أخرى خفتم ألا تعدلوا بين النساء فزوجة واحدة فقط. و يدل على صعوبة القدرة على العدل بين النساء قوله تعالى وَ لَنْ تَشْتَطِعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَ لَوْ حَرَضْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَدْرُوا كَالْمَعَلَقَةِ وَ إِنْ تُضْلِحُوا وَ تَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا (١٢٩)، (النساء: ١٢٩). و كان رسول الله صلى الله عليه و سلم دائما ما يطبق العدل بين الزوجات في الأمور الدنيوية و المعيشية فيوزع عليهن الرزق بالتساوي و كذلك كان يعطيهم حق الزوجية دون تمييز، أما في الأمور العاطفية فقد كانت السيدة عائشة رضی الله عنها أحب زوجاته إلى قلبه و أمور القلب ليس للإنسان عليها من سلطان. فقد أخرج الترمذي (النكاح ١٠٥٩) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يقسم بين نسائه فيعدل و يقول: (اللهم هذه قسمتي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك و لا أملك)، قال أبو عيسى حديث عائشة هكذا رواه غير واحد مرسلا. و معنى قوله لا تلمني فيما تملك و لا أملك إنما يعني به الحب و المودة كذا فسره بعض أهل العلم. و لك أخى الكريم أن تعرف سماحة الإسلام في التشريع الذى ينظر لكل الناس صغيرهم و كبيرهم ذكرهم و أنثاهم ليحقق العدل. فكل تلك التفاصيل لتبين لك عظمة الزواج و مكانة الزوجة، كيف لا و قد جعلت وثيقة الزواج ميثاقا غليظا يشبه الميثاق الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٣٨ الغليظ الذى أعطى لأولى العزم من الأنبياء عليهم السلام و كما فصلنا فى كتاب الطب. و لقد ذكرنا بعض الحالات التى ساهمت فيها المرأة فى الحرب و السلم و التمريض فى كتاب الطب، و نضيف أن الإسلام أعطى حقا للمرأة فى أمور عديدة اقتصادية و اجتماعية و علمية و غيرها. و لكن الشرع الحنيف ثبت حقائق واضحة لا يمكن تجاوزها، ألا و هى أن الرجل أفضل من المرأة لا لغرض التفضيل المتعصب، و لكن لأن الرجل يمتلك من المقومات الخلقية و الخلقية ما يجعله كذلك. على أن الجهال و أصحاب الأغراض و المصالح الضيقة و الفهم القاصر للدين استغلوا هذه الحقيقة فقدموا نماذج صارخة لظلم المرأة و استغلالها السيئ عبر التاريخ قديمه و حديثه، فحصلت ردة فعل طبيعية للمرأة معتقدة أن الثورة على التقاليد الشرعية و نفى الدين و إبعاد الشريعة عن واقعنا هو الحل، فتسمت الأفكار بدعاوى الغرب فى تحرير المرأة، و التى جاءت بعد عقود الظلم التى عاشتها هنا. يبين الله تعالى أن للذكر أحقية عن الأنثى من أوجه عدة لا لتحقير المرأة بل لتكريمها. فكما أن الملك أو المسئول يحمى من قبل أناس متخصصون أقوى منه خوفا من غدر الغادرين، و كما أن الجواهر تحمى فى زجاج خاص خوفا من السراق، كذلك المرأة جعلت بهذه المواصفات كى تكرم و تحمى لأنها لا تقدر على معترك الحياة القاسية لوحدها دون رجل يقوم عليها و يحميها و يوفر لها سبل العيش الرغيد، تماما كما أن الرجل القوى لا يقدر على هذه الحياة بدون المرأة.. و هنا نريد أن نعكس الحالة فنقول مثلا لما ذا أحل الله الفضة للمؤمنين من الذكور فى الدنيا و حرّم الذهب، بينما أحلها للإناث، هل ليحقر الرجال مثلا دون النساء، أم فى المسألة اعتبارات أخرى؟! لقد أثبتت البحوث الطبية أن الذهب يؤثر على كريات الدم الحمراء للرجال دون النساء بسبب وجود طبقة شحمية بين الجلد و اللحم للنساء تمنع الإشعاعات الناتجة من معدن الذهب. و الذى يبلغ عمر النصف فيه ٧، ٢ يوما، بينما لا تؤثر إشعاعات معدن الفضة على الرجال و النساء، كما أثبتت البحوث الطبية العديدة أن إشعاعات الذهب لها دور سلبي على الهرمونات الجنسية الذكورية. و عن كتاب أطلس الكون الذرى للدكتور أنيس الراوى، فإن جسم الإنسان لا يحوى على الفضة فى تركيبه بينما يحوى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٣٩ الذهب و اليورانيوم و الحديد و أغلب العناصر الأخرى، كما و أن الفضة و الذهب كأوان يتفاعلان مع مركبات الطعام لتكوين مركبات تتفاعل مع الأتريومات البشرية فتكون

مادة تؤذى صحة الجسم .. وهذا بالضبط ما اخبرنا به صلى الله عليه و سلم بقوله «الذهب و الحرير حرام على ذكور أمتي حل لإنائها» (١)، و قد نهانا صلى الله عليه و سلم عن الشرب بآنية الذهب و الفضة و لبس الحرير و الديباج و قال «هى لهم فى الدنيا و لكم فى الآخرة» (٢)، كما و أن الفضة أرخص بكثير من الذهب و هى ثلاثم حالة الأمة الوسط التى ارادها الله لأمتنا. و هذا ما يثبت لنا مدى الفائدة العظيمة من تحريم الذهب على الرجال من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم بسببها و كم أن الإسلام يراعى الناس بكل أحوالهم، فما من تحريم لشيء إلا و جاء بسبب فائدة إما صحية أو اجتماعية أو نفسية أو غيرها. إذن، هنا اختصاص لحالة عامة إذ أن التحريم للذهب جاء للذكور لأسباب عدة منها صحية و منها نفسية و اجتماعية و غيرها و ليس تحقيرا لهم بل تكريما و فائدة، و نفس الكلام ينطبق على التفاصيل الشرعية فى حقوق المرأة و واجباتها. هذه الحقيقة تؤكد أن تكريم المرأة و علو شأنها فى الإسلام جاء لعظمه دورها فى المجتمع الإسلامى، و كما أن الذهب يتعب لاستحصاله فهو إما فى باطن الأرض أو عند الجواهرى فلا يستحصل إلا بمال كثير فكذلك المرأة المسلمة كثر لا يرى إلا لصاحبه و لا يستحصل إلا بتعب و ثمن غال و كل من يريد أن يغير هذه السنة الا و هى كرامة المرأة و سترها و حجابها و عدم ظهور زينتها إلا لزوجها و المحارم فقد ساهم فى تغيير سنة الله فى خلقه و تناغم مخلوقاته و الله يريد أن يتوب عليكم و يريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما (٢٧)، (النساء: ٢٧)، و الله أعلم (٣). جاءت الآيات التى تؤكد على حقيقة قوامه الذكر على الأنثى كما يلى: ١. فى المجال القضائى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى (١) أخرجه النسائى (الزينة ٥١٤٤)، أبو

داود (اللباس ٤٠٥٧) ابن ماجه (اللباس ٣٥٩٥). (٢) أخرجه البخارى (كتاب الأتربة- ٥٦٣٢) مسلم (اللباس و الزينة- ٢٠٦٧) و الترمذى و النسائى و أبو داود و ابن ماجه. (٣) المنظار الهندسى للقرآن الكريم، للمؤلف، ص (٥٧٢- ٥٨٢)، بتصرف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٤٠ فَاكْتُبُوهُ وَ لِيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَ لَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَ لِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَ لِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمْلِئَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ لِئِنَّهُ بِالْعَدْلِ وَ اسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ أَمْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَ لَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَ لَا تَسْتَأْذِنُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَافِيًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكَ أَمْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَ أَذْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَ أَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَ لَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَ لَا شَهِيدٌ وَ إِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُشِقَ بِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يَعْلَمُكُمُ اللَّهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)، (البقرة: ٢٨٢) .. يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك و إن كانت واحدة فلها النصف و لأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد و ورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين أبائكم و أبناءكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما (١١)، (النساء: ١١) .. فى هذه الآيات المباركات دلائل و استنباطات عديدة منها اقتصادية فى أهمية الاكتتاب و العقد و الشهود، و منها اجتماعية لغرض تثبيت الحقوق لكل الأطراف فى الميراث و العقود، و منها حقائق علمية فى أن حقل الذاكرة فى دماغ الرجل أكبر منه عند الأنثى لذلك يتم الاعتماد فى الشهادة على الرجال أكثر من النساء، و قد فصلنا فى هذا فى كتاب الجملة العصبية. ٢. فى المجال الفيزيائى و الجسمانى: فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَ لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَ إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَ إِنِّي أُعِيدُهَا بِحُكِّ وَ ذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦)، (آل عمران: ٣٦) .. الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ بِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَ اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِالإقتصاد و الإجتماع، ص: ٤١ كَبِيرًا (٣٤)، (النساء: ٣٤) .. تبين الآيات أن الرجال أكثر قوة فى أمر العمل و المشاق الجسمانية من المرأة. و كان لهذا التفضيل السبب الرئيس الذى جعل للرجل القويمية على الأسرة.

معنى القوامه في الإسلام: لكي نفهم المسأله علينا فهم الآيه من خلال علوم القرآن الكريم من حيث الإعراب و سبب النزول و التفسير لغه و اصطلاحا و معنى. و ذلك من خلال مراجعتنا لما ذكرته المصادر التاليه: ١. التبيان في إعراب القرآن (ج: ١ ص: ١٧٨): قوله تعالى قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ عَلَى متعلقه بقوامون و بما متعلقه به أيضا و لما كان الحرفان بمعنيين جاز تعلقهما بشيء واحد "فعلى" على هذا لها معنى غير معنى الباء و يجوز أن تكون الباء في موضع الحال فتتعلق بمحذوف تقديره مستحقين بتفضيل الله إياهم و صاحب الحال الضمير في قوامون و ما مصدرية فأما ما في قوله و بما أنفقوا فيجوز أن تكون مصدرية فتتعلق من بأنفقوا و لا حذف في الكلام و يجوز أن تكون بمعنى الذى و العائد محذوف أى و بالذى أنفقوه فعلى هذا يكون من أموالهم حالا- فالصالحات مبتدأ قانتات حافظات خبران عنه و قرئ فالصالح قوانت حوافظ و هو جمع تكثير دل على الكثرة و جمع التصحيح لا يدل على الكثرة بوضعه و قد استعمل فيها كقوله تعالى وَ هُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ بما حفظ الله في ما ثلاثه أوجه بمعنى الذى و نكرة موصوفة و العائد محذوف على الوجهين و مصدرية و قرئ بما حفظ الله بنصب اسم الله و ما على هذه القراءة بمعنى الذى أو نكرة و المضاف محذوف و التقدير بما حفظ أمر الله أو دين الله و قال قوم هى مصدرية و التقدير حفظهن الله و هذا خطأ لأنه إذا كان كذلك خلا الفعل عن ضمير الفاعل لأن الفاعل هنا جمع المؤنث و ذلك يظهر ضميره فكان يجب أن يكون بما حفظهن الله و قد صوب هذا القول و جعل الفاعل فيه للجنس و هو مفرد مذكر فلا يظهر له ضمير و اللاتى تخافون مثل قوله و اللاتى يأتين الفاحشه و مثل و اللذان يأتيناها و قد ذكروا و اهجروهن فى المضاجع فى وجهين أحدهما هى ظرف للهجران أى اهجروهن فى مواضع الاضطجاع أى اتركوا مضاجعهن دون ترك مكالمتهن. ٢. العجائب فى بيان الأسباب (ج: ٢ ص: ٨٦٨-٨٦٩): قوله تعالى (الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ)، الآيه. أخرج ابن أبى حاتم من الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٤٢ طريق أشعث بن عبد الملك عن الحسن قال جاءت امرأة إلى النبى تستعدى على زوجها أنه لطمها فقال رسول الله القصاص فأنزل الله تعالى الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ الآيه فرجعت بغير قصاص و أخرجه عبد بن حميد و ابن المنذر من طريق حماد بن سلمه و أخرجه الواحدى من طريق هشام كلاهما عن يونس و أخرج ابن المنذر من طريق جرير بن حازم كلاهما عن الحسن أن رجلا لطم امرأته فخاصمته إلى النبى فجاء أهلها معها فذكر نحوه و فيه فجعل رسول الله يقول القصاص القصاص و لا يقضى قضاء فأنزل الله هذه الآيه فقال النبى أرادوا أمرا و أراد الله غيره و نقل الثعلبى عن الكلبي قال نزلت فى سعد بن الربيع و امرأته عميرة بنت محمد بن مسلمه و ذكر نحو القصة الآتية عن مقاتل ... و نقل عن أبى روق أنها نزلت فى جميلة بنت عبد الله بن أبى و زوجها ثابت بن قيس بن شماس كانت نشزت عليه فلطمها فاستعدت عليه فنزلت قلت و قد تقدم ذكر هذه الأخيرة فى تفسير البقرة فى قوله تعالى فيما افتدت به و كان ذلك الخلع أول خلع فى الإسلام و قال مقاتل نزلت فى سعد بن الربيع كان من النقباء و امرأته حبيبة بنت زيد بن أبى زهير و هما من الأنصار و ذلك أنها نشزت عليه فلطمها فانطلق أبوها معها إلى رسول الله فقال أفرشته كريمتى فلطمها فقال لتقتص من زوجها فانصرفت مع أبيها لتقتص منه فقال النبى ارجعا هذا جبريل أتانى فأنزل الله تعالى الرجال قوامون على النساء الآيه، فقال النبى أردنا أمرا و أراد الله أمرا و الذى أراد الله خير و رفع القصاص و قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة صك رجل امرأته فأنت النبى فأراد أن يقيدها منه فنزلت و أخرجه عبد بن حميد من روايه سعيد بن أبى عروب عن قتادة بلغنا فذكر. ٣. لسان العرب (ج: ١٢ ص: ٤٩٧، ٥٠٣-٥٠٥): و القامة جمع قائم عن كراع قال ابن برى رحمه الله قد ترتجل العرب لفظه قام بين يدي الجمل فيصير كاللغو و معنى القيام العزم كقول العماني الراجز للرشيد عند ما هم بأن يعهد إلى ابنه قاسم قل للإمام المقتدى بأمه ما قاسم دون مدى ابن أمه فقد رضيناه فقم فسمه أى فاعزم و نص عليه، و منه قوله تعالى وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ أى لما عزم و قوله تعالى إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أى عزموا فقالوا قال و قد يجىء القيام بمعنى المحافظة و الإصلاح و منه قوله تعالى الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٤٣ النساء و قوله تعالى إِذَا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا أى ملازما محافظا و يجىء القيام بمعنى الوقوف و الثبات. يقال للماشى قف لى أى تحبس مكانك حتى آتيك و كذلك قم لى بمعنى قف لى

وعليه فسروا قوله سبحانه وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ وَ التفسير قاموا هنا بمعنى وقفوا و ثبتوا في مكانهم غير متقدمين و لا متأخرين و منه التوقف في الأمر و هو الوقوف عنده من غير مجاوزة له و منه الحديث المؤمن وقاف متأن. و منه قامت الدابة إذا وقفت عن السير و قام عندهم الحق أى ثبت و لم يبرح و منه قولهم أقام بالمكان هو بمعنى الثبات. و يقال قام الماء إذا ثبت متحيراً لا يجد منفداً و إذا جمد أيضاً، و قامت السوق إذا نفقت و نامت إذا كسدت و سوق قائمة نافقة و سوق نائمة كاسدة و قاومته قواماً قمت معه صحت الواو في قوام لصحتها في قاوم و القومة ما بين الركعتين من القيام قال أبو الدقيش أصلى الغداة قومتين و المغرب ثلاث قومات و كذلك قال في الصلاة. و قام الرجل على المرأة مانها و إنه لقوام عليها مائن لها و في التنزيل العزيز الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ و ليس يراد هاهنا و الله أعلم القيام الذى هو المثل و التنصب و ضد القعود إنما هو من قولهم قمت بأمرك، فالرجال متكفلون بأمور النساء معنيون بشؤونهن و كذلك قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ أَى إِذَا هَمَّمْتُمْ بِالصَّلَاةِ و توجهتم إليها بالعناية و كنتم غير متطهرين فافعلوا كذا. و أقام الصلاة إقامةً و أقام إقامةً على العوض و إقاماً بغير عوض و فى التنزيل و أَقَامَ الصَّلَاةَ و من كلام العرب ما أدرى أ أذن أو أقام يعنون أنهم لم يعتدوا أذانه أذانا و لا إقامته إقامةً لأنه لم يوف ذلك حقه فلما ونى فيه لم يثبت له شيئاً منه إذ قالوها بأو و لو قالوها بأم لأثبتوا أحدهما لا محالة و قالوا قيم المسجد و قيم الحمام قال ثعلب قال ابن ماسويه ينبغي للرجل أن يكون فى الشتاء كقيم الحمام و أما الصيف فهو حمام و جمع قيم عند كراع قامه قال ابن سيده و عندي أن قامه إنما هو جمع قائم على ما يكثر فى هذا الضرب و الملة القيمة المعتدلة و الأمة القيمة كذلك و فى التنزيل وَ ذَلِكَ دِينَ الْقِيَمَةِ أَى الأمة القيمة و قال أبو العباس و المبرد هاهنا مضمراً أراد ذلك دين الملة القيمة فهو نعت مضمراً محذوف و قال الفراء هذا مما أضيف إلى نفسه لاختلاف لفظيه قال الأزهرى و القول ما قالوا و قيل الهاء فى القيمة للمبالغة و دين قيم كذلك و فى التنزيل الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٤٤ العزيز دِيناً قِيَمًا مَلَّةً إِبْرَاهِيمَ و قال اللحيانى و قد قرئ دينا قيما أى مستقيماً قال أبو إسحاق القيم هو المستقيم و القيم مصدر كالصغر و الكبر إلا- أنه لم يقل قوم مثل قوله لا يَبْعُونَ عَنْهَا حَوْلًا لَأَنَّ قِيَمًا مِنْ قَوْلِكَ قَامَ قِيَمًا و قام كان فى الأصل قوم أو قوم فصار قام فاعتل قيم و أما حول فهو على أنه جار على غير فعل و قال الزجاج قيما مصدر كالصغر و الكبر و كذلك دين قويم و قوام و يقال رمح قويم و قوام قويم أى مستقيم، قال إلا أن القيم مصدر بمعنى الاستقامة ... و فى الحديث تسوية الصف من إقامة الصلاة أى من تمامها و كمالها قال فأما قوله قد قامت الصلاة فمعناه قام أهلها أو حان قيامهم و فى حديث عمر فى العين القائمة ثلث الدينة هى الباقية فى موضعها صحيحة و إنما ذهب نظرها و إبصارها و فى حديث أبى الدرداء رب قائم مشكور له و نائم مغفور له أى رب متعبد يستغفر لأخيه النائم فيشكر له فعله و يغفر للنائم بدعائه و فلان أقوم كلاماً من فلان أى أعدل كلاماً و القوم الجماعة من الرجال و النساء جميعاً و قيل هو للرجال خاصة دون النساء و يقوى ذلك قوله تعالى لا يَسْخَرُونَ قَوْمًا مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ و لا نِسَاءً مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ أى رجال من رجال و لا- نساء من نساء فلو كانت النساء من القوم لم يقل و لا نساء من نساء، و قوم كل رجل شيعته و عشيرته و روى عن أبى العباس النفر و القوم و الرهط هؤلاء معانهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم للرجال دون النساء و فى الحديث إن نسانى الشيطان شيئاً من صلاتى فليسبح القوم و ليصفق النساء قال ابن الأثير القوم فى الأصل مصدر قام ثم غلب على الرجال دون النساء و لذلك قابلهن به و سموا بذلك لأنهم قوامون على النساء بالأمور التى ليس للنساء أن يقمن بها الجوهري القوم الرجال دون النساء لا- واحد له من لفظه قال و ربما دخل النساء فيه على سبيل التبع لأن قوم كل نبى رجال و نساء و القوم يذكر و يؤنث لأن أسماء الجموع التى لا واحد لها من لفظها إذا كانت للآدميين تذكر و تؤنث مثل رهط و نفر و قوم قال تعالى وَ كَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ فَذَكَرَ و قال تعالى كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) فأنث قال فإن صغرت لم تدخل فيها الهاء و قلت قويم و رهيط و نفر و إنما يلحق التأنيث فعله و يدخل الهاء فيما يكون لغير الآدميين مثل الإبل و الغنم لأن التأنيث لازم له و أما جمع التكسير مثل جمال و مساجد و إن ذكر و أنث فإنما تريد الجمع إذا ذكرت الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٤٥ و تريد الجماعة إذا أنثت ابن سيده و قوله تعالى كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) إنما أنث على معنى كذبت جماعة قوم نوح و قال المرسلين و إن كانوا كذبوا نوحاً وحده لأن من



كذب رسولا واحدا من رسل الله فقد كذب الجماعة وخالفها لأن كل رسول يأمر بتصديق جميع الرسل و جائز أن يكون كذبت جماعة الرسل و حكى ثعلب أن العرب تقول يا أيها القوم كفوا عنا و كف عنا على اللفظ و على المعنى و قال مرة المخاطب واحد و المعنى الجمع و الجمع أقوام و أقوام و أقيام كلاهما على الحذف قال أبو صخر الهذلي أنشدته يعقوب: فإن يعذر القلب العشيء في الصبا فؤادك لا- يعذرك فيه الأقوام و يروى الأقيام و عنى بالقلب العقل و أنشد ابن بربى لخزر بن لوذان: من مبلغ عمرو بن لآى حيث كان من الأقوام و قوله تعالى فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ قال الزجاج قيل عنى بالقوم هنا الأنبياء عليهم السلام الذين جرى ذكرهم، آمنوا بما أتى به النبي صلى الله عليه و سلم في وقت مبعثهم و قيل عنى به من آمن من أصحاب النبي و أتباعه و قيل يعنى به الملائكة فجعل القوم من الملائكة. ٤. تفسير البيضاوى (ج: ٢ ص: ١٨٤): الرجال قوامون على النساء يقومون عليهن قيام الولاة على الرعية و علل ذلك بأمرين وهبى و كسبى فقال بما فضل الله بعضهم على بعض بسبب تفضيله تعالى الرجال على النساء بكمال العقل و حسن التدبير و مزيد القوة فى الأعمال و الطاعات و لذلك خصوا بالنبوة و الإمامة و الولاية و إقامة الشعائر و الشهادة فى مجامع القضايا و وجوب الجهاد و الجمعة و نحوها و التعصيب و زيادة السهم فى الميراث و الاستبداد بالفراق و بما أنفقوا من أموالهم فى نكاحهن كالمهر و النفقة. إذن يفهم من معنى القوامه من كل ما سبق أنها تعنى الاهتمام، العناية، الرعايه، توفير الأمن و السكن و الطعام و الملابس و كل شئون الحياة، تقديم المشورة و النصيح. و كل تلك المعانى تتطلب الخلق الحسن و حسن المعامله و العشرة و الإحسان و الصبر على المرأة إن حصل منها تقصير فى شئون معينه بل و حتى فى شئون الطاعة لقوله تعالى: وَ أْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَ اضْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْئَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَ الْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى (١٣٢)، الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٤٦ (طه: ١٣٢). و يتبين من مراجعه المصادر أعلاه أن من ضمن أسباب التنزيل للآيه أن رجلا قد ضرب امرأته فجاءت تشتكى إلى النبي صلى الله عليه و سلم لأنها تعرف أنه صلى الله عليه و سلم سيأخذ لها الحق، و قد هم بأخذ القصاص لها لو لا- أن جبريل عليه السلام، جاء بالأمر الإلهي أن الرجال أحق بالقوامه. و لا يظن البعض هنا أن الرجال من حقهم ضرب المرأة لآى سبب، و إنما جاءت الآيه لتعطى معنى أنه فى حالة استخدام الضرب كحل أخير بعد انتهاء كل الأساليب الأخرى يكون تأديبيا و ألا يكون مبرحا و يتجنب الوجه كما جاء فى الأحاديث، و لكى يعطى قناعه أنه فى حالة الحصول لا يفترض القصاص المقابل من قبل المرأة للرجل بضربه لأنه لو شرع ذلك فللك أن تتخيل أن المرأة تضرب زوجها، فهل تبقى بعد ذلك قيمه للزوج كقيم عليها واجب الاحترام. و بالمقابل على الزوج أن يتجنب الضرب و الإهانة و يستخدم الحجة و يتحلى بالصبر. القوامه التى عنتها الآيه الكريمة لا تكون للرجل بوصفه ذكرا على المرأة بوصفها أنثى لقوة جسمه و تحمله المشاق حسب، و لكن يكون له بما يكتسبه من أخلاق، و يمارسه من أدوار على المرأة بما تكتسبه من أدوار و أخلاق، فقد خلق الله تعالى الذكر و فيه استعداد فطرى لكى يكون رجلا مسئولا و راعيا كما خلق المرأة و لها استعداد فطرى لتكون حانية راعيه مهمته بشئون أولادها و زوجها. و اكتساب القوامه للرجل لغه بقيامه على شئون الأسرة بكافه احتياجاتها كالأمن و العيش و غيره. و على هذا الأساس تفهم القوامه من فهم المسئولية و الرعايه و الإدارة و الإشراف التى أرشد لها الحديث (كلكم راع)، و ليس التحكم و السيطرة. فالقوامه إمارة لا من باب الولاية السياسية و السلطة الاستبدادية، من باب (تفضل على من شئت تكن أميره)، دون من أو تناول «١».

### الحقائق العلمية بنفى المساواة المطلقة:

الحقائق العلمية بنفى المساواة المطلقة: ترى هل تم إثبات حقيقة وجود الفروق بين الجنسين، و هل أن قوامه الرجل حقيقة، و هل أن كذبه مساواة الجنسين حقت علميا و تشخيصيا من قبل أهل الاختصاصات الطبيه و النفسية و الاجتماعية و القانونية؟! إذا ما تم ذلك هل يبقى لدعاء كذبه المساواة و مؤتمراتهم العالميه و الإقليميه و المحليه من معنى؟! ... سوف نناقش

(١) مجلة الأسرة السعودية، العدد

١٢٤، رجب ١٤٢٤ هـ، ص (٢٢-٣٦)، بتصرف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٤٧ المسألة من الناحية العلمية المجردة دون عواطف و أحكام مسبقة، و نعود لجذورها لتحللها علميا و نستبين الحقائق، كى يتبين الحق و أهله و الباطل و أهله، و عندئذ كل نفس بما كسبت رهينة .. و سنرى: بعد دعوى تحرر المرأة فى بريطانيا و بقية أوروبا فى بدايات القرن الميلادى العشرين، شهد الغرب فى الستينات الميلادية من القرن نفسه نموا و فورانا ملحوظا لحركة الليبرالية و الفوضوية و المساواة بين المرأة و الرجل و تحرير المرأة من يتعلق بالطروحات السياسية و الاقتصادية، لكن القاسم المشترك بينها كان ما يسمى بالمساواة بين المرأة و الرجل و تحرير المرأة من قيودها، حيث ظهرت الحركات النسوية المعروفة بال (فيمنزم) التى راحت تدفع بالمرأة فى كل مجالات الحياة معتبرة ذلك إنجازا و تقدما يصب فى كفة المرأة. و من ضمن الأفكار التى رفعوا لواءها (نظرية النوع أو جندر)، و مفادها أن الرجل ليس رجلا لأن الله خلقه كذلك، و لا المرأة امرأة لأن الله خلقها كذلك، و أن الحالة التى تبدو لنا طبيعية ليست كذلك و أن الصفات المميزة لكل نوع حتى النفسية منها ليست كذلك، و عليه فإن العلاقة القائمة بين الرجل و المرأة فى الحياة الزوجية مرفوضة، لأنها تجعل من المرأة الجانب المظلوم .. و أن الأسرة كرس نظام الظلم على المرأة لأنها لا تملك حرية نفسها فى اختيار من تريد لنفسها، فقد ظلمها الرجل - على حد تعبير الفلسفة الماركسية- بفرض رجل واحد فى حياتها و هو الزوج بغرض معرفة نسب الولد. فلا بد إذن من الثورة على الأسرة كنمط اجتماعى كرس لظلم المرأة و وأد دورها الاجتماعى و الطبيعى لتخرج إلى نطاق الشواذ باسم الحرية و المساواة و ضرورة إزالة الملكية الخاصة حتى لا يتحكم الرجل فى المرأة بماله .. لذلك تطالب (النوعيات) بتطهير التلفاز من كل أنماط الصور المعهودة حتى ينمو الأطفال معتادين على الصور الجديدة غير المقيدة بإطار جنسى معين، و أنه لا بد من صياغة و تحديد العلاقات بتغيير كلمة (زوج) إلى كلمة (شريك). و لهذا ركزت الحركة النسوية فى حديثها عن تلك الحقبة على موضوع المساواة و نسب الأولاد و الوراثة كحقوق اغتصبها الرجل من المرأة و استقوى بها عليها. و قد هيمنت (النوعيات) على برامج المرأة فى أغلب الجامعات الأمريكية، ففى مادة بعنوان (إعادة صياغة صور النوع- الجندر-) تشرح المادة الموزعة على الطالبات و الطلاب فكرة الأمومة المكتسبة و تحث على حق الإجهاض من منطلق أن زواج المرأة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٤٨ بالرجل ظلم و نكاحه لها اغتصاب، كما تشرح المادة أن الذكورة و الأنوثة لا تعنى شيئا فهى مجرد نمط اجتماعى يحدده الدور الاجتماعى، و تركز المادة على فكرة التخلص من النوع الذى يعتبره مفتاح التخلص من النظام الأبوى و ظلم الرجل. هذه الرؤية المتطرفة التى صيغت بهذا الشكل المضحك هزمت أمام سيل الأبحاث و الدراسات العلمية فى مجالات شتى، منها نفسى و منها اجتماعى و منها طبى، و التى أكدت حقيقة الاختلاف بين المرأة و الرجل، و من ثم ضرورة اختلاف الوظائف و الأدوار الاجتماعية بينهما. سنستعرض لكم أدناه بعض هذه الأبحاث و ما توصلت إليه من شهادات تنطق بالحق و الدليل المادى الملموس و التى هى شهادات من أهلها: ١. يقول الدكتور إبراهيم الفقى - اختصاصى تنمية بشرية/ النفس و الذهن و صاحب الكتب و المؤلفات و البحوث المعروفة عالميا- أن العلم الحديث و المراقبة الترددية للدماغ البشرى أثبتا باليقين أن أسلوب تفكير الجنسين مختلف بشكل كبير بل و جذرى، فالرجل يمتاز بأسلوب تسلسلى للتفكير (yaW laicnaqes)، أما أسلوب تفكير المرأة فهو أسلوب حلزوني (٢). (yaW larips). بينت البحوث النفسية أن معدل الإصابة بمرض الكآبة عند النساء أكثر بثلاثة أضعاف ما هى عند الرجال. ٣. يقول الباحث الطبيعى الروسى (أنطون نيميلاف) فى كتابه الذى أثبت فيه عدم المساواة الفطرية بينهما بتجارب العلوم الطبيعية و مشاهدات توثيقية: (ينبغى أن لا نخدع أنفسنا بزعم أن إقامة المساواة بين الرجل و المرأة فى الحياة العملية أمر هين ميسور، الحق أنه لم يجتهد أحد فى الدنيا لتحقيق هذه المساواة بين الصنفين مثل ما اجتهدنا فى روسيا السوفيتية، و لم يوضع فى العالم من القوانين فى هذا الباب مثل ما وضع عندنا، و لكن الحق أن منزلة المرأة قلما تبدلت فى الأسرة، لا فى الأسرة حسب بل قلما تبدلت فى المجتمع أيضا) .. و يقول فى مكان آخر: (لا يزال تصور عدم مساواة الرجل و المرأة ذلك التصور العميق راسخا ليس فى قلوب الطبقات ذات المستوى الذهنى البسيط فحسب، و إنما فى قلوب الطبقات السوفيتية العليا أيضا) .. و يقول عن الفوضى الجنسية التى أحدثتها محاولات تطبيق المساواة: (الحق أن جميع العمال قد بدت فيهم

أعراض الفوضى الجنسية، وهذه حالة جد الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٤٩ خطرة تهدد النظام الاشتراكي بالدمار، فيجب أن نحاربها بكل ما أمكن من الطرق، لأن المحاربة في هذه الجبهة ذات مشاكل و صعوبات. ولي أن أدلكم على آلاف من الأحداث يعلم منها أن الإباحية الجنسية قد سرت عدواها ليس في الجهال الأغرار حسب، بل في الأفراد المثقفين من طبقة العمال). ٤. يقول الدكتور (أليكسس كاريل) الحائز على جائزة نوبل: (يجب أن يبذل المربون اهتماما شديدا للخصائص العضوية و العقلية في الذكر و الأنثى، كذا لوظائفها الطبيعية. هناك اختلافات لا تنقص بين الجنسين و لذلك فلا مناص من أن نحسب حساب هذه الاختلافات في إنشاء عالم متمدن. ٥. الدراسات و الأبحاث التي أكدت وجود الفروق السلوكية و البيولوجية بين الرجال و النساء دفعت عددا من التربويين إلى الاستفادة من هذه الحقيقة في مجال التعليم، و من هنا ولدت فكرة مدارس الجنس الواحد في أمريكا و أوربا في سابقه يستغريها الكثيرون و يراها البعض طبيعية. فقد أعلنت إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش عن عزمها تشجيع مبدأ عدم الاختلاط بين البنين و البنات في المدارس العامة، و ذلك في عودة لقانون كان سائدا قبل ٣٠ عاما. و قد صدر إعلان عن هذا المشروع في السجل الفيدرالي و هو الصحيفة الرسمية الأمريكية بتاريخ ٨ / ٥ / ٢٠٠٢ م، و جاء في بعض فقراته: (أن وزير التربية ينوي اقتراح تعديلات للتنظيمات المطبقة حاليا تهدف إلى توفير هامش مبادرة أوسع للمربين من أجل إقامة مدارس غير مختلطة، و إن الهدف من هذا الإجراء هو توفير وسائل جديدة لمساعدة التلاميذ على التركيز في الدراسة و تحقيق نتائج أفضل). و قد أثار القرار نقد البعض و استحسان الآخرين. على إثر ذلك أكد البروفيسور أميلوفيانو أن العديد من الدراسات التي أجريت على تلاميذ و تلميذات أظهرت أنه في بعض مراحل نموهم يرتفع مستوى التحصيل الدراسي لديهم في حالة الفصل بين الجنسين أثناء الدراسة. و أضاف (إن بعض الفتيات يشعرن بالميل إلى بعض الفتيان، الأمر الذي يحرمهن من تطوير حياتهن الاجتماعية و العلمية فضلا عن التحصيل الدراسي، و كذلك الحال بالنسبة للتلاميذ الذين يفضلون الانفصال عن الفتيات حتى لا يتحتم عليهم الالتزام ببعض اللباقات و التصرفات التمثيلية التي تؤدي في حالة حضور الفتيات. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٥٠. ٦. أيدت الجمعية الوطنية لتشجيع التعليم غير المختلط هذه التوجهات و عرضت دراسة أجرتها جامعة ميتشيغان في بعض المدارس الكاثوليكية الخاصة المختلطة و غير المختلطة تفيد أن الطلاب في المدارس غير المختلطة كانوا أفضل في مستوى القراءة و الكتابة و الرياضيات .. كما صدرت شهادة أخرى بنفس الاتجاه عن الوكالة التربوية الأمريكية أفادت نتائج بياناتها الاحصائية بأن الفتيات الأمريكيات في الفصول المختلطة أكثر عرضة للقلق و الاكتئاب و الانتحار .. و في دراسة لمجلة نيوزويك الأمريكية ذكرت بالأرقام و الإحصائيات أن الدراسات في الكليات النسائية غير المختلطة هن الأكثر تفوقا و نجاحا في حياتهن الدراسية و المهنية بعد التخرج .. كل تلك الإعلانات تأتي لتهدم الصرح الكبير الذي بنى ليحتضن النظرية القائلة بوجود المساواة و الاختلاط و الشذوذ. ٧. و في بريطانيا أكدت بحوث نشرت في العديد من الدوريات أن المدارس التي حققت تفوقا دراسيا في طلبتها هي تلك المدارس التي لا يوجد فيها اختلاط بين الجنسين، فقد حققت ١٥ مدرسة للذكور و ١٤ خاصة بالإناث التفوق في شهادة (LEVEL-A) .. هذه النتائج جعلت مجلس إدارة مدرسة (شين فيلد) الثانوية في منطقة برنت و ود تقرر فصل الطلاب عن الطالبات، و قال المدير الدكتور أوزبورن (قد يبدو القرار عودة إلى الماضي، و لكنه اتخذ لمصلحة الطلبة و مستقبلهم من الجنسين، فقد اكتشفنا أن الطالبات في التعليم المختلط يضيعن جزءا كبيرا من أوقاتهم في الاهتمام بالمظاهر و المكياج و أنهن مع وجود الطلاب الذكور يفقدن زمام السيطرة و لا يعرفن الهدف) .. و تؤكد الإحصاءات أنه عند ما يدرس الطلبة من كل جنس بعيدا عن الجنس الآخر فإن التفوق العلمي يتحقق، ففي وسط التعليم المختلط أخفقت البنات في تحقيق التفوق في مجال الرياضيات و العلوم و الفيزياء و التكنولوجيا و الكمبيوتر، و قد أيدت الإدارة التعليمية في منطقة نيوهام هذه الحقائق في دراسة تحليلية. ٨. إليزابيث فليجورى- رئيسة رابطة مدارس البنات الخاصة- لم تؤكد هذه الإحصاءات حسب، بل أكدت أيضا أنه مع التوسع في استخدام التكنولوجيا في العملية التعليمية تزايد معدل التفوق لدى البنات في المدارس غير المختلطة، و أن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٥١ نسبة النجاح بينهن ارتفعت في الشهادات العامة إلى ٩٣٪ و نسبة التفوق بامتياز إلى ٥٠٪. و قالت فليجورى (في محيط نسائي خالص بعيد عن الضغوط النفسية و

الاجتماعية و تأثير الجنس الآخر، استطاعت البنات من أن يؤكدن تفوقهن و قدرتهن على استيعاب المعلومات و استخدامها و تحليلها و اتخاذ القرارات فيها) ... و لعل شهادة شيرلى وليامز الأستاذة فى جامعة هارفارد و التى أمضت حياتها الدراسية فى مدارس غير مختلطة حتى حصلت على شهادة (LEVEL- A) ثم التحقت بكلية سرفيل - غير المختلطة أيضا- بجامعة أو كسفورد، توضح الكثير من تميز التعليم غير المختلط، فتقول (فى هذا الجو الخالى من الضغوط التى يسببها وجود الرجال، يكون عطاء البنات عاليا و إيجابيا و مثيرا يؤكد قدرتهن على الإبداع و التفوق و العطاء، كما أن وجودهن لوحدهن دون الرجال يزرع فى أنفسهن الثقة العالية و الصداقة الحميمة البعيدة عن الأغراض و الشبهات). ٩. أعد عالم الاجتماع الأمريكى روس ستولز نيرج دراسة لجامعة شيكاغو تحت عنوان (لما ذا تشكل الزوجة العاملة خطرا على زوجها؟)، قال فيه (إن السبب الرئيسى فى ذلك هو أن الأزواج و الزوجات ما زالوا يؤدون أدوارا مختلفة فى الزواج، و ليس هناك مساواة بينهما فى هذا، و أن مهمة الحفاظ على سلامة العائلة و صحتها تبقى ضمن مسؤوليات الزوجة، فالنساء يتدربن منذ الطفولة على التعامل مع المشاكل الطيبة و نشر الوعى الصحى بين أفراد الأسرة و يلتمن بالأعراض المرضية. كما و أنهن المسؤولات عن الحياة الاجتماعية) ... و حذر فلاسفة غربيون من مغبة المساواة المطلقة غير المنضبطة بين الرجال و النساء، فقد انتقد الدكتور اليكسس كاريل فى كتابه (الإنسان ذلك المجهول) الحضارة المادية الغربية و ما جنته من تحلل و انهيار للأسر و المجتمعات، و أعزى ذلك للمساواة بين الجنسين رغم وضوح الفروق العضوية و الجسدية و الفيزيائية و النفسية بينهما. ١٠. تشير عدة إحصائيات فى دول متقدمة أن ٧٠٪ من النساء يفضلن البقاء فى البيت و عدم العمل إذا ما توفرت لهن القدرة المالية للعيش بسبب الضغوط الشديدة التى تتعرض لها المرأة فى العمل و الذى لا يتناسب مع قابلية تحملها، مما يزيد فى تعرضها لتدهور فى الصحة أو الحالة النفسية. و قد كشفت نتائج فى الولايات المتحدة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٥٢ أن المرأة استطاعت أن تقلص الهوة بينها و بين الرجل فى مجالات علمية مختلفة و لكنها تفوقت عليه فى مجال الاكتئاب و التدخين و الانتحار و المخدرات و الكحول. ١١. يشير الدكتور محمد رشيد العويد ردا على الداعين للمساواة و المتقولين بأن الفروق إنما جاءت بسبب البيئة المحيطة و العادات التى نشأت وسطها و التربية التى تلقاها فى الصغر بقوله (الدراسة و البحث و العلم أثبتت أن الفروق بين الجنسين فروق عضوية موروثه و ليست مكتسبة و من ثم فإن محاولة المساواة بينهما محاولة فاشلة مناقضة لطبيعة كل منهما. لقد قام فريق بحثى بتشكيل معسكر ضم عددا من الأطفال من الجنسين أشرف على تربيتهم مربون يتبدلون كل فترة زمنية معينة، و قد حذفت كلمة رجل و امرأة فى المعسكر و تم تجنب كل إشارة أو عمل أو سلوك فيه تفريق بين الجنسين من الأطفال الذين ترعرعوا أحرارا من كل قيد أو صفة يطلقها عليهم المجتمع حتى أنهم تركوهم يمارسون جميع الأعمال دون الأخذ بنوع العمل إذا كان يخص الرجل أو المرأة .. و حين كبر سكان المعسكر و خرجوا للمجتمع آثرت المرأة القيام بدور الأم و ربة البيت، و آثر الرجل القيام بدوره فى تأمين دخل الأسرة و العمل الشاق و مارس الحياة بشكل عادى جدا دون تأثير محسوس لذلك المعسكر و ما بذل فيه من جهود و أموال و أمور أخرى لمحو الفروق بين الجنسين، فثبت بذلك أن نمط الحياة التى يختارها كل من الجنسين لنفسه تخضع لتحكم طبيعة الجنس و تكوينه العضوى). ١٢. لقد بينت البحوث أن البنات يولدن بدهون أكثر و أنهن يسبقن الذكور فى الحصييلة الغوية. يستطيع الطفل بعد العام الأول من عمره تمييز جنس الأطفال - ذكر أو أنثى - بغض النظر عما يرتدونه، كما تتميز لعب كل جنس عن الآخر فى هذه السن، و فى سن الروضة يصبح لديه فكرة واضحة عن الفارق بين الولد و البنت بل و يتصرف كل جنس بشكل يختلف عن الآخر. تقول الدكتورة ميريام ستوبارد الاستشارية النفسية (تفرض الضغوط الاجتماعية على الأطفال منذ ولادتهم اتباع النموذج الخاص بكل جنس، و تحدد الأسرة مميزات شخصية كل منهما، و تأتى المدرسة و دور الحضانه بمن فيها من مدرسين و أصدقاء لصياغة هوية كل من الجنسين أيضا). الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٥٣ ١٣. من الناحية الاجتماعية و مجال النمو الجسمانى و اكتساب المهارات: تقول الدكتورة ستوبارد (يتميز الأطفال بعضهم عن بعض سواء أ كانوا أناثا أم ذكورا، و يؤثر الأهل فى معدل سرعة التطور لاكتساب المهارات لدى الجنسين. فمن ناحية النمو الجسمانى نرى الإناث أسرع فى معدل نموهن فهن يسبقن الذكور فى النضوج فى مرحلة المراهقة، و يبدو نموهن أكثر انتظاما و

سرعة إلى أن يبلغ الصبى سن البلوغ فينضج و يصبح أكثر قوة و سرعته فتقوى لديه العضلات و العظام، و يصبح أقل سمته و تنمو عضلة القلب و الرئتين لتستوعب أكبر قدر ممكن من الأوكسجين الذى يحتاجه الدم لتغذية العضلات و العظام. و تكون الإناث فى مرحلة ما قبل المدرسة أكثر رشاقة و مقدرة على القفز و الوثب و فى الحركات الإيقاعية و التوازن، بينما يصبح الذكر فى وقت لاحق أفضل فى تلك النشاطات التى تحتاج إلى الركض و القفز ... أما فى النمو اللغوى نجد الإناث أسرع من الذكور فى اكتساب المهارات الكلامية و يستطعن صياغة جمل أطول و تركيب أحاديث إنشائية و تلازم هذه الميزة الإناث فى حياتهن المستقبلية، كما يبدو أنهن يستطعن الكتابة و القراءة أسرع و تبدو قواعدهن اللغوية و نطقهن أفضل). و تضيف ستوبارد: (و يظهر أن الإناث و حتى سن البلوغ أفضل بقليل من الذكور فى الرياضيات و لكن الذكور يظهرهم مهارات أفضل أثناء سن المراهقة و لا سيما فى الهندسة الفراغية و هم يستوعبون العلاقات الرياضية و الأبعاد الهندسية، و هذا التميز يبقى واضحاً و مستمراً فى سن ما بعد المراهقة) .. و تضيف الدكتورة ستوبارد (يكون الذكور عادة أكثر عدائية و سيطرة من الإناث، كما يظهر الذكر ميلاً إلى التنافس و الطموح، و مما لا شك فيه أن الإناث أكثر اجتماعية و يقمن علاقات صداقة متينة و تغلب عليهن صفة المسيرة، و يكن لينات العريكة). و تصح ستوبارد الوالدين بضرورة مراعاة الاختلافات الفطرية بين الجنسين لتقويم نقاط الضعف لدى كل منهما كتوفير الكتب و المستلزمات الأخرى التى تعين كل جنس على معالجة نقاط ضعفه عن الجنس الآخر، و عدم ذكر تلك العيوب أمامهما. و تذكر الأبحاث أن البنات أكثر اتساقاً و مرونة من الأولاد و أقل ميلاً للنوم و أكثر استعداداً لتهدئة النفس، بينما الأولاد أكثر حركة و ميلاً للقوة. ١٤. من النواحي السلوكية و التطورات و التقلبات فى العلاقات الاجتماعية: الدكتور حامد الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٥٤ زهران أستاذ الصحة النفسية بجامعة عين شمس فيتحدث عن الفروق بين الجنسين من ناحية النمو الاجتماعى قائلا- (يتعلم كل جنس المعايير و القيم و الاتجاهات المرتبطة بجنسه مما يؤدي إلى اختلاف الذكور عن الإناث فى بعض أنماط السلوك. و يرى بعض الآباء أن بعض سمات السلوك الاجتماعى تليق بالذكور كالشجاعة و القوة الجسمانية و التحكم فى الرياضة البدنية و الميل إلى التنافس و الاستقلال. بينما هناك أنماط سلوكية تجتذب الإناث حصراً كالوقار الاجتماعى و النظام و الدقة. و فى مرحلة الطفولة الوسطى، نجد أن الإناث يسبقن الذكور دراسياً و يتفوقن عليهم، و يرجع ذلك إلى أن نموهم أسرع عن أقرانهم الذكور خلال تلك السنوات، و لأنهن يقضين أوقاتاً أطول فى البيت مع الكبار. و الذكور يتجهون ليصبحوا أكثر خشونة و استقلالاً و منافسة من الإناث اللاتى يتجهن إلى أن يصبحن أكثر أدبا ورقة و رافة و تعاوناً من الذكور. و يشير الدكتور زهران إلى التنميط الجنسى أى تبنى الأدوار و اكتساب صفات الذكورة بالنسبة للذكور و الأنوثة بالنسبة للإناث، و يتضمن التنميط الجنسى اكتساب المعايير السلوكية و الميول و الاهتمامات و نوع الألعاب و النشاط العام. فنجد الذكور يهتمون بالنشاط التنافسى و الألعاب الخشنة كالدراجات و المصارعة و الفنون القتالية و كرة القدم و غيرها، بينما الإناث يهتمون بالنشاطات الرقيقة كالطبخ و الحياكة و الخياطة و أعمال المنزل. فالجنسين إذن يختلفون بحكم الوراثة و البيئة العضوية و وظائف الأعضاء، و مع النمو يتميز الجنسان اجتماعياً من حيث الملابس و المعايير السلوكية و خصائص الشخصية. و فى نهاية مرحلة الطفولة يبتعد كل جنس عن الآخر، و يظل هكذا حتى المراهقة، و تكون الاتصالات الاجتماعية بين الجنسين مشوبة بالفظاظه و نقص الاستجابة و المضايقات و الخجل و الانسحاب) .. و هنا تجدر الإشارة للحكمة الإسلامية فى تشريع هذه النقطة، فالمتمامل للتشريع الإسلامى المتعلق بحضانة الصغار يلمس إدراكاً عبقرياً للفروق بين الاحتياجات التربوية للذكر عن تلك التى للأنثى، فى عالم الطفولة. و فى ذلك تقول الدكتورة كوثر محمد المنياوى (تنتهى حضانة النساء للصبى فى الإسلام بانتهاء المدّة التى يحتاج فيها للنساء، و ذلك بأن يأكل و يشرب و يلبس وحده ثم يكون مع أبيه حتى يبلغ سن الرشد فيستقل حينئذ بنفسه. بينما الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٥٥ حضانة البنت تنتهى إذا بلغت البلوغ الطبيعى للنساء. و إذا كانت الأم مطلقه لا يحق لها الاحتفاظ بالولد بل يجب تسليمه للأب الذى يوفر له سبل الحياة و التعود على حياة الرجولة و التخلص بأخلاق الرجال و اكتساب الخبرة و المعرفة و تحصيل الفضائل و غير ذلك، و لو ترك لأمه فلن تستطيع مواجهته أو منعه من فعل أمور قد توقعه فى التهلكة بعد أن يكبر لا لعب فيها بل لعدم قدرتها على

منعه إذا تطلب الأمر استخدام الحزم، أما البنت فلا- بأس في تركها للأُم لأنها تستطيع تفهم مشاعرها و تقلبات السلوك الحاصل لها خلال نموها فيمكنها معالجة المسألة بحكمة). ١٥. من الناحية الطبية و علم وظائف الأعضاء: لقد ثبت علمياً أن المرأة أقدر من الرجل بما لا يقاس على الصمود في وجه الأمراض، و المؤكد علمياً أنها متفوقة تفوقاً عضوياً واضحاً على الرجل. هذا التفوق يسميه العلماء (الانتقاء الطبيعي)، أى أن الله تعالى كما زود الرجل بقوة جسمانية فيزيائية في عضلاته فإنه زود المرأة بجهاز خلقى و قابلية يضمن لها الصمود أمام الإرهاق المفرط و مقاومته و تحمل الأمراض المختلفة و آلامها أكثر من الرجل. يفسر الدكتور محمد رشيد العويد ذلك بأن الخالق العليم جل شأنه قد ميز الأنثى بهذه القدرة لأنه تعالى أسند إليها مهمات عضوية مرهقة لم يسند مثلها للذكور مثل الحمل و الولادة و ما يسبق ذلك و ما يليه من حمل و نفاس ناهيك عن التغيرات الهرمونية و العضوية، هذا فضلاً عن الحيض و آلامه التي شرحناها في كتاب سابق. و يضيف البروفيسور الألماني المعروف في جامعة برلين رودولف باوماشن (إن المرأة قادرة على تحمل الإرهاق و الصدمات النفسية أكثر من الرجل)، و أضاف استناداً لنتائج سلسلة من التجارب الطبية و العلمية أن جسم المرأة يتفاعل بسرعة عنيفة و سريعة مع حالات الإرهاق النفسى و يفرز كميات كبيرة من هرمونات الإرهاق كماء الأدرينالين و النورادنالين و أسيدات دهنية متحركة، إلا- أن هذه الهرمونات تقلص بسرعة كبيرة لدى المرأة بعد الإرهاق و الانفعال النفسى. و استخلص البروفيسور من هذه التجارب أن المرأة تنفعل بصورة أسرع من الرجل إلا أنها تهدأ بالسرعة نفسها. و خلافاً لذلك فإن جسم الرجل يفرز هذه الهرمونات الناتجة عن الإرهاق بشكل بطيء مما يجعلها تستقر لمدة أطول في الدورة الدموية، الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٥٦ فالإرهاق أثره أطول في الرجال مقارنة بالنساء. كذلك فإن للنساء عاطفة جياشة و حس مرهف و رقة في المشاعر بشكل أكبر من الرجل لأن تعاملها مع الأطفال بشكل مباشر يتطلب ذلك. لأجل ذلك جهز الله تعالى النساء بكل تلك الإمكانيات و لم يزودها للرجال لأن لكل واحد منهما مهام تختلف عن الآخر و أحدهما يكمل الآخر و لا يتضاد أو يتقاطع معه لبناء أسرة أساسها المودة و الرحمة لبناء المجتمع الفاضل الراقى و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودةً و رحمةً إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون (٢١)، (الروم: ٢١). و لأجل ذلك أيضاً نبه تعالى عن تلك الآلام التي تعانيها المرأة عند الحمل و الوضع و غيره و التي أثبت علمياً أنها أقوى أنواع الآلام من بين كل أنواع آلام الأمراض الأخرى التي تحصل للبشر في كتابه الكريم و سماه (وهنا) بل و شدد فقال (وهنا على وهن)، و في الآية الأخرى بلفظ (كرها) و هذا كله تبياناً لشدة التعبير عن الألم و معاناته، بقوله سبحانه و تعالى وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِإِلَادِهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤)، (لقمان: ١٤) .. وَصَيَّنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصِيلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٥)، (الأحقاف: ١٥). فلم يبين القرآن الكريم في كل آياته تركيزاً على حالة ألم لمرض قدر تركيزه على ألم الوضع. بل أن المرأة التي تموت في الولادة تعتبر شهيدة، لذلك ذكرت أحاديث كثيرة للنبي صلى الله عليه و سلم في الأم تبين لك منزلتها في الإسلام. و يا لها من منزلة جعلت الجنة تحت قدميها، و جعلت منزلة الأم مقدمة على منزلة الأب بثلاثة أضعاف. ففي صحيح مسلم (البر و الصلة و الآداب ٤٦٢٢) عن أبي هريرة قال: قال رجل يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة، قال صلى الله عليه و سلم: (أُمِّيكَ ثُمَّ أُمُّكَ ثُمَّ أَبُوكَ ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ). ١٦. أثبتت البحوث الطبية أن الجنسين يستمران بفروقهما بعد البلوغ و الكبر، بل و يتطور الأمر إلى نشوء الخلاف الحقيقي بين الجنسين جسدياً و عضوياً و نفسياً. في الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٥٧ الذكور تبدأ الخصية بإفراز هرمونات جنسية ذكورية المعروفة بالأندروجين، أهم ما فيها التستوستيرون (الذي ذكرنا السبق القرآني حول تأثيره في النظام الهرموني في سورة مريم في كتاب الطب من هذه السلسلة) الذي يسبب العديد من التأثيرات الجسدية المسئولة عن كل الخصائص الذكورية للذكر، و هكذا تحصل مجموعة من الظواهر الجنسية الثانوية كنمو الذقن و شعر الصدر فضلاً عن عمق الصوت، كما يعزى للتستوستيرون النمو السريع الذي يحصل في هذا السن. هذا النمو يحصل متأخر لدى الذكور لكنه يدوم فترة أطول مما

لدى الإناث، و يتجسد ذلك بنمو أشد وضوحا فى تركيبه العضلات و قوة الأطراف السفلية التى يعتمد عليها نمو الشباب أطول من الفتيات. كما أن توزيع الدهون لدى الرجال يختلف بحيث يذهب السواد الأعظم منه للمعدة و الجزء الأعلى من الجسم .. بينما الفتاة عند بلوغها تبدأ بإفراز هرمونات جنسية هى الإستروجين من مبيضاها، و التى تأثيرها عن تأثير التيستوستيرون بحيث تنمى المبيض و الرحم و تدفع الإباضة الأولى. و يعتبر الإستروجين المسئول أيضا عن الشكل الأنثوى الذى يتميز باتساع الحوض و ضيق الكتفين. كما تختلف المرأة فى توزيع الدهون و كميتها، إذ يحتوى جسم المرأة على ضعف ما يحتويه الرجل من الدهون و يذهب أغلبه للفخذين و الردفين. كما و يحوى جسم المرأة على صنف آخر من الهرمونات الجنسية هو البرجستيرون الذى يكون فعالا خلال المرحلة الثانية من دورة مبيضاها أى بعد كل إباضة فيتولى نمو النهدين و بدء المحيض. ١٧. الناحية المرضية: أثناء حياتهما سيتعرض الرجل و المرأة للأمراض، و لكن لكل جنس مكان ضعفه، فالرجل أكثر تعرضا لأمراض القلب من المرأة بمعدل الضعف، ذلك ان التيسترون يؤدى إلى تنمية ما يعرف بالكوليستيرول السيئ تأثيره على جدران الأوعية الدموية، بينما يعمل الأستروجين لدى المرأة على تنمية ما يعرف بالكوليستيرول الجيد الذى يتولى تنظيف الأوعية الدموية. إلا- أن المرأة تتوقف عن إنتاج الأستروجين بعد سن اليأس مما يجعلها معرضة لأمراض القلب بمعدل النسبة ذاتها لدى الرجل. ١٨. الفروق السلوكية عند الكبر: لا يستطيع الرجال التعبير عن عواطفهم فيلقون ما الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٥٨ تحويه جعبتهم مرة واحدة، بينما النساء يستخدمن المحاوره و الكلام غير المباشر مما يجعلها قادرة على التحكم فى الحديث كما ترغب و هى عند ما تحدث تستخدم الابتسامه أو الحركات لتعبر عن التعجب أو الغضب. و المرأة تحدث أكثر من الرجل و تقرأ أسرع منه. الرجال يلجئون إلى الدعابة أكثر من النساء للتأثير على الآخرين فى حين تلجأ المرأة بالتعبير بالوجه و الجسم للتأثير على الآخرين. يفضل الرجال النظر إلى الأشكال ذات الزوايا الحادة فى حين تفضل النساء النظر إلى الأشكال الدائرية مثل شكل القلب. ١٩. فروق فسيولوجية و تركيبية: عند تناول الرجل وجبة من النشويات يشعر بالهدوء فى حين تشعر المرأة بالنعاس، و يصاب ٤٪ من الرجال بعمى الألوان. الكرات الدموية البيضاء لدى النساء أكثر من الرجال و جهاز المناعة لديها أقوى. و المرأة أقل إصابه منه بأمراض القلب و قرحة المعدة، كما أن حجم معدتها أكبر من معدة الرجل، و هى تحرق الأوكسجين أسرع من الرجل حيث تزيد و تنقص نسبة كريات الدم الحمراء مما ينتج عنه سرعة إغمائها. و يدق قلب الرجل فى المتوسط ٧٢ دقه لكل دقيقة بينما المرأة يدق قلبها أكثر من الرجل لكل دقيقة. جسم الرجل فى المتوسط يحتوى على ٢٠ قدما مربعا من الجلد أما جسم المرأة فيحتوى على ١٧ قدما مربعا من الجلد. ٢٠. الفروق فى الذكاء و وظائف الدماغ: رغم أن الدماغ مسئول عن كل ما سبق من فعاليات جسمانية أو وظيفية، نقول أن المسألة فيها بحوث تفصيلية تبين الفارق بين دماغ الجنسين فى سبل تنظيمهما و أساليب عملهما رغم تساوى نسب الذكاء بينهما و تشابه الشكل العام فيهما. فقد قام علماء من جامعه ولاية نيويورك فى بافالو فى الولايات المتحدة بإجراء تجارب على ١٧ ولدا و ١٨ بنتا تتراوح أعمارهم بين ٨- ١١ عاما، لدراسة كيف تتغير موجات الدماغ فى جزئه عند القيام بعملية التعرف على تعابير وجوه معينة عرضت عليهم، و وجد العلماء أن كل جنس استخدم جزءا من الدماغ يختلف عن الجزء الذى استخدمه الجنس الآخر فى معالجة المعلومات. و يعتقد العلماء أنه من المحتمل أن الأولاد تعرفوا على تعابير الوجوه بطريقة عامة، و هى مقدرة مرتبطة بالجزء الأيمن من الدماغ، بينما عالجت الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٥٩ الفتيات معلومات التعرف على تعابير الوجه بطريقة خاصة، و هى قدرة مرتبطة بالجزء الأيسر من الدماغ ... أما مخ الرجل فيزيد وزنه عن مخ المرأة بمقدار ١٠٠ غرام و نسبة وزن مخ الرجل لجسمه تعدل ١/ ٤٠ بينما نفس النسبة عند المرأة تعدل ١/ ٤٤. و يقول الباحثون أنهم وجدوا تخزين المعلومات يختلف فى الرجل عما هو فى المرأة، و هو ما يفسر تفوق الرجل عن المرأة فى عالم الاختراعات و الابتكارات، بل أن جميع التخصصات فى الفنون و الأعمال الخاصة بالمرأة كالطبخ و الأزياء زاحم الرجال بها النساء و تفوقوا عليهن. أما فى حالة الدماغ لمراحل النشاط الذهنى المتقد فقد تم الإثبات بالبحوث و التجارب و المراقبة أن حقل الذاكرة فى دماغ الرجل أكبر حجما منه فى دماغ المرأة، و هنا يتجلى أمر الله تعالى بجعل الشهادة برجلين، فإن تعذر فرجل و امرأتان كى تذكر إحداهما الأخرى إن هى نسيت، يقول تعالى فى البقرة

(٢٨٢): يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجْلِ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمْلِعَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْتَمْتُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَعُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢) ... أما في حالة الكبر و الشيخوخة فإن المرأة المسنة تبدي مطولة أكبر من الرجل المسن في نواحي وظيفية عديدة للدماغ، فقد أثبتت الدراسات أن النساء يمضين سنين أطول بعقل سليم و ذكاء يحسدن عليه، و جاء في الدراسة التي أجريت لمصلحة جامعة ليدن في هولندا و شملت ٥٩٩ شخصا تتجاوز أعمارهم الخامسة و الثمانين، أن النساء المسنات أسرع استجابة و عقولهن أكثر الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٦٠ حده. كذلك أظهرت الدراسة أن النساء المسنات يتفوقن على الرجال المسنين في القدرة على استعادة الماضي و التذكر. و العجيب كما ذكرت الدراسة أن ٧٠٪ من المستطلعات لم ينلن تعليما عاليا و على الرغم من ذلك سجل نتائج عقلية أفضل من الرجال، و عزا الخبراء السبب في ذلك إلى أن دماغ المرأة مهيا لعمل لمدة أطول لأنها تعيش عمرا أطول. و أفادت نتائج بحث آخر لنفس الفئة العمرية روعى فيه أن النساء المبحوثات أقل تعليما من الرجال أن قدرة النساء المسنات العقلية أفضل مما هي لدى الرجال المسنين، و يرجع ذلك إلى كونهن أقل عرضة للإصابة بالنوبات القلبية مما يجعل تدفق الدم إلى أدمغتهن أيسر. كما أجرى الخبراء في هذا البحث اختبارا لمعرفة سرعة التفكير و القدرة على التذكر لدى المبحوثين فحقق نسب أعلى في اختبارات سرعة الفهم و القدرة على الاحتفاظ بذاكرة قوية، و تبين أن سرعة الفهم كانت ٣٣٪ لدى النساء مقابل ٢٨٪ لدى الرجال، و قد عزى ذلك لأمر عضوية تتعلق بالغياب النسبي لأمراض الشرايين عند النساء «١». و بعد، و رغم كل تلك النتائج الواضحة و الصيحات المخلصة لا زالت دعوى الجندر تلقى رواجاً في مجتمعاتنا الإسلامية فارتفعت نبرة الحديث عن الاضطهاد للمرأة و وجوب حصولها على حقوقها كاملة، و لا ندرى ما ذلك الكمال في الحقوق و إلى أي حد يصل؟! كما وصلت الدعاوى إلى حد ضرورة إيجاد اتحاد عالمي يوجد هوية جديدة فوق القوميات و الاختلافات كي تتحدث نساء العالم عن أنفسهن، و عملت الأفلام السينمائية و التمثيليات التلفازية و الاجتماعات و المؤتمرات الدولية و صرفت الملايين من الدولارات على كل هذا دون الالتفات إلى حقيقة الداء و الانصراف لعلاج بهدوء و دون تعصب أو تزمت لا- يؤدي إلا- إلى تباعد الهوة بين المشككة و علاجها، و كأن المسألة حرب شعواء بين الجنسين، و ليس تكامل و تعاضد و تعاون. و هكذا و كخلاصة من هذا البحث فإننا نرى أن الإسلام أعطى للمرأة و الأسرة قيمة عظيمة لم يعطها أي دين سابق و لا- شريعة و لا- قانون أرضي، فهي لها القيمة المادية

(١) هذه التفاصيل منقولة بتصرف عن ملف علمي متكامل أعدته مجلة الأسرة السعودية، العدد ١٢٤، رجب ١٤٢٤ هـ، ص (٢٢-٣٦). الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٦١ العظمى المتمثلة بالذهب كما لها القيمة الاعتبارية الجليلة إذ أنها تربي الأجيال و تحفظ النسل فهي تمثل العمود الفقري في الحياة و مثلها كمثل الدرّة المحفوظة في لوح زجاجي يمنع لمسها إلا لصاحبها. و على هذا الأساس تأمر الغرب و على رأسهم اليهود على مكانة المرأة في أمتنا و أوهموا ضعيفات الإيمان بأن نزع الحجاب و لبس اللثالي و التزين و السفور و الإتيكيت و الموضة و معارضة الوالدين و الاختلاط و المساواة مع الرجال كل ذلك من باب التحضر، كما أوهموهن بأن ضرورة إيجاد ال "حبيب" لهن هو من دواعي الشخصية الحديثة المتطورة و الاستقلال في التفكير، و ان الخلق و الحشمة و التصرف السليم المبني على الشريعة و الدين في كل مجالات الحياة هو من دواعي الرجعية و التخلف، ألا ساء ما يحكمون. قال مسئول غربي "لا تستقيم حالة الشرق ما لم يرفع الحجاب عن وجه المرأة و يغطي به القرآن" أي لن يستطيع الغرب الحاقد السيطرة على الشرق المسلم حتى تريح المرأة المسلمة الحجاب عن



وجهاها و تنبذ كتاب الله وراء ظهرها «١» ... و هذا ما أرادوه لنسائنا و مجتمعاتنا و استجاب لهم الكثيرون مخدوعين تارة و مطيعين تارة و مقلدين تارة أخرى بينما رفض هذه (العولمة) القديمة النساء المؤمنات و العوائل المؤمنة، و لهؤلاء المساكين المقلدين نقول إنكم بهذا اشركتم ليس فقط بجريمة إغصاب رب العالمين و ترك الشرع الحنيف و إنما أصبحتم مشتركين فى جريمة هدم ما بنته أجيال و أجيال من خلق عظيم و تعاليم سامية و دفعت بسببه دماء زكية طاهرة كثيرة على مدى أكثر من ١٣٠٠ عام. لنرى الوجه الحقيقى للإسلام من خلال ما قالته نساء غربيات، ففى مقابلة أجرتها مجلة الوطن العربى (العدد ٣١٤) مع امرأة فرنسية متخصصة فى الفن الإسلامى نادية أوبرى قالت "وجدت المرأة المسلمة (العربية) محترمة و مقدره داخل بيتها أكثر من الأوربية و أعتقد أن الزوجه و الأم العربيتين تعيشان سعادة تفوق سعادتنا. "ثم توجه النصح للمرأة المسلمة قائلة "لا تأخذى من العائلة الأوربية مثالا لك لأن عائلتنا هى (\_\_\_\_\_ ١) مقتطفات من كتاب اللئالى

الحسان من روائع الكلم و البيان، محمد عبد العزيز المسند، الجزء الثالث. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٦٢ أنموذج ردىء لا يصلح مثلا ليحتذى. " و فى مقابلة أخرى أجرتها مجلة صدى الأسبوع "مع براونين ميزاك ايفانز- إنجليزية أعلنت إسلامها فى البحرين- كان من الأمور التى دفعتها إلى اعتناق الإسلام هو مكانة المرأة فى الإسلام و كذلك تركيبة الأسرة المسلمة حيث قالت "المرأة المسلمة دائما فى حمايه و رعايه، تجد من يعيها أينما حلت، و هى جزء هام من المجتمع الإسلامى .. جو عائلى تفتقده الكثير من الأسر الغربيه الأب و الأم ثم الأولاد و بعدهم الأقارب .. العائلة المسلمة كأنها مملكة واسعة الأطراف، أما العائلة الغربيه فإنها تقتصر على رجل و امرأة فقط، طرفين لا توابع تخلفهما، أما فى الإسلام فلا يوجد و سيط بين الإنسان و ربه «١» .. و القصص من هذا القبيل أكثر من أن تذكر فى هذا الكتاب، و منها قصة القسيس إسحاق المصرى نائب البابا البروتستانتى الذى أسلم و سمي نفسه إبراهيم و فصل قصة إسلامه فى محاضرة شيقه «٢». فى محاضراته الرائعة «قصة الأيدز الكاملة»، يقول الدكتور عمر عبد الستار عن موضوع الحجاب بعد أن يعرض صور عديده تتعلق بالموضوع و تخصص تشخيص المسأله الطبيه لمرض الأيدز، و عند ما يصل إلى الصورة أو السلايد الخاص بالبويضه يقول: انظروا روعه هذا الشكل و ما حوله من غشاء، هذا الغشاء الرقيق الجميل هو حجاب للبويضه فكل شىء أنثوى خلقه الله تعالى جميلا- و رقيقا محفوظا عن الذكر بحجاب لا يسمح لأحد أن يخترقه إلا واحدا فقط، فهذه البويضه يلاحقها ملايين من الحيوانات المنويه و لا يخترق الغشاء أو الحجاب هذا و لا يسمح بذلك إلا لواحد فقط، ثم يغلق الحجاب نهائيا .. هذا الأمر مشمول به كل شىء أنثوى فى الكون إلا نساء هذا العصر الذين ارتموا بوحل الحضاره الزائف. و لنعد الآن إلى الآيه المباركه زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَسْبُ النَّمْرِ الْمَمْلُوكِ آب (١٤)، عمران: ١٤، كى\_\_\_\_\_ف أنها

(\_\_\_\_\_ ١) نفس المصدر السابق. (٢)

المحاضرة مسجله فى شريط كاسيت، نشر فى بداية تسعينات القرن العشرين. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٦٣ ربطت الشهوات بالتسلسل فإذا بالمرأة التى هى أقوى الشهوات للرجل تصبح بمساعدة القناطر المقنطرة من الذهب و الفضة المطحنة و الجاروشة التى تطحن الرجال و الأمم، و هذا ما كان فى تاريخ البشرية و فى حاضرها و فى مستقبلها إلا ما رحم ربي. و من أراد التخلص من هذا الإعصار الجارف و التيار الهائل الذى لم يرحم و لن يرحم أحد فما عليه إلا التمسك بزورق النجاه الذى هو فى حمى ملك الملوك ألا و هو الإسلام الحنيف الذى يعطى الجميع حقوقهم دون استثناء و لا يهمله فى ذلك تعليقات الجهال و الفسقه و السفهاء فهؤلاء هم المحرقه التى تتقد فيها نيران هذه الفتن «١».

### منزلة الوالدين فى الإسلام:

منزلة الوالدين فى الإسلام: أما عن الوالدين و احترامهما فإنه لا يوجد تشريع أرضى أو سماوى أعطى لهما أهمية قدر اهتمام الإسلام

بهما، فيكفي أن القرآن الكريم قد قرن في غير موضع الإشراك بالله بعقوبتهما\* وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥)، (الإسراء) .. هذه الآية تحديدا عند ما قرأها الأمير تشارلز الشخصية البريطانية المعروفة وأمير ويلز تغيرت نظرتة تماما عن الإسلام، فامتدحه بخطبة مشهورة أمام البرلمان البريطاني عام ١٩٩٦ م. و بعد خير الكلام كلام الله يأتي خير الهدى هدى رسوله صلى الله عليه وسلم في مسألة الوالدين، وقد جعل بر الوالدين مفضلا على الجهاد في سبيل الله وهو ما قاله صلى الله عليه وسلم للصحابي الذي أراد الجهاد «أ لك والدان»، قال نعم، قال صلى الله عليه وسلم «ففيهما جاهد»، وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أفضل قال «الصلاة لوقتها وبر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله»، وفي حديث قلت يا نبي الله أى الأعمال أقرب إلى الجنة قال «الصلاة على مواقيتها قلت وما ذا يا نبي الله قال بر الوالدين قلت وما ذا يا نبي الله» (١) المنظار الهندسى للقرآن الكريم،

للمؤلف، ص (٥٧٢-٥٨٢)، بتصرف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٦٤ الله قال الجهاد في سبيل الله. و بعد فهذا غيض من فيض رحمة الإسلام الشاملة لكل خلق الله تعالى و التي لم تتميز بشموليتها و خصائصها أية حضارة أخرى باعتراف كبار منظري و مستشرقي الغرب و تلك مقارنة بسيطة لأجل وضع القارئ الكريم بالصورة المطلوبة للدخول في قوانين القرآن الكريم في الحضارات. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٦٥

### الفصل الرابع بعض دلائل الرقى في السلوك الاجتماعى في الإسلام

الفصل الرابع بعض دلائل الرقى في السلوك الاجتماعى في الإسلام بينى الإسلام مجتمعا عاملا غير خامل و لا كسول، متكلا غير متواكل، خلوقا غير منحرف، عادلا- غير متطرف. للرجل دوره، و للمرأة دورها، و الكل راع و مسئول عن رعيته. الفساد و الانحراف بكل أشكاله و ما يؤدي إليه مرفوض لأن الله تعالى لا- يحب الفساد. و الإسلام يحث على العمل و النجاح و الكد و عدم الركون للكسل و الفشل و الإحباط، و فى هذا تفصيل كبير، و لعنا ذكرنا بعض الآيات و الأحاديث الدالة على العمل خلال هذا الكتاب و غيره «١» .. و لقد أثبت العلم الحديث أن النجاح فى العمل هو من أحد أسرار إطالة الأجل، و لعل العمل الصالح على رأس هذه الأعمال لما يوفره من شحنة طاقة للخير نعم النفس فتجعل منها شعلة للخير و الإنجاز .. و ما الأحاديث الدالة على شروط حسن الخاتمة و التي تتعهد بتوفيرها لأهل العمل الصالح مثل الإخلاص و بر الوالدين و صلة الرحم و حسن الخلق و السريرة و غيرها لتدل على هذا المفهوم من بابه الواسع، و صدق الصادق الأمين الذى بين فى الحديث الصحيح الذى يرويه أهل السير و منهم البخارى و مسلم و أبى داود و غيرهم أن العمل الصالح و على رأسه صلة الرحم هو من شروط طيب الرزق و طول العمر و بقاء الأثر، فقد روى البخارى فى البيوع (١٩٢٥) عن أنس بن مالك رضى الله عنه، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول (من سرّه أن يبسط له فى رزقه

مهمة فى هذا مثل كتاب (صناعة الحياة) للأستاذ الجليل محمد احمد الراشد، و كتاب (الهمة طريق إلى القمة) للأستاذ محمد بن حسن بن عقيل بن موسى، أو يدرس سير الأماجد و العمالقة لهذه الأمة و غيرها، أو يتابع برنامج صناعة النجاح (للأستاذ الدكتور طارق السويدان)، أو صناعات الحياة للأستاذ (عمرو خالد)، و غيرها من مشاريع إحياء فقه الدعوة و النهوض بالأمة. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٦٦ أو ينسأ له فى أثره فليصل رحمه) .. و لقد بينت البحوث الحديثة صدق هذا السبق الإسلامى، فى بحث أجرى مؤخرا تبين أن نجاح المرء فى عمله و حياته من أهم أسباب زيادة العمر و طيب الرزق .. يقول أحد المشتركين فى البحث: (لما ذا يعيش بعض الناس لفترة أطول من غيرهم؟ هذا السؤال شغل بال الكثيرين لعدة أجيال. و فى كثير من الأحوال تبدو الإجابة واضحة: اتباع نظام غذائى جيد و

رعاية صحية جيدة و عدم الإصابة بالكثير من الأمراض. لكن بالنسبة لآخرين فإن السبب يشوبه الكثير من الغموض. فلما ذا، مثلا، يعيش رجل ياباني أربع سنوات أكثر من البريطاني؟ و لما ذا تتوفى سيده تعيش في مانشستر قبل ثلاث سنوات من سيده تعيش في ظروف مماثلة لكن في لندن؟. و لما ذا يطول عمر رجل يعيش في غرب لندن ست سنوات عن رجل يعيش في شرق لندن). وضع العلماء مجموعة من الأسباب على مدى السنوات تتراوح بين أسلوب الحياة و الاختيارات التي يقوم بها الإنسان مثل التدخين، و بين الجينات. إلا أن كتابا لسير مايكل مارموت بروفسور علم الأوبئة و الصحة العامة في جامعة يونيفيرستي كوليج لندن، يوفر إجابات مختلفة لهذه الأسئلة. و قام مارموت بدراسة الاختلافات بين طول الأعمار لمدة ثلاثة عقود. و في الستينات أجرى ما أصبح يعرف الآن باسم دراسة و ايتيهول، و هي دراسة على صحة الموظفين الحكوميين في لندن. و خلصت الدراسة إلى أن صحة موظفي الحكومة ترتبط بعلاقة وثيقة بدرجةهم الوظيفية في الحكومة. و أن الموظفين الذين يحتلون مناصب كبرى يتمتعون بصحة أفضل. و خلصت دراسات أخرى إلى نتائج مماثلة في جماعات اجتماعية مختلفة مثل الأكاديميين و الحاصلين على جوائز أوسكار. فقد خلصت الدراسات إلى أن الحاصلين على درجة الدكتوراه يعيشون أطول من الحاصلين على درجة الماجستير، و الذين يعيشون بدورهم فترة أطول من الحاصلين على شهادة جامعية، و الذين يعيشون أطول ممن لم يكملوا دراستهم الجامعية. و بالصورة نفسها، فإن الممثلين الحاصلين على جائزة أوسكار يعيشون متوسط ثلاث سنوات أطول من الذين رشحوا للحصول على الجائزة دون أن يحصلوا عليها بالفعل. و يعتقد مارموت أن هذه النظرية يمكن تطبيقها على أي جماعة في المجتمع بدءا من السياسيين إلى الذين يعيشون تحت خط الفقر. و يصر على أن الصحة العامة و طول الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٦٧ العمر يتأثر بدرجة كبيرة بمكانة الإنسان في المجتمع. و أطلق مارموت على هذا اسم "عرض الوضع الاجتماعي" و هو نفس الاسم الذي أطلقه على كتابه. و يقول: "الدليل دامغ. و يشير إلى أن تبوأ منصب اجتماعي مرموق يؤدي إلى تحسن الصحة. و الذين يحتلون قمة الهرم الاجتماعي يعيشون أطول". و يعتقد مارموت أن الوضع الاجتماعي ربما يكون أهم من النظام الغذائي المتبع و الرعاية الصحية. و يقول: "يعتقد الناس أن طول العمر يتحدد إما بالرعاية الصحية و التدخين أو النظام الغذائي المتبع ..". هذه الأمور مهمة أيضا لكن الدليل يظهر أنها مجرد جزء من الصورة الكاملة". و يقول مارموت إن موقعنا في الهرم الوظيفي يتأثر بأمريين: الدرجة التي نسيطر بها على حياتنا و الدور الذي نلعبه في المجتمع و يسأل: "هل يشعرون بأنهم يسيطرون على حياتهم و يتمتعون بفرص تمكنهم من التواصل الاجتماعي الكامل ..؟" و يبدو أن المال ليس له تأثير كبير، و يقول مارموت: "المزيد من المال لا يعنى صحة أحسن. المال حد ذاته ليس مهما". و ربما تفسر هذه النظرية السبب في أن الحياة في بعض الدول الفقيرة نسبيا مثل اليونان و مالطة أطول منها في المملكة المتحدة أو الولايات المتحدة. و يعتقد مارموت أن منح الناس المزيد من السيطرة على حياتهم و ضمان أن يلعبوا دورا كاملا في المجتمع سيعزز صحتهم و يزيد من أعمارهم و يوصى بأن تعمل الحكومة على ضمان أن يحصل جميع الأطفال على تعليم جيد، و أن يحصل العمال على المزيد من السيطرة على حياتهم و ألا تعتبر المسنين مجرد كومة من العظام. "كما يوصى بضرورة أن يبذل المزيد من الجهود لضمان أن يشعر المواطنون بأنهم جزء من مجتمعاتهم. الفساد كل اضطراب في النواميس الإلهية مادية كانت أم معنوية، في البر و في البحر، للزرع و الضرع، للحث و النسل، للإنسان و الحيوان، في الخلق و السلوك كما في المجتمعات و الدول. للفساد هذا أشكال عدة فصلها القرآن الكريم بما يأتي: ١. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥) (البقرة: ٢٠٥). ٢. فَلَوْلَا - كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفُسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا الْإِقْتِصَادَ وَالْإِجْتِمَاعَ، ص: ٦٨ قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ (١١٦) (هود: ١١٦). ٣. وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٧٧) (القصص: ٧٧). ٤. ظَهَرَ الْفُسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١) (الروم: ٤١). ٥. وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ (٢٦) (غافر: ٢٦). من أهم ما حذر الإسلام منه هو الانكباب على الدنيا و ملذاتها، و جعلها القيمة الأساسية لفلسفة

الوجود، فهي رأس كل فتنه و فساد. على عكس الحضارة الغربية التي جعلت من الدنيا أساس كل شىء، و دونها يهون كل خلق و تموت كل فضيلة. فكان الفكر الغربى ربيب الفكر اليهودى يدعو دائما إلى شيوع الغرائز كالجنس و التسلط و القتل و النفوذ و التعصب الأعمى، و أساس كل ذلك اللهث وراء المال، إله اليهود الذى أشرب فى قلوبهم بعد ما عبدوا العجل المصنوع من الحلى الذى سرقوه من المصريين القدماء، رغم كل المعجزات الإلهية التى أعطاهها الله تعالى لنبىه موسى عليه السلام لعل هؤلاء القوم يفقهون حديثا، إلا أن قلوبهم أصبحت أقسى من الحجارة، فماتت قلوبهم و ضمائرهم فهم كالأنعام بل هم أضل. و لأن هذا الفكر المسخ يعلم مدى تأثير النساء، شجع هؤلاء الحيوانات البشرية الجنس و التحلل و الشذوذ الجنسى، و جعل المرأة جسد يباع و يشتري تحت تعريف واحد هو (الجب) بين الجنسين الذى يجب أن يقدس و لا- يمس بأى سوء. و ما هو فى الواقع إلا-الجنس بعينه و تحلل المجتمع و تدمير فكره و سلوكه كى يسهل السيطرة عليه كما جاء فى بروتوكولات حكماء صهيون، و مع الأسف طبق فى مجتمعاتنا الإسلامية:

١. "إذا أردت أن تدمر مجتمعا فانشر فيه الفساد." ٢. "إذا أردت أن تدمر أمة فسلمها بيد جهالها،" و معلوم أن الجهال أكثر الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٦٩ الناس استجابة للشهوات. ٣. "إذا أردت أن تدمر جيشا فسلمه بيد المدنيين،" و معلوم ما للجيش فى الأمة و الوطن من اهمية فتدميره داخلها يكون من أناس لا- يفهمون فى الترتيبات العسكرية و هم المدنيين. ٤. "كأس و غانية تدمر أمة محمد." و رغم أن الله تعالى قد حذرنا من هذه الأمور بقوله جل و علا: زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ النَّيْنِ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمِيَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) (آل عمران: ١٤). إلا أننا ركضنا وراء دعاوى هذا الفكر و اعتبرنا أن هذا كله من دواعى الحضارة و التطور، و ما هو إلا الفساد بعينه الذى حذرنا الله تعالى منه. حول هذا الموضوع (موضوع الحب و الهوى) الذى تدور حوله كل ما يسمى بالأعمال الدرامية من تمثيلات و أفلام و مسلسلات و أغاني، حتى انهم إذا أرادوا أن يخرجوا فيلما تاريخيا مثلا حول شخصية معينة أقحموا فيها دورا فيه عشقا و حبا. بل و أحيانا يزورون الأحداث بحجة الحكمة الدرامية ليضعوا فيها امرأة تعشق و تلبس الثياب (العارية) لتغرى و تفتن من يراها كى يقال أن هذا الأمر أمرا مقدسا حتى فى الأديان. هذا ما عودوا عليه الأجيال منذ نشأة السينما و لحد الآن و ضحكوا بها على الكثيرين. و هذا هو لعمرى بالضبط ما تريده الصهيونية و الماسونية و ماجوريهم من المستشرقين و أدعياء الحضارة (الجاهلية) الغربية و أصحاب القلوب و العقول الخالية من كل شىء إلا من الهوى و الهوس بكل ما يدفع الإنسان إلى حيوانية مقيته و قسوة أين منها قسوة الحجر و الصوان و هى بالتأكيد خالية من محبة الله و رسوله و من الغيرة المحمدية.. إذن الهدف واضح و هو أنهم أرادوا تدمير أجيال بكاملها و خلع محبة الله و رسوله من القلوب و وضع محلها محبة الهوى و النساء و النفس و النفوذ و الجاه و المال و كل الشهوات الأخرى كى يسهل تحطيمها، و كان لهم ما أرادوا بفعل هؤلاء من يدعون أنهم فناني، رغم أن الفن رسالته سامية تسمو بالفكر الإنسانى و تقومه و ترفع عنه كل معانى الرذيلة و الانحطاط الخلقى. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٧٠ لكنهم أرادوا به أمرا آخر، أى كلمه حق يراد بها باطل، فبدعوى الحب هذه يحققون ما يصبون إليه، فأنصت لهم دون تروى من كان بقلبه مرض، و هم أدعياء الفن هؤلاء المساكين الذين يتصورون انهم يحسنون صنيعا، و الله تعالى يقول: قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤)، (الكهف). و المصيبة أنهم إذا ما حاولت نصحهم و إرشادهم إلى الحق اتهموك بالجهل و الرجعية و عدم مواكبة العصر و ما إلى ذلك من التهم، و قد تحقق فيهم قول الله تعالى: وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَ لَّى مُدْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٧)، (لقمان)، أى و من الناس من يشرى ما يلهى عن طاعة الله و يصد عن سبيله، مما لا خير و لا فائدة فيه، قال الزمخشري: و اللهو كل باطل ألهى عن الخير، نحو السمر بالأساطير و التحدث بالخرافات المضحكة، و فضول الكلام و ما لا ينبغى، و روى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه انه سئل عن الآية فقال: و الله الذى لا إله إلا هو- يكررها ثلاثا- إنما هو الغناء، و قال الحسن البصرى نزلت هذه الآية فى الغناء و المزامير (١). و هذا أيضا تفسير الكشاف و الطبرى و ابن كثير. و الأدهى و الأمر أنهم

ينسبون هذا إلى الله تعالى و يقولون أن نجاونا و شهرتنا بفضل الله - حاشا لله - و إذا فعلوا فاحشاً قالوا و جَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَ اللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨)، (الأعراف: ٢٨)، فسبحان الله عما يصفون و تعالى الله علوا كبيرا فأولئك و أمثالهم قال الله عنهم الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَ كَانُوا لَا يَشْعُرُونَ سِمْعًا (١٠١)، (الكهف: ١٠١). و قد سئل الدكتور عبد الملك السعدي حول الفتوى في هذا الأمر فرأيت أن انقله بالكامل لما فيه من الفائدة: السؤال: ما هو حكم الشريعة في الغناء من الرجـل و المرأة و مـا حـكـم الموسـيقى المقـترنة

(١) صفوة التفاسير، محمد علي

الصابوني، ج / ٢، ص ٤٨٧ - ٤٨٨. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٧١ به أو منفردة عنه؟ الجواب: هذا السؤال ذو شقين الغناء و المغنى. أولاً: الغناء الغناء ... كلام منظوم حسنه حسن و قبيحه قبيح. فالحسن .. هو المدح المعتدل، و الرثاء بدون مغالاة، و الشعر الحماسى الباعث على البطولة كما سنذكر من غناء يوم بعث «١»، و ما فيه من حث على الخير و العمل الصالح، و الشعر الوطنى المحبب للوطن و للحفاظ عليه، و مدح البارى جل شأنه و دعاؤه، و مدح النبى صلى الله عليه و سلم و إخوانه و أصحابه الصالحين دون مبالغة فهذا مباح يجوز التغنى به و سماعه. القبيح .. ما فيه إثارة الفتنة أو إثارة الغريزة كالشعر الغزلى و ما فيه وصف النساء أو فيه غرام و حب و هوى جنسى فهذا يحرم التغنى به و سماعه .. و الأدلة على ذلك: منها قوله تعالى وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦). و الغناء الماجن من لهو الحديث لا من خيره و حسنه. و منها قول رسول الله صلى الله عليه و سلم «إن الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل» رواه الترمذى و الإمام احمد. و ما ينبت النفاق يحرم قوله و سماعه .. و من ذلك نهيه صلى الله عليه و سلم عن بيع و شراء القينات، أى الجاريات المغنيات. حيث يقول صلى الله عليه و سلم «لا تبيعوا القينات و لا تشتروهن و لا تعلموهن و لا خير فى تجارة فيهن و ثمنهن حرام» رواه الترمذى و الإمام احمد و ابن ماجه ... و النهى عن شرائهن و تحريم ثمنهن دليل على تحريم فعلهن و قولهن، قد ورد بروايات متعددة و بطرق مختلفة حتى بلغ درجة الحسن لغيره و ان كان سند كل روايته فيها ضعف إلا أنها بمجموعها تبلغ درجة الحسن لغيره.

(١) يوم بعث: يوم مشهور عند العرب

حدث فيه قتال بين الأوس و الخزرج دام مائة و عشرين عاما إلى ان من الله عليهم بالإسلام فانتهت. و بعث موقع فى بنى قريظة وقعت فيه الواقعة/ راجع العينى فى شرح البخارى، ٦/ ٢٦٩. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٧٢ ثانيا: المغنى و هو إما ذكر أو أنثى: فالذكر .. يجوز أن يغنى للذكور إذا حصل بصوته فتنة لهم إذا كان غناؤه من النوع الحسن .. و أما المرأة .. يجوز أن تغنى للنساء لأنه لا يحصل بصوتها فتنة لهن و لا سيما إذا كانت جارية «١» صغيرة و كان الغناء من النوع الحسن. فقد روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت: «دخل على أبو بكر رضى الله عنه و عندى جاريتان تغنيان بغناء يوم بعث فانتهرنى و قال (مزماره الشيطان عند النبى صلى الله عليه و سلم) فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال (دعهما) فلما غفل غمزتهما فخرجتا» رواه البخارى (باب الحراب و الدرق يوم العيد). أما غناء الجنس لغيره، كأن تغنى المرأة للرجال أو للرجال و النساء أو الرجل للنساء كما فى الوسائل الصوتية و المرئية الآن فعلى من يرى أن صوت المرأة عورة و هى رواية عن الإمام احمد و المرجوع عند الحنفية و المشهور لدى الإمامية فإنها آثمة إذا غنت و حرام الاستماع إليها .. و أما على من يرى أنه ليس عورة و هم الجمهور ففيه تفصيل: إن غنت بصوت مرقق و خاضع و فيه تلين و تميع تستميل به الرجال و يحصل فتنة حرم عليها الغناء، و ان أظهرته بشكل طبيعى و بصوت غليظ و كان من النوع الحسن فلا أرى مانعا من ذلك لأنه لا يثير الغرائز و كذا حكم الاستماع إليه إن استمع إليه ببراءة و عدم طمع فلا مانع. و الدليل على ذلك قوله تعالى .. فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ ...، (الأحزاب: من الآية ٣٢)، و لم يقل و لا- تقلن بل قال لا تخضعن بالقول، و بالنسبة للرجل جعل المحذور الطمع الذى فى قلبه و يعنى به الافتتان و الغريزة الجنسية. هذا التفصيل إذا خلا من المعازف أما إذا اقترنت به المعازف (كالموسيقى) المهيجة فانه حرام لغيره استماعه لاقترائه بمحرم .. و من أدلة تحريم المعازف ... ما روى

البخارى- فى باب ما جاء من يستحل الحر- عن أبى مالك الأشعري انه سمع النبى صلى الله عليه و سلم يقول: «ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر- بكسر الحاء و تخفيف الراء أى الفرج- و الحرير و الخمر و المعازف» .. و وجه الاستدلال به أن المعازف محرمة و استحلها كفر (١) الجارية: هى

العبدة الصغيرة دون البلوغ و سميت بذلك لكثرة جريانها بالذهب و الإياب. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٧٣ و قد قرنها صلى الله عليه و سلم بالخمر و الحرير و الزنا. و كذا إذا ظهرت المغنية على الرائي (التلفزيون) و هى متبرجة و وضعها مثير فانه حرام لغيره مطلقا. و قد أخطأ من أطلق العنان لبعض الفنانات بالإباحة مطلقا و لو من على شاشات التلفاز و بشكل مثير و معه التبرج أو قال بإباحته مطلقا، و كذا من يفسر الحديث أعلاه بأن المراد أن يجتمع الكل فى آن واحد أى تحرم المعازف إذا كانت مقترنة بالخمر و الحرير و الحر فإنه لم يتذوق العريية و لم يعرف أن الواو لمطلق الجمع و ليس (واو) حال أو (واو) معية فقط، و كذا من طعن بإسناد الحديث بأنه معلق و يرفض ما قام به ابن حجر العسقلانى فى إثبات وصله و كل ذلك لأجل أن يرضى المجتمع على حساب غضب الله تعالى و رسوله. نعوذ بالله من علم يسخر لمجاراة الناس و محاباتهم «١». أما الدكتور عبد الكريم زيدان فيقول فى مفضله حول هذا الموضوع و بعد أن يفصل كل ما يخصه، و تاريخ نشوء الغناء و تطوره، و أساليبه، و ما ذهب إليه الأئمة و العلماء من مختلف المذاهب ما نتيجته: و فى ضوء ما ذكرنا كله لا يبدو لنا سائغا سماع الغناء فى المذياع فى الراديو أو التلفزيون لما فيه من الفتنة الظاهرة و لما يقترن به، مما يجعله محظورا على النحو الذى بيناه، لا سيما أغانى التلفزيون حيث تجتمع الصورة و ما فيها من فتنة و شبه عرى مع حركات المغنية و ما فيها من فتنة و إثارة، و مع الصوت المفتن، و بالإضافة إلى ذلك كله فإن الغناء قلما تخلو ألفاظه و عباراته من الخنا و الفحش و وصف محاسن النساء و إثارة الشهوات، و كذلك الحال فى أغانى الذكور من صبيان مرد، و من شباب مخنثين، و من رجال متصايين. و فى ضوء هذا الواقع يمكن القول أن غناء المغنيات و المغنين فى الراديو و التلفزيون على النحو الذى وصفناه- و هو الواقع- لا يجوز، و إن الاستماع إليه لا- يجوز لا سيما أغانى التلفزيون «٢». الحقيقة العلمية: يقول الدكتور فائق السامرائى: إن للموسيقى تأثيرا علاجيا كما (١) جاءت هذه المقالة فى مجلة

التربية الإسلامية العدد السابع، السنة ٣٤ ذو الحجة ١٩٩٩ هـ، ١٩٩٩ م ص ٣٩٥-٣٩٧. (٢) المفصل فى أحكام المرأة و البيت المسلم فى الشريعة الإسلامية، د. عبد الكريم زيدان، ج/ ٤، ص ٩١. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٧٤ أثبتت البحوث الحديثة، فحاليا هناك الكثير من المعاهد العلاجية فى دول عديدة تأخذ بنظرية الموسيقى و العلاج النفسى بواسطة الموسيقى ... يقسم شيكوفسكى أستاذ الأمراض النفسية و العصبية فى جامعة صوفيا طرائق هذه المعالجة الطبية الموسيقية إلى خمسة أنواع و كالاتى: ١- المحيط الخلفى العلاجى: و ذلك بواسطة بث برامج موسيقية غير منتقاة تشيع جوا هادئا أثناء العمل و الطعام و المطالعة فى المستشفى. ٢- العلاج التأملى الموسيقى: تجرى على شكل جلسات فردية أو اجتماعية، و فيه تنتقى الموسيقى انتقاء يتلاءم مع شخص المريض و أسلوب علاجه، فالكآبة لها موسيقاها، و كذلك الجنون و الحزن و غيرها. فآلات النفخ الهوائية تزيد من حالات التوتر و الاضطراب و عدم الراحة، بينما الوترية و البيانو تضىفى جوا رقيقا هادئا. ٣- العلاج الجماعى الموسيقى: و يعتمد على الحركات الراقصة المشابهة للتمارين الرياضية و يشترك فيه الإيقاع مع الموسيقى لإعطاء توافق بين الفعاليات الحسية و الجسدية. و يتطلب هذا النوع تظافر جهود كل من مصمم الرقصات و المعالج الموسيقى و الطبيب لوضع برنامج علاجى بكل مواصفاته. و هنالك أساليب أخرى لهذا النوع من العلاج يدخل فيه التنويم المترامن مع الموسيقى، و طرق و تقنيات مختلفة أخرى لتنفيذ العلاج بحسب إمكانات المعهد و مقدرة معالجه على الابتكار. ٤- العلاج الدوائى: يتم هذا العلاج أما بشكل فردى أو جماعى سواء كان عزفا أو غناء مع تفضيل الشكل الجماعى على الفردى. و هنالك توقيتات لجلسات هذا العلاج حسب ما يراه الطبيب، و تنتقى الموسيقى و الكلمات حسب حالة المريض. و هو مطبق منذ قرن من الزمن فى بريطانيا ثم كندا و بلغاريا و بقية دول العالم، كما أثبت أنه يفيد الأطفال خصوصا لحالات العوق العقلى و الانحراف السلوكى و الأمراض العقلية و العصبية. ٥- العلاج الموسيقى الإبداعى: و قسمها شواب عام ١٩٧٤ م إلى ثلاثة أنماط: لحنى

و إيقاعى و ارتجالى، و يتم الأداء فيها من قبل المرضى. ثم توصل الباحث فى نهاية البحث إلى أن الموسيقى علاج مساعد و ثانوى و ليس أساسى، فهو لا- يرقى إلى مستويات العلاجات الطبيه التقليديه، و يمكن درجه ضمن قائمه المؤثرات الثقافيه التى يمكن استخدامها ضمن و سائل العلاج الذى يهدف إلى إزالة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٧٥ المتسلط النفسى للمريض بعد تشخيصه و تصميم الطرق العلاجية الكفيلة بتخفيفه و التخلص منه. كما أنها تساعد فى تحرير المريض من المتسلط المرضى النفسى للانحرافات العاطفيه و الهواجس و الأوهام و التخيلات و الانحراف الغريزى «١». لقد أوضحنا فى كتابنا (المنظار الهندسى للقرآن الكريم)، الأشكال الذبديه لأصوات الآلات الموسيقية المختلفه، و كيف أن هذه الأصوات درست علميا بشكل مفصل بما يتعلق بعلم الصوت و هندسته و كيف أنها تحمل شدة ضوضاء عاليه، و إذا ما ربطنا هذا مع ما توصل إليه الأطباء النفسانيون بتأثير الموسيقى كعلاج و وقايه- و ليس تأثيرها على الأشخاص الأسوياء- فإن نتائجها ليست أساسيه كما تم توضيح هذا فى البحث السابق، بل إنها أحيانا تؤدي إلى عكس النتائج كالأضطراب النفسى و الانحراف الغريزى و الأوهام و التخيلات خصوصا إذا ما صوحت بصور مرئيه مليئه بمحركات الشهوات و الأمراض و العقد النفسية التى يتلقاها المتلقى بشكل يؤثر سلبا على نفسيته و بالتالى على تصرفاته. و لعل العود الحميد إلى الله تعالى لكثير من أهل الوسط الفنى فى مصر، و اعتزالهم العمل فيه بوضعه المزرى الذى لا يبنى عقلا و لا خلقا من جهة، و انتحار عدد من الفنانين و الفنانين من مختلف الجنسيات أو إصابتهم بأمراض نفسيه أو عقليه أو جسمانيه من جهة أخرى، يوضح دون أدنى شك لكل مراقب مدى اضطراب الحالة النفسية لأهل هذا الوسط خصوصا من لديه حس مرهف منهم و هم يرون أمام أعينهم مستنقع الانحطاط و السوقيه و الإسفاف الذى و قعوا فيه، فتراهم إما أن يعودوا و يتوبوا و يعتزلوا، أو يحصل لهم تطرف فى السلوك كرده فعل على الرفض الداخلى لما هم فيه فينتحروا أو يصابوا بمرض معين، و العياذ بالله! ... نسأل الله تعالى ان يكون هذا العود الحميد لكثير من هؤلاء الفنانين و الفنانين إلى رشدهم، و ارتداء الكثيرات منهن الحجاب و اعتزالهم الرذيله التى سموها فنا لهو الخير و الأمل فى أسلمه فنا و تطهيره من الدس اللعين للحاقدين من بعض أهل الغرب. و إذا ما حولنا نظرنا صوب التأثير النفسى و الروحى لكتاب الله فإننا نجد شفاء

(١) العلاج بالموسيقى، الدكتور فائق السامرائى، مجلة علوم العراقيه، العدد ٥٧، ص ١٢-١٣. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٧٦ للمرضى و راحة للمتعبين و هدوء و سكينه للأسوياء، فهذا ما أثبتته معاهد كبيره فى الولايات المتحده الأمريكية و دول أخرى عديده إسلاميه و غير إسلاميه، فمنذ عدة سنوات و البحوث مستمره حول هذا الموضوع و وصلت إلى دراسه الموجات الصوتيه للقرآن الكريم الذى أدخل بصوت الحاسوب و تأثيره على المرضى و الأصحاء، و أثبتت فيه أن تأثيره مهما جدا و أكثر أهميه من الموسيقى العلاجيه .. على أن هذا الأمر يجب أن ينتبه إليه المسلمون بشكل حذر، فإذا كان على أساس علمى بحث فمرحبا به، أما إذا كان يهدف إلى تحويل أنظار العالم من المعانى الروحيه العظيمة للقرآن الكريم و الأمور التشريعيه و العلميه الرائعه التى جاءت فيه صوب مقارنته بالموسيقى فإن هذا هو الكيد بعينه. إن الإسلام لا يعارض أى غريزه أعطاها الله للإنسان، فغريزه التمتع بالأصوات الشجيه هو شىء جميل وافقت الشريعه الغراء عليه، فوضعت له الأطر و القوانين المثلى التى تمنعه من الانحراف .. فالإسلام الذى شرعه خالق البشر قد اعطى الأمر بناء على القمه العليا للعلم، إذ إن الموسيقى المبنية على الآله و ليس الصوت البشرى أو الحيوانى سيكون لها تأثيرات سلبيه جانبيه على السلوك البشرى عموما، فضلا عن الأصوات البشرى التى تعمل على تخريب الأخلاق و إفساد الذمم بالكلام المعسول الذى لا ينفع، و هذا ما نلمسه اليوم فى مجتمعاتنا التى اضحت مدمنه على سماع المسكرات الصوتيه و المخدرات الموسيقيه. و حيث إن العلم البشرى لم يصل بعد إلى نهايته فإن دراسه التأثيرات الموسيقيه على السلوك لم تبلغ مواصفاتها النهائيه بسبب عدم معرفه الإنسان و إحاطته بكافه جوانب عقله و استغلاله بشكل صحيح. و على هذا الأساس كان تعامل الإسلام مع سماع المعازف و الأغاني- بالصورة التى بينها آتفا- و التى تؤدي إلى الانحراف السلوكى الذى نجده اليوم واضحا أمامنا، فجاء هذا التعامل على أساس هذا الباب و ليس غيره، فهو تعامل علمى قبل أكثر من ألف و أربعمائه عام بدأ علماء اليوم- و ليس السفهاء- يتعاملون معه و يذهبون إلى

صحة مذهبه. لننظر الآن إلى المسألة من ناحية علمية بحثية بعيدا عن العواطف و الاتجاهات الفكرية: فقد قام باحثون من جامعات أمريكية متعددة بدراسة إحصائية دامت سنين عديدة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٧٧ حول المتزوجين من علاقة تسبق الزواج من عشق و غيره و نشرت عام ١٩٩٧ م، و اتضح من هذه الدراسة أن أكثر نسب الطلاق، و الانفصال و عدم التفاهم بعد الزواج، كانت من هؤلاء و هذه النسبة أكبر بكثير من الزواج المتأني و الناضج و المعتمد على التعارف بعد الزواج عند العوائل المحافضة على تقاليدها، كما و أعطى البحث دراسة إحصائية حول موضوع الحالات النفسية للأزواج قبل و بعد الزواج و تبين أن أكثر المشمولين بالدراسة يكذبون على الطرف الآخر قبل الزواج و ينون حياتهم على كذبة ثم يزول القناع بعد الزواج لتبين الحقائق التي تصدم الطرف الآخر فيكون رد الفعل عنيفا و يحصل التباعد و التنافر و الطلاق أحيانا كثيرة و كذلك الخيانات الزوجية و غير ذلك من الأمور التي أدت إلى تدمير الأسر و تفككها و بالتالي انحلال المجتمع و أثبت في نهاية البحث أن موضوع العشق و الهوى هذا ما هو إلا- كذبة كبيرة تخدع الكثيرين و أن الزواج الناضج المتأني هو الادوم و الأكثر استقرارية و اتزان، و قد شمل البحث أشخاصا مختلفى الأعمار و الوظائف و الأحوال الاجتماعية و الاقتصادية «١». و من أراد التفصيل في هذا الأمر فيمكنه الرجوع إلى أطباء نفسيين متخصصين في هذا المجال و علماء اجتماع ليعلموا هذه الحقيقة علميا و عمليا و واقعا. و لئن كان العلم قد توصل إلى أن القشرة الدماغية لدى البشر متطورة و معقدة بشكل عظيم جدا، و أن الجهاز المسئول عن الانفعالات و منها الحب و العواطف الموجود في الفص الأيمن للدماغ يحفز الهرمونات الجنسية لأداء وظيفتها، فإن عملية الخفقان و الاضطراب الذي يحصل للقلب و المرافقة لعملية النظر إلى الجنس الآخر لم يتوصل العلم لحد الآن لفهم مكوناتها و أسرارها العجيبة فهي لا تزال قيد البحث و الدراسة، و إن كل ما توصل إليه العلم في هذا المجال هو أن الاضطراب القلبي مصاحب لكل انفعال عاطفي حزنا كان أم فرحا، غضبا أم خوفا يأتي بسبب إفراز هرمونات و مواد معينة كمادة الأدرينالين مثلا- في حالة الخوف. و إن الاضطراب القلبي الناتج عن فعل المحرمات

(١) خبر سمعته من إذاعة بغداد و نشر

في صحف محلية عديدة، و أكده الدكتور يوسف القرضاوي في برنامج الشريعة و الحياة الذي تبثه قناة الجزيرة القطرية الفضائية و كانت الحلقة حول موضوع علاقة الجنسين قبل الزواج ١٩٩٩ م. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٧٨ كالسرقة و الرشوة و الزنا و النظر إلى الجنس الآخر يأتي من حيث شدته بالمرتبة الثانية بعد حالة الخوف المباشر. إلا أن الإسلام العظيم قد حسم الأمر بقوله تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَ قُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَ يَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ لِيُضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَ لَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْثِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَ لَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَ تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٣١)، (سورة النور)، فقد ربط بين النظر و الشهوة الجنسية ربطا سببيا واضحا. و هنا دعوة إلى المتخصصين في مجال النفس و الجملة العصبية و الدماغ إلى سبر أغوار هذا اللغز و خصوصا من لديهم حس ديني و خلقى كى لا ندع الشيطان و حظه يتمكنوا منا، و صدق الله العظيم إذ ينبئنا أن فعل الشيطان و جيشه في شياطين الإنس و الجن سيتمكن ممن يتولونه و يتبعونه، فيقول الحق جل و علا- وَ اسْتَفْزِرْ مِنْ اسْتِطْعَتٍ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجْلِكَ وَ شَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ وَ عَدَّهُمْ وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً (٦٤)، (الإسراء: ٦٤). إن التحليل المنطقي للحالة هو أن غريزة الجنس تتحرك داخل النفس البشرية عند رؤية الجنس الآخر إذ يقع منها موقعا يحرك النزوات الشهوانية و تعتمد هذه الحالة على التراكم النفسى للشخص و الجو البيئي و التربوي له و تختلف درجاتها من شخص إلى آخر، هذه النزوة تتحول إلى رغبة جامحة و خصوصا عند اللذين لهم حالات عاطفية متهيجه كالمراهقين أو أصحاب التطرف الجنسي و الأمراض النفسية المرتبطة بالجنس و لكن دور القلب هنا يشبه دور المعارضة في العمل السياسي إذ أن له صوت آخر يمتزج مع صوت النفس الراجبة و التي تشتهي دائما كالطفل المدلل الذي لا



يمل من الطلبات، و صوت القلب هذا لا يعرف الكذب فهو كالجهاز المبرمج لأداء وظيفة و وظيفته هو إرشاد الإنسان إلى صحة العمل الذى يقوم به فإذا ارتكبت الحواس أى عمل لا يرضاه الله تعالى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٧٩ فإن القلب يضطرب كما هو الحال عند ما يقدم إنسان على سرقة أو رشوة أو قتل أو غش أو كذب أو نظرة إلى امرأة أو سماع لكلام يثير الشهوة و كذلك فى حالة الخوف .. و هكذا هنا القلب يضطرب لأنه يرفض هذه الحالات لأن الله تعالى فطره على هذا العمل و إذا استمع الإنسان لهذا الصوت سلم أما إذا لم يفهمه أو لم يستمع إليه فإن الصداً يصيب القلب شيئاً فشيئاً حتى يصبح الأمر طبيعياً لدى الشخص صاحب هذا القلب و هؤلاء هم أصحاب القلوب الميتة. هذه الحقائق العلمية هى التى يعتمد عليها جهاز الكشف عن الكذب إذ يضطرب القلب عند ما يكذب بذبذبات أسرع من الحالة الطبيعية بسبب إفراز مادة الأدرينالين، فيسجل الجهاز هذه الذبذبات و يتبين إن كان الرجل يكذب أم لا. و هكذا فإن القلب كأنما ينادى صاحبه، أن احذر يا حاملى فإنك تخالف أمر الله و لا يحق لك عمل ذلك، و هذا الأمر بالضبط هو مفتاح اللغز الذى لم يفهم عند الكثيرين فيفسرون خفقان القلب على انه صوت يدعوك لعمل الشىء الذى ترغب النفس له، و لكن الحقيقة هو أن الصوت هذا هو صوت معارض لرغبة النفس لذلك فمن يستمع إليه فإن هذا يقوده إلى تركية نفسه و تعويدها على تحمل الضغط النفسى الناتج من الغرائز الزائدة عن الحاجة البشرية، و من لا يستمع إليه فإنه سيتبع هواه و غرائزه و ينحدر إلى الحيوانية حتى و إن كان مثقفاً أو متعلماً علماً مادياً إلا أن ميكانيكية سيطرته على هواه لا تزال جاهلة و أمية. و الدليل العلمى لهذا إضافة إلى ما سبق يكمن فى حالتين: الأولى هو أنه فى الحيوانات عند رؤية الجنس الآخر لها لا يضطرب قلبها و هذا منطقي شرعاً إذ أن الحيوانات فطرت على الغريزة. و أما الحالة الثانية فتخص البشر إذ أن المتزوجين لا يتعرضون لاضطراب قلبى عند ممارسة الجماع مع أزواجهم أو عند رؤيتهم ما يثير الشهوة الجنسية فيهم بنفس الشدة التى تحصل عند ممارسة الزنا و العياذ بالله، و هذا دليل أن القلب هنا لا يعترض على هذا إذ أن الأمر لا خطأ فيه و لا جريرة و لكنه مع الأسف يفسر عند الكثيرين خطأ على أن الحب قد مات بين الزوجين بينما هو فى الحقيقة الحالة الطبيعية لعمل القلب ... إذن نحن أمام حقيقة علمية و واقعية تقول إن هذا الأمر كله مبالغ فيه و إن التركيز يجب أن ينصب على كيفية إرشاد الناس إلى الزواج الصحيح و بناء الأسر بشكل عقلانى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٨٠ و ملتزم لا كما يطبل و يزم له جنود إبليس و خدمة الماسونية و الصهيونية من الفنانين و المطربين علموا أم لم يعلموا، فإن كنت لا تدرى فتلك مصيبة و ان كنت لا تدرى فالمصيبة أعظم، و إن الحب الذى زوروه و حرفوه هو الحب الملائكى العظيم الذى ليس فيه استفادة مادية و لذة شهوانية بل هو حب روى لمساته وجدانية صافية تسمو بالنفس و تجعلها فى مرحلة ملائكية راقية سامية ألا و هو حب الله و رسوله صلى الله عليه و سلم و دينه و قرآنه و حب الوالدين و الأولاد و الأسرة و الوطن و الأمة و الإخوان و الأصحاب مصداقاً لقوله تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١)، (آل عمران: ٣١)، بينما الحب غير السامى ربطه الله تعالى بالشهوة المحرمة و المقصود بها فى غير أبواب الحلال فى قوله تعالى: \* وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠)، (يوسف: ٣٠). و من يشأ التفصيل فى موضوع الأثر الذى يتركه التلاعب بمشاعر الناس باستخدام موضوع الحب هذا عن طريق التمثيل و الغناء، فهناك كتب صدرت عن الماسونية فى الوطن العربى و سيجد فيها صور فوتوغرافية لممثلين و فنانين مصريين من الجيل القديم و هم يؤدون القسم الماسونى، هؤلاء الذين دفعوا المجتمع إلى الانحراف الخلقى و التفسخ و التهتك فعمت الفوضى، و انقلب الابن و البنت على والديهما تحت شعارات باطله، و انتشر الزنا، و ابتعدنا عن كل خلق و سمو و معروف دافعت عنه أجيال و سالت بسببه دماء زكية و استشهد فى سبيله مئات الألوف و الملايين من أبناء هذه الأمة العظيمة، و نسينا قول الله سبحانه و تعالى و لا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً و سَاءَ سَبِيلًا (٣٢)، (الإسراء: ٣٢) و لم يقل (و لا تزنا) أى كل المقربات و المؤديات إلى الزنا يجب مقاطعتها، و كذلك قوله صلى الله عليه و سلم: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا ذلك لا محالة فالعينين زناهما النظر و الأذنان زناهما الاستماع و اللسان زناه الكلام و اليد زناها البطش و الرجل زناها الخطا و القلب يهوى و يتمنى و يصدق ذلك الفرج و يكذبه» «١»، و قوله صلى الله عليه و سلم «إذا زنى

(١) أخرجه البخارى (الاستئذان ٦٢٤٣، و القدر ٦٦١٢)، مسلم (القدر ٢٦٥٧)، و أبو داود و أحمد. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٨١ العبد خرج منه الإيمان فكان على رأسه كالظلة فإن أفلح رجع إليه» رواه أبو داود و الحاكم و الصحيح الجامع ٥٨٦، و الحقيقة أن الإنسان يجب أن يقى نفسه و أولاده و أهله من الأسباب المؤدية إلى الزنا و أخطرها النظر إلى ما فشا من تبرج و سفور و خلاعة تصديقا لقول رسول الله صلى الله عليه و سلم «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم و يثبت الجهل و يشرب الخمر و يظهر الزنا» «١» .. و ليعلم أولياء الأمور انهم مسئولون أمام الله عن هذا لقوله صلى الله عليه و سلم «أن الله سائل كل راع عما استرعاه أحفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته» رواه النسائي فى الكبرى ٩١٧٤، السلسلة الصحيحة ١٦٣٦، و قد ذكرنا الآثار الصحية السيئة للزنا فى كتاب الطب من هذه السلسلة. فصدر و صدق قول الله تعالى فى حق أذعياء الفن هؤلاء: إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ الْخَرِيقِ (١٠)، (البروج: ١٠). وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧)، (النساء: ٢٧) ... و صدق المثل الأجنبى الذى يقول: (إن الأغبياء فقط يقعون فى الحب). أسأل الله أن يهدينا و يهديهم أجمعين و يعيدنا إلى ديننا الحق عودة حميدة، إلى دين العزة و الرفعة و المجد و العلم العظيم و الخلق الكريم، الدين الذى وصلت به هذه الأمة إلى منزلة لم تصلها أمة عبر التاريخ. و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين و أفضل الصلاة و أتم التسليم على سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين. اللهم لك الحمد ملء السماوات و ملء الأرض و ملء ما شئت من شىء بعد. إلى اللقاء مع الكتاب القادم و السلام عليكم و رحمة الله تعالى و بركاته (١) . أخرجه

البخارى (العلم ٨٠)، و مسلم (العلم ٢٦٧١)، الترمذى (الفتن ٢٢٠٥)، و ابن ماجه و أحمد. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٨٣

## الملحق تاريخ التشريع الإسلامى

### إشارة

الملحق تاريخ التشريع الإسلامى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٨٥ تاريخ التشريع الإسلامى «١»

## التشريع الإسلامى:

التشريع الإسلامى: التشريع أو الفقه الإسلامى هو مجموعة الأحكام الشرعية التى أمر الله عباده بها، و مصادره أربعة و هى التالية: ١. القرآن الكريم. ٢. السنة النبوية. ٣. الإجماع. ٤. القياس. سوف نتناول فى بحثنا فى هذا الملحق مواضيع تتعلق بالشرعية الإسلامىة و تاريخها و كيفية تكاملها و كيفية وصولها إلينا، و سنفصل مصادر التشريع الإسلامى و نشرح كيفية تدوين القرآن و السنة مع ذكر آراء و مذاهب الصحابة، و نركز على مسألة المذاهب و نشأتها و وجه الحاجة إلى أن يتبع المسلم مذهباً من هذه المذاهب، ذلك لأن الكثيرين لا يعلمون شيئاً عن كيفية نشأتها، و من ثم فهم لا يعلمون لما ذا ينبغى لهم أن يتبعوا واحداً منها. و هذا بحث ينبغى على كل مسلم أن يتعلمه لأنه يتعلق تعلقاً وثيقاً بأساس الدين. و سنبدأ إن شاء الله تعالى بدراسة تاريخية للشرعية الإسلامىة منذ فجر ظهورها تقريباً إلى يومنا هذا، سائلين المولى عز و جل أن يتقبل منا عملنا المتواضع جداً بقبول حسن، كما نرجو من الإخوة و الأحبة أن لا يقصروا كما عودونا بأى نصيحة أو اقتراح، جزاكم الله تعالى عنا كل خير.

## أدوار تاريخ التشريع الإسلامى

أدوار تاريخ التشريع الإسلامى ينقسم تاريخ التشريع إلى ستة أدوار: ١. الدور الأول: التشريع فى حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم.

٢. الدور الثاني: التشريع في عصر كبار الصحابة (من سنة ١١ إلى سنة أربعين هجرية). ٣. الدور الثالث: التشريع في عهد صغار الصحابة ومن تلقى عنهم من التابعين (\_\_\_\_\_). (١)

الموسوعة الإسلامية المعاصرة، قرص مدمج/ تاريخ التشريع الإسلامي. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٨٦ ٤. الدور الرابع: تدوين السنة و أصول الفقه و ظهور الفقهاء الأربعة الذين اعترف الجمهور لهم بالإمامة و الاجتهاد المطلق، و أنه من اتبع واحدا منهم كان ناجيا عند الله تعالى إن شاء الله عز و جل. ٥. الدور الخامس: القيام على المذاهب و تأييدها و شيوع المناظرة و الجدل من أوائل القرن الرابع إلى سقوط الدولة العباسية. ٦. الدور السادس: من سقوط بغداد على يد هولاء إلى الآن و هو دور التقليد المحض ... و لا يعنى هذا بأى حال من الأحوال توقف الاجتهاد، فالمسائل المستحثة و المستجدة التي تستوجب الفتوى فإن هناك من علماء الأمة من يتصدى لها مخلصا النية لله تعال معتمدا على مصادر التشريع الرئيسية.

## مصادر التشريع الإسلامي:

### إشارة

مصادر التشريع الإسلامي: مصادر التشريع الرئيسية في الإسلام أربعة، و هي:

### ١. القرآن الكريم:

١. القرآن الكريم: و هو كلام الله تعالى و هو المصدر و المرجع لأحكام الفقه الإسلامي، فإذا عرضت لنا مسألة رجعنا قبل كل شىء إلى كتاب الله عز و جل لنبحث عن حكمها فيه، فإن وجدنا فيه الحكم أخذنا به، و لم نرجع إلى غيره. و لكن القرآن لم يقصد بآياته كل جزئيات المسائل و تبيين أحكامها و النص عليها، و إنما نص القرآن الكريم على العقائد تفصيلا، و العبادات و المعاملات إجمالا و رسم الخطوط العامة لحياة المسلمين، و جعل تفصيل ذلك للسنة النبوية. فمثلا: أمر القرآن بالصلاة، و لم يبين كيفياتها، و لا عدد ركعاتها. لذلك كان القرآن مرتبطا بالسنة النبوية لتبيين تلك الخطوط العامة و تفصيل ما فيه من المسائل المجملة.

### ٢. السنة النبوية:

٢. السنة النبوية: و هي كل ما نقل عن النبي صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل أو تقرير. و تعدّ في المنزلة الثانية بعد القرآن الكريم، شريطة أن تكون ثابتة عن الرسول صلى الله عليه و سلم بسند صحيح، و العمل بها واجب، و هي ضرورية لفهم القرآن و العمل به.

### ٣. الإجماع:

٣. الإجماع: هو اتفاق جميع العلماء المجتهدين من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم في عصر من العصور على حكم شرعى، فإذا اتفق هؤلاء العلماء - سواء كانوا في عصر الصحابة أو بعدهم - على حكم من الأحكام الشرعية كان اتفاقهم هذا إجماعا و كان العمل بما أجمعوا عليه واجبا. و دليل ذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم أخبر أن علماء المسلمين لا يجتمعون على الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٨٧ ضلالة، فما اتفقوا عليه كان حقا، فقد روى أحمد في مسنده عن أبي بصرة الغفارى رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: "سألت الله عز و جل أن لا يجمع أمتى على ضلالة فأعطانيها ... " و الإجماع يأتى فى المرتبة الثالثة من حيث الرجوع إليه، فإذا لم نجد الحكم فى القرآن، و لا فى السنة، نظرنا هل أجمع علماء المسلمين عليه، فإن وجدنا ذلك أخذنا و عملنا به ... مثاله، إجماع الصحابة رضى الله تعالى عنهم على أن الجد يأخذ سدس التركة مع الولد الذكر، عند عدم وجود الأب.

## ٤. القياس:

٤. القياس: وهو إلحاق أمر ليس فيه حكم شرعى بآخر منصوص على حكمه لاتحاد العلة بينهما. وهذا القياس نرجع إليه إذا لم نجد نصاً على حكم مسألة من المسائل فى القرآن و لا فى السنة و لا فى الإجماع. فالقياس إذا فى المرتبة الرابعة من حيث الرجوع إليه ... و أركان القياس أربعة: أصل مقيس عليه، و فرع مقيس، و حكم الأصل المنصوص عليه، و علة تجمع بين الأصل و الفرع ... و دليله قوله عز و جل: فَاعْتَبِرُوا يَا أُولَى الْأَبْصَارِ (٢)، [الحشر: ٢]، أى لا تجمدوا أمام مسألة ما، بل قيسوا وقائعكم الآتية على سنة الله الماضية. و روى مسلم و غيره عن رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، و إذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر." و روى أبو داود و الترمذى عن أبى هريرة أن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه أرسله رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى اليمن ليعلم الناس دينهم، فقال صلى الله عليه و سلم: (يا معاذ بما تقضى؟)، قال: بكتاب الله، قال صلى الله عليه و سلم: (فإن لم تجد فى كتاب الله؟)، قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، قال: (فإن لم تجد؟)، قال: أقيس الأمور بمشبهاتها (و هذا هو الاجتهاد)، فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد تهلل وجهه سرورا: (الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله)، و فى رواية أخرى قال صلى الله عليه و سلم: (فإن لم تجد فى سنة رسول الله؟)، قال: أجتهد رأيى و لا آلو (أى أجتهد و لا أترك) ... مثاله: إن الله تعالى حرم الخمر بنص القرآن الكريم، و العلة فى تحريمه: هى أنه مسكر يذهب العقل، فإذا وجدنا شراباً آخر له اسم غير الخمر، و وجدنا هذا الشراب مسكراً حكماً بتحريمه قياساً على الخمر، لأن علة التحريم - و هى الإسكار - موجودة فى هذا الشراب؛ فيكون حراماً قياساً على الخمر. و سيأتى فيما يلى معالجة و تعريف و تبيان كل مصدر من هذه المصادر من خلال الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٨٨ الحديث عن الأدوار التى مر بها تاريخ التشريع الإسلامى.

## ضرورة التزام الفقه الإسلامى، و التمسك بأحكامه:

## إشارة

ضرورة التزام الفقه الإسلامى، و التمسك بأحكامه: لقد أوجب الله تعالى على المسلمين التمسك بأحكام الفقه الإسلامى، و فرض عليهم التزامه فى كل أوجه نشاط حياتهم و علاقاتهم. و أحكام الفقه الإسلامى كلها تستند إلى نصوص القرآن الكريم و السنة الشريفة. فإذا استباح المسلمون ترك أحكام الفقه الإسلامى، فقد استباحوا ترك القرآن و السنة، و عطّلوا بذلك مجموع الدين الإسلامى، و لم يعد ينفعهم أن يتسموا بالمسلمين أو يدعوا للإيمان، لأن الإيمان فى حقيقته هو التصديق بالله تعالى، و بما أنزل فى كتابه، و فى سنة نبيه صلى الله عليه و سلم ... و الإسلام الحقيقى يعنى الطاعة و الامتثال لكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه و سلم عن ربه عز و جل مع الإذعان و الخضوع و الرضا. و أحكام الفقه الإسلامى ثابتة لا تتغير و لا تتبدل مهما تبدل الزمن و تغير، و لا يباح تركها بحال من الأحوال. فشرع الله صالح لكل زمان و مكان، و الأدلة من القرآن و السنة كثيرة و عديدة. أما فى الكتاب، فقد قال الله تعالى: اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (٣)، [الأعراف: ٣] ... فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا (٦٥)، [النساء: ٦٥] ... و مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، [الحشر: ٧] ... و مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا مُّبِينًا (٣٦)، [الأحزاب: ٣٦] ... و أما فى السنة فالأحاديث كثيرة أيضاً منها: - ما رواه البخارى و مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "من أطاعنى فقد أطاع الله، و من عصانى فقد عصى الله - ما رواه أبو داود و الترمذى قوله صلى الله عليه و سلم: "عليكم بسنتى." و بناء على هذه النصوص يعد من يختار من الأحكام غير ما اختاره الله و رسوله، قد ضلّ ضلالاً بعيداً، قال تعالى: فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ

(٦٣)، [النور: ٦٣]. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٨٩ و سنتناول فيما يأتي من هذا الملحق إن شاء الله تعالى معالجة أهم النقاط المتعلقة بالأدوار الأربعة الأولى فقط و التي تهمننا.

## ١- الدور الأول: التشريع في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم الكتاب و السنة:

### إشارة

١- الدور الأول: التشريع في حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم الكتاب و السنة: من المعلوم أن أهم مصدرين من مصادر الشريعة الإسلامية هما كتاب الله عز و جل و سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم، فهما المصدران الأساسيان للتشريع الإسلامي و سائر أحكام الإسلام. و لكن في الحقيقة هناك مصدر أساسي واحد لا ثاني له للشريعة الإسلامية ألا و هو القرآن الكريم، و لكن لما أمرنا الله عز و جل أن نتخذ من كلام رسول الله صلى الله عليه و سلم شارحا و مبينا و مفضيلا لكتابه الكريم، كانت السنة النبوية بأمر القرآن المصدر الثاني للتشريع. لقد أمرنا الله تعالى أن نطيع الرسول عليه الصلاة و السلام في ما أخبر و أن نعلم على شرحه في غوامض كتاب الله، فطاعتنا لرسول الله صلى الله عليه و سلم إنما هي فرع من طاعة الله عز و جل. قال تعالى: مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، [النساء: ٨٠] .. وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)، [النحل: ٤٤] ... وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ اخْذَرُوا، [المائدة: ٩٢] .. وَ مَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا، [الحشر: ٧] .. وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، [النحل: ٦٤] .. إذا فالشريعة الإسلامية في عهد النبي عليه الصلاة و السلام، كانت تعتمد اعتمادا فعليا على مصدرين فقط هما القرآن و السنة، أما الإجماع و القياس فلم يكن لهما وجود في ذاك العصر لأن القياس يلجأ إليه عند وجود مسألة لا نص فيها، و ما دام رسول الله صلى الله عليه و سلم حيا فالنص مستمر و لا إشكال و حتى لو أن النبي عليه الصلاة و السلام قاس أو اجتهد فلا بد أن يتحول هذا الاجتهاد إلى نص. و تفصيل ذلك أنه إذا اجتهد رسول الله صلى الله عليه و سلم في مسألة فإما أن يقره الله تعالى عليها فتصبح نصا حينئذ أو أن يصبوب الله تعالى له فيكون نصا أيضا.

## ١- القرآن الكريم:

### أ- تعريفه:

أ- تعريفه: هو كلام الله تعالى القديم، المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم، المتعبد بتلاوته، المبتدأ ب بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين و المختتم بسورة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٩٠ الناس. و القرآن الكريم هو وحى من الله تعالى للنبي صلى الله عليه و سلم باللفظ و المعنى.

### ب- الفرق بينه و بين الحديث النبوي و الحديث القدسي:

ب- الفرق بينه و بين الحديث النبوي و الحديث القدسي: لكي نعرف الفرق بين القرآن و بين الحديث القدسي و الحديث النبوي، نعطي التعريفين الآتين: - الحديث النبوي: هو ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية. مثال القول: قوله عليه الصلاة و السلام "إنما الأعمال بالنيات،" ... جزء من حديث رواه البخاري و مسلم. مثال الفعل: قول عائشة رضي الله عنها في صفة صوم النبي صلى الله عليه و سلم "كان يصوم حتى نقول لا- يفطر و يفطر حتى نقول لا يصوم." و

كالذي ثبت من تعليمه لأصحابه كيفية الصلاة ثم قال: "صلوا كما رأيتموني أصلي" رواه البخاري. مثال الإقرار: كأن يقر أمرا علمه عن أحد الصحابة من قول أو فعل، سواء أكان ذلك في حضرته صلى الله عليه وسلم، أم في غيبته ثم بلغه، و من أمثلته: "أكل الضب على مائدته صلى الله عليه وسلم"، فأقرهم على أكله - وهذا دليل الشافعية على جواز أكل الضب - ولم ينكر عليهم ذلك إذ يستحيل أن يرى معصية ولا ينكرها أو يسكت عنها. فائدة: إذا فعل إنسان طاعة وسكت عنها النبي صلى الله عليه وسلم، دل ذلك على استحبابها فضلا عن جوازها، لأنه لا يجوز لأحد أن يخلق طاعة ما ليعتد الله بها، فليس للعبد أن يتعبد له بأمر لم يأمره به جل وعلا، من هنا كان عدم صحته وجواز النذر إلا فيما كان من جنسه طاعة أو واجب، فمن نذر أن يشرب كوب ماء مثلا، لا يصح نذره و بالتالي لا يلزمه الوفاء به. مثال الصفة: ما روى: من أنه صلى الله عليه وسلم "كان دائم البشر، سهل الخلق، ... رواه البخاري و مسلم. - الحديث القدسي: هو ما يضيفه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله تعالى: أي أن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه على أنه من كلام الله، فالرسول عليه الصلاة والسلام راو لكلام الله بلفظ من عنده. فالحديث القدسي معناه وحى من عند الله عز وجل و لفظه من عند النبي صلى الله عليه وسلم. مثال الحديث القدسي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه عز وجل: "إني حرمت الظلم على نفسي و جعلته بينكم محرما." الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٩١ و عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله تعالى: "أنا عند ظن عبدي بي، و أنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ..." أخرجه البخاري و مسلم. إذا فالحديث القدسي هو حديث تلقى الرسول صلى الله عليه وسلم مضمونه من الوحي فبينه للناس بكلامه و لفظه أي أوحى الله تعالى له بالمعنى و الرسول صلى الله عليه وسلم صاغ هذا المعنى بعبارة. - الفرق بين القرآن و الحديث النبوي: هناك فروق عدة أهمها: ١- أن القرآن الكريم كلام الله أوحى به تبارك و تعالى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلفظه و معناه، و تحدى به العرب الفصحاء و الجن و الإنس و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا، فعجزوا عن أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، و لا يزال التحدى قائما، فهو معجزة خالدة إلى يوم الدين. أما الحديث لم يقع به التحدى و الإعجاز. إعجاز السنة لا يضاهي إعجاز القرآن رغم أن السنة تعتبر من أفصح كلام العرب حيث ورد في الحديث الشريف أنه صلى الله عليه وسلم أوتى جوامع الكلم، إلا أنها تأتي بالمرتبة الثانية بعد القرآن. ٢- القرآن الكريم جميعه منقول بالتواتر، فهو قطعي الثبوت، و الأحاديث أكثرها ظنية الثبوت أما الأحاديث المتواترة فهي قطعية الثبوت. فائدة: كون الحديث قدسيا لا يعنى أنه متواتر أو صحيح، إذ لا علاقة بين كونه قدسيا و بين درجته، فقد يكون الحديث القدسي صحيحا، و قد يكون حسنا، و قد يكون ضعيفا أو حتى موضوعا، ذلك لأن الحكم على الحديث من حيث الصحة أو الضعف إنما يكون على السند الذي وصل به إلينا. ٣- القرآن من عند الله لفظا و معنى، فهو وحى باللفظ و المعنى، أما الحديث فمعناه من عند الله و لفظه من عند الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو وحى بالمعنى دون اللفظ. ٤- القرآن تتعبد الله بتلاوته، فهو الذي تتعين القراءة به في الصلاة، أما الحديث فلا تجزئ قراءته في الصلاة. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٩٢

## ج- نزول القرآن الكريم «١»:

### إشارة

ج- نزول القرآن الكريم «١»: الراجع أن القرآن له تنزلان: الأول: نزوله جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى بيت العزة في السماء الدنيا. يقول الله تعالى في كتابه العزيز مبينا هذا المعنى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ، [البقرة: ١٨٥] ... و قال جل و علا: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ (٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ (٤)، [الدخان: ٣-٤]، أى في ليلة القدر و ليست ليلة النصف من شعبان كما يعتقد كثير من عامة الناس ... و قال تبارك و تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)، [القدر: ١]. الثانى: نزوله من السماء الدنيا إلى الأرض مفرقا منجما في ثلاث و عشرين سنة ... يقول

اللَّهِ تَعَالَى: وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) [الإسراء: ١٠٦] ... تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (٢) [الجاثية: ٢]. هذه الآيات وكثير غيرها، تفيد أن جبريل عليه السلام نزل به على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن هذا النزول غير النزول الأول إلى السماء الدنيا فالمراد به نزوله منجماً أى على دفعات، ويدل التعبير بلفظ التنزيل دون الإنزال على أن المقصود النزول على سبيل التدرج، فالتنزيل لما نزل مفرقاً والإنزال أعم يفيد النزول دفعة واحدة كما كان حال التوراة والإنجيل، قال تعالى: الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤)، [آل عمران . وقد نزل القرآن منجماً فى ثلاث وعشرين سنة منها ثلاث عشرة سنة بمكة على الرأى الراجح، وعشر بالمدينة، وكان ينزل بحسب الوقائع والأحداث خمس آيات وعشر (\_\_\_\_\_ ١) لتفاصيل فى هذا العلم انظر كتبنا (القرآن منهل العلوم- طبع الجامعة الإسلامية ببغداد)، وكتاب (استنباط الحلول من أسباب النزول). الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٩٣ آيات وأكثر أو أقل.

### الحكمة من نزوله منجماً:

الحكمة من نزوله منجماً: ١- تثبيت فؤاد النبى صلى الله عليه وسلم وتكريمه بإنزال الوحي عليه مرارا وتكرارا. قال تعالى: كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا (٣٢)، [الفرقان: ٣٢]. قال السخاوى "فى نزوله إلى السماء جملة تكريم بنى آدم وتعظيم شأنهم عند الملائكة وتعريفهم عناية الله بهم، ورحمته لهم، ولهذا المعنى أمر سبعين ألفا من الملائكة أن تشيع سورة الأنعام، وزاد سبحانه فى هذا المعنى بأن أمر جبريل بإملائه على السفرة الكرام، وإنساخهم إياه، وتلاوتهم له "٢- التحدى والإعجاز. ٣- تيسير حفظه وفهمه وتدبر معانيه والوقوف عند أحكامه. ٤- مراعاة حال المخاطبين بالوحي وعدم مفاجأتهم بما لا عهد لهم به ومسايرة الحوادث والتدرج فى التشريع .. وأوضح مثال على ذلك، التدرج فى تحريم الخمر: فقد نزل قوله تعالى: وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا، [النحل: ٦٧] أشارت الآية إشارة خفية إلى أن الخمر ليس رزقا أى لا ينتفع به. ثم نزل قوله تعالى: \*يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا، [البقرة: ٢١٩]، ثم نزل قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى [النساء: ٤٣]، ثم قال تبارك وتعالى مصرّحا بالنهى والتحريم القاطع فى سورة المائدة: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)، [المائدة: ٩٠]. ٥- الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد، إذ لو كان من كلام البشر لوقع فيه التفكك والانقسام واستعصى أن يكون بينه التوافق والانسجام، يقول تعالى: وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)، [النساء: ٨٢]. فأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى ذروة الفصاحة والبلاغة بعد القرآن الكريم- لا تنتظم حباتها فى كتاب واحد سلس العبارة، دقيق السبك، مترابط المعانى، الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٩٤ رصين الأسلوب ومتناسق الآيات و السور.

### د- نزول القرآن على سبعة أحرف:

#### إشارة

د- نزول القرآن على سبعة أحرف: لقد كان للعرب لهجات شتى، فكل قبيلة لها من اللهج فى كثير من الكلمات ما ليس للآخرين، إلا أن قريشا من بين العرب قد تهيات لها عوامل جعلت للغتها الصدارة بين فروع العربية الأخرى، فكان طبيعيا أن يتنزل القرآن بلغه قريش تأليفا للعرب وتحقيقا لإعجاز القرآن ... فقد أخرج أبو داود من طريق كعب الأنصارى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى

ابن مسعود رضى الله عنه " :إن القرآن نزل بلسان قريش، فأقرب الناس بلغه قريش. " ... ولقد كان واضحا لكبار الصحابة رضوان الله عليهم أن القرآن إنما نزل بلسان قريش قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي ذلك حكم جليله أهمها: ١- أن قريشا هم قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جرت سنة الله في رسله أن يعيّنهم بألسنة أقوامهم، قال تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ...، [إبراهيم: ٤]. ٢- أنه عليه الصلاة والسلام قد أمر بتبليغهم الرسالة أولا، قال تعالى: وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤)، [الشعراء: ٢١٤]. فلا بد من مخاطبتهم بما يألفون ويعرفون ليستبين لهم أمر دينهم. فأنزل الله القرآن بلغتهم وأساليهم التي يفضلونها في مستوى رفيع من البلاغة لا يجارى. ٣- إن لغة قريش هي أفصح اللغات العربية وهي تشمل معظم هذه اللغات لاختلاط قريش بالقبائل و لاحتوائها الجيد الفصيح من لغاتها. وإذا كان العرب تتفاوت لهجاتهم في المعنى الواحد بوجه من وجوه التفاوت، فكان لا بد للقرآن أن يكون مستجمعا وشاملا- لهذه اللهجات مما ييسر على العرب القراءة والحفظ والفهم. ونصوص السنة قد تواترت بأحاديث نزول القرآن على سبعة أحرف. عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال " :سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكنت أساوره في الصلاة. فتصبرت حتى سلم فلبتته بردائه فقلت من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت له الإقتصاد والإجتماع، ص: ٩٥ كذبت، أقرأنيها على غير ما قرأت. فانطلقت به أقوده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم يقرئها. فقال صلى الله عليه وسلم: أرسله. أقرأ يا هشام، فقرا القراءة التي سمعته ... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت. ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقرأ يا عمر، فقرأت التي أقرأني فقال صلى الله عليه وسلم: كذلك أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقراءوا ما تيسر منه، " رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذى وأحمد وابن جرير. قوله " :فكنت أساوره في الصلاة: " أى أوأثبه وأفأثله، وقال النووى: أى أعاجله وأوأثبه ... وقوله " :فلبتته بردائه: " أى جمعت عليه ثوبه عند لبتته وجررته به لئلا يتفلت منى. و اللبنة: الهزمنة التي فوق الصدر، وفيها تنحر الإبل ... وقوله " :كذبت: " أى أخطأت، لأن أهل الحجاز يطلقون الكذب في موضع الخطأ ... و سبب تخطئه عمر كان بسبب رسوخ قدمه في الإسلام بخلاف هشام فإنه كان قريب العهد بالإسلام فخشى عمر من ذلك أن لا يكون أتقن القراءة، بخلاف نفسه فإنه أتقن ما سمع، وكان سبب اختلاف قراءتهما أن عمر حفظ هذه السورة من رسول الله صلى الله عليه وسلم قديما، ثم لم يسمع ما أنزل فيها بخلاف ما حفظه وشاهده ولأن النبي صلى الله عليه وسلم أقرأ هشاما على ما نزل أخيرا فنشأ اختلافهما من ذلك. ومبادرة عمر للإنيكار محمولة على أنه لم يكن سمع حديث أنزل القرآن على سبعة أحرف إلا في هذه الحادثة. يفيد هذا الحديث أن النزاع بين الصحابين الجليلين راجع إلى كيفية تلاوة القرآن، لا إلى تفسيره و بيان معانيه وهذا يبرهن على أن القرآن يقرأ بأكثر من وجه. وهذه الأوجه التي أنزل عليها القرآن ليست من لغة واحدة بل هي من عدة لغات عربية كلها توقيفية أى أوحى بها إلى النبي صلى الله عليه وسلم. و روى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب قوله رضى الله عنه " :كنت في المسجد فدخل رجل يصلى فقرا قراءة أنكرتها عليه. ثم دخل آخر فقرا سوى قراءة صاحبه، فلما قضينا الصلاة دخلنا جميعا على رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت: إن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه. ودخل آخر فقرا سوى قراءة صاحبه. فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرا. فحسبني أن هذا قرأ قراءة أنكرتها عليه. ودخل آخر فقرا سوى قراءة صاحبه. فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قد غشيني ضرب في صدرى ففضت عرقا وكأني أنظر إلى الله عز وجل فرقا، فقال لى الإقتصاد والإجتماع، ص: ٩٦ صلى الله عليه وسلم: (يا أبى أرسل إليّ أن أقرأ القرآن على حرف فرددت إليه أن هون على أمّتى. فردّ إليّ الثالثة: أقرأه على سبعة أحرف، فلك بكل ردة رددتها مسألة تسألنيها فقلت: اللهم اغفر لأمتى. اللهم اغفر لي، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إليّ الخلق كلهم حتى إبراهيم صلى الله عليه وسلم). يتبين من ذلك أن كل حرف من الأحرف السبعة تنزيل من حكيم حميد. وقد يتساءل المرء عن كلام الله تعالى كيف يقرأ على سبعة أوجه ...؟ وقد تعثر به الدهشة ويختلجه



الشك بإثارة الشيطان وساوسه في نفسه ليكدر صفو إيمانها، ويوهن من قوة يقينها بالله ورسوله وكتابه. وفي هذا الحديث معالجة عملية لمثل هذه الحالة النفسية الدقيقة الحرجة. فالرسول صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يباشر بنفسه القيام بهذه المداواة. فلقد ضرب في صدر الصحابي الجليل ضربة نبوية قطع بها دابر الشك الوافد قبل استقراره وتمكنه، فأخذ على الشيطان سبيله إلى قلب أبي، ثم أتبع ذلك ببيان يتلج الصدر ببرد اليقين، ويفعم القلب بنور الإيمان، أعلى مراتب الإيمان "اعبد الله كأنك تراه" مما جعل أبا يرى نفسه كمائل أمام الحضرة الإلهية، فغشيه شعور عظيم بالمهابة والحياء من الله، و يروعه ما كاد ينزلق فيه بعد إذ هداه الله من ضلال أشد من ضلال الجاهلية، فاتابه إحساس قوى بالخجل والوجل فلاذ بالإذعان لمشيئة الله وحكمته البالغة التي قضت بإنزال القرآن على سبعة أحرف. ما المراد بالأحرف السبعة؟: اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة، وتشعبت أقوالهم، وتعددت، ولكننا سنورد أرجح الأقوال وهو قول محمد بن الجزري في بيان المراد بحديث أنزل القرآن على سبعة أحرف. قال ابن الجزري: لا زلت أستشكل هذا الحديث وأفكر فيه وأمعن النظر من نيف و ثلاثين سنة، حتى فتح الله عليّ بما يمكن أن يكون صوابا إن شاء الله. ذلك أني تتبعت القراءات صحيحها وشاذها وضعيفها ومنكرها فإذا هو يرجع اختلافها إلى سبعة أوجه من الاختلاف لا يخرج عنها وذلك: أولاً: الاختلاف في الحركات بلا- تغير في المعنى والصورة: نحو: (البخل) بأربعة أوجه و (يحسب) بوجهين. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٩٧ ثانياً: الاختلاف في الحركات بتغير المعنى فقط: نحو: فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ، [البقرة: ٣٧]، و قرئ بنصب "آدم" و رفع "كلمات". ثالثاً: الاختلاف في الحروف بتغير المعنى لا- الصورة: نحو: (تبلو) و (تتلو) و (تنجيك بيدنك) و (ينجيك بيدنك). رابعاً: الاختلاف في الحروف بتغير الصورة لا المعنى: نحو: (بسطه و بسطة) و نحو (الصراط و السراط). خامساً: الاختلاف في الحروف بتغير الصورة و المعنى: نحو: (فامضوا، فاسعوا). سادساً: الاختلاف في التقديم و التأخير: نحو: (فيقتلون و يقتلون)، قرئ (فيقتلون و يقتلون). سابعاً: الاختلاف في الزيادة و النقصان: نحو: (أوصى، و وصى). قال ابن الجزري: فهذه سبعة لا يخرج الاختلاف عنها. و هنا لا بد من التوضيح بأن كل كلام الله المنزل على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم منسجم يؤكد بعضه بعضا، و يفسر بعضه الآخر، لا تصادم بين نصوصه و لا تنافي بين مدلولاته .. قال تعالى: أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا (٨٢)، [النساء: ٨٢]. و هذه الحقيقة تنطبق على القرآن في قراءاته على حرف أو على السبعة بمجموعها. فإنها جميعا لا تخرج في تفاوتها إلى تصادم النصوص أو تنافي المدلولات، بل التوسعة بالأحرف السبعة لا تحل حراما و لا تحرم حلالا. قال ابن شهاب الزهري "بلغني أن تلك السبعة الأحرف إنما هي في الأمر الذي يكون واحدا، لا يختلف في حلال و لا حرام." و حكى ابن عطية انعقاد الإجماع على ذلك "فالإجماع أن التوسعة لم تقع في تحريم حلال، و لا في تحليل حرام، و لا في تغيير شيء من المعاني المذكورة." الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٩٨

### حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف:

حكمة نزول القرآن على سبعة أحرف: ١- تيسير القراءة و الحفظ و التخفيف على العباد و التسهيل عليهم و مراعاة حال العرب في اختلاف ألسنتهم. ٢- مزيد الإعجاز اللغوي في القرآن. ٣- الإعجاز في المعاني و الأحكام ذلك أن حكما فقها معينا أو معنى جديدا يفهم من قراءة أخرى كقوله تعالى: وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ، [البقرة: ٢٢٢]، و في قراءة حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ، فأفادت القراءة الثانية عدم جواز مجامعة الرجل زوجته إذا طهرت من حيضها حتى تغتسل. ٤- توحيد لغات العرب. فلقد نزل القرآن بلسان قريش أولاً، ثم أنزلت الحروف لتسهل تلاوته للعرب قاطبة على اختلاف لغاتهم، لأن الحروف قد راعت تفاوت اللغات في الألفاظ التي يجرع العرب النطق بها كونها قرشية. ٥- الأحرف السبعة خصيصة لأمة محمد صلى الله عليه و سلم. قال الإمام ابن الجزري مفصلا حكم إنزال القرآن على سبعة أحرف "و منها إعظام أجور هذه الأمة من حيث إنهم يفرغون جهدهم ليلبغوا قصدهم في تتبع معاني ذلك و استنباط الحكم و الأحكام من دلالة كاللفظ ... و منها بيان فضل هذه الأمة و

شرفها على سائر الأمم، من حيث تلقيهم كتاب ربهم هذا التلقى و إقبالهم عليه و البحث عنه لفظه لفظه و الكشف عنه صيغة صيغة، فلم يهملوا تحريكها و لا- تسكينها و لا تفخيما و لا ترقيقا ... مما لم يهتد إليه فكر أمة من الأمم. الأحرف السبعة مزية للقرآن على الكتب السماوية: قال الطبرى فى شرح حديث الأحرف السبعة: "و معنى ذلك كله، الخبر منه صلى الله عليه و سلم عما خصه الله تعالى به و أمته من الفضيلة و الكرامة التى لم يؤتها أحدا فى تنزيله. و ذلك أن كل كتاب تقدم كتابنا نزوله على نبي من أنبياء الله، صلوات الله عليهم، فإنما نزل بلسان واحد، متى حول إلى غير اللسان الذى نزل به كان ذلك له ترجمة و تفسير لا تلاوة له على ما أنزله الله ... و منها ظهور سر الله تعالى فى توليه حفظ كتابه العزيز و صيانته كلامه المنزل بأوفى البيان و التمييز. " .. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ٩٩ و نشير هنا إلى أن الأحرف السبعة لا تعنى القراءات السبعة بل تعنى سبعة أوجه فى الخلاف و قد وصل إلينا عشرة قراءات متواترة لكتاب الله تعالى. القراءات هى اختلاف ألفاظ الوحي فى كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف و تثقيل و غيرهما. و قد عرف ابن الجزرى القراءات بقوله: "علم القراءات، علم بكيفية أداء كلمات القرآن و اختلافها حسب ناقلها."

## ٥- جمع القرآن و ترتيبه:

### إشارة

٥- جمع القرآن و ترتيبه: كلمة جمع تأتى بمعنيين: المعنى الأول: بمعنى حفظه و منه يقال جماع القرآن أى حفظه، و هذا المعنى هو الذى ورد فى قوله تعالى: إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧)، [القيامة: ١٧] ذلك أنه كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يجهد نفسه و يردد وراء جبريل حين كان ينزل عليه بالوحي خشية أن لا يحفظ ما أنزل عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية تطمينا للنبي صلى الله عليه و سلم و تثبيتا لفؤاده حيث أوضحت الآية الكريمة أن الله سبحانه و تعالى قد تعهد بتحفيظه إياه و عدم نسيانه و تفهميه معناه. المعنى الثانى، جمع القرآن بمعنى كتابته كله فى صحيفة واحدة بين دفتى كتاب.

## ١- جمع القرآن بمعنى حفظه على عهد النبي صلى الله عليه و سلم:

١- جمع القرآن بمعنى حفظه على عهد النبي صلى الله عليه و سلم: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم مولعا بالوحي، يترقب نزوله بشوق، فما من آية تنزل إلا و يدعو ثلثه من أصحابه، اختارهم لكتابة الوحي، فيأمرهم بكتابة ما نزل. و كان كلما نزلت آية حفظت فى الصدور و وعثها القلوب. و قد اتخذ النبي عليه الصلاة و السلام كتابا للوحي منهم: الخلفاء الأربعة، و عبد الله بن مسعود و معاذ بن جبل و زيد بن ثابت و أبى بن كعب و خالد بن الوليد و غيرهم رضى الله عنهم. و هكذا كان القرآن يكتب آية آية و مقطعا فمقطعا. و لم يكن ترتيبه حسب ترتيب النزول بل كان سيدنا جبريل يقول للمصطفى عليه الصلاة و السلام إن الله يأمرك أن تضع هذه الآية على رأس كذا آية من سورة كذا، فيأمر رسول الله صلى الله عليه و سلم كتاب الوحي بوضع هذه الآية فى ذلك المكان. و عند ما نزلت آخر آية- على الرأى الذى رجحه كثير من علماء الحديث- و هى قول الله تعالى: وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٠٠ (٢٨١)، [البقرة: ٢٨١]، قال جبريل لرسول الله صلى الله عليه و سلم، ضع هذه الآية على رأس مائتين و واحد و ثمانين آية من سورة البقرة بين آيتى الربا و الدّين. و هكذا تكامل نزول القرآن كله، و توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم بعد ذلك بتسع ليال. و كان صلى الله عليه و سلم يعرض على جبريل كل سنة ما كان يجتمع عنده من كتاب الله، و قد عرضه كله مرتين عليه فى نفس السنة التى توفى فيها صلى الله عليه و سلم. إذا القرآن كان يكتب من فم رسول الله صلى الله عليه و سلم، و كان الصحابة يخطونه على جريد النخل و صفائح الحجارة و رقاع الجلد ... و هذا يدل على مدى المشقة التى كانوا يتحملوها فى الكتابة حيث لم تيسر لهم أدوات الكتابة إلا بهذه الوسائل. و لم تكن هذه الكتابة فى عهد النبي صلى

الله عليه و سلم مجتمعة في مصحف عام، و لم يجمع الرسول صلى الله عليه و سلم القرآن بين دفتي كتاب في حياته لأن إمكان نزول الوحي كان مستمرا كما أن إمكان نسخ بعض الآيات كان مستمرا. و قبض النبي عليه الصلاة و السلام و القرآن محفوظ في الصدور و مكتوب على نحو ما سبق، بالأحرف السبعة التي أنزل عليها، و هذا ما يسمى بالجمع الأول (حفظا و كتابة).

## ٢- ترتيب الآيات و السور:

٢- ترتيب الآيات و السور: إن ترتيب الآيات و السور في القرآن الكريم توقيفى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم عن جبريل عليه السلام عن رب العزة سبحانه و تعالى و هذا بإجماع العلماء، فقد كان جبريل عليه السلام ينتزل بالآيات و يرشد إلى موضعها من السورة أو الآيات التي نزلت قبل، فيأمر الرسول صلى الله عليه و سلم كتبه الوحي بكتابتها في موضعها. أخرج الحاكم في المستدرک بسند على شرط الشيخين عن زيد بن ثابت أنه قال "كنا عند رسول الله صلى الله عليه و سلم نؤلف القرآن من الرقاع، (أى كنا نرتب الآيات و السور وفق إشارة رسول الله صلى الله عليه و سلم).

## ٢- تاريخ الحديث النبوى:

### كتابة الحديث فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم:

كتابة الحديث فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم: من المتفق عليه أن النبى عليه الصلاة و السلام منع أصحابه من كتابة غير القرآن فى أول عهد النبوة خلال ثلاث سنوات أو تزيد قليلا، و قد صح عنه عليه الصلاة و السلام أنه قال لأصحابه "لا تكتبوا عنى غير القرآن و من كتب عنى فليمحاه." و لكن الأمر اختلف فيما بعد حيث سمح لهم بعد ذلك بالكتابة. لكن ترى ما الحكمة فى ذلك؟. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٠١ السبب أن النبى صلى الله عليه و سلم خشى فى أول الأمر أن يلتبس على الناس أسلوب القرآن بأسلوب الحديث فيختلط عليهم هذا بذاك فيكتبون حديثا و هم يظنونهم قرآنا أو يكتبون آية و هم يظنونها حديثا و هذا احتمال وارد جدا، لأن الصحابة لم يعرفوا بعد على القرآن تعرفا تاما و لم يتذوقوه تذوقا يجعلهم يفرقون بينه و بين غيره من أحاديث النبى عليه الصلاة و السلام ... فلما نزل قسط كبير من القرآن، و تعرفوا إلى أصوله و خصائصه، أذن لهم رسول الله صلى الله عليه و سلم أن يكتبوا الحديث. و لقد صح عن النبى عليه الصلاة و السلام أن بعضا من الصحابة نهى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن يكتب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم الحديث و قال إن رسول الله بشر و هو ينطق بالغضب و الرضى فلا تكتب إلا القرآن، فذهب و سأل النبى صلى الله عليه و سلم عن ذلك فقال له "اكتب، فو الله لا يخرج منه- و أشار إلى فمه- إلا الحق." كما ورد أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال "لم يكن أحد من الصحابة أكثر منى حديثا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا ما كان من شأن عبد الله بن عمر فإنه كان يكتب و لم أكن أكتب." إذا قسط يسير من حياة النبى عليه الصلاة و السلام بعد البعثة، الحديث لم يكن يكتب فيه و القسط الأ-كبر كان يكتب على قطع متفرقة من الصحف و الأوراق و نحو ذلك و لم يدون- أى لم يجمع بين دفتي كتاب- لا فى حياته و لا بعد وفاته عليه الصلاة و السلام إلا فى ما بعد أواخر عصر التابعين- كما سوف نرى- على يد أبى بكر بن حزم رضى الله عنه و من ثم باقى العلماء من بعده بأمر من عمر بن عبد العزيز ثم باقى العلماء من بعده كالإمام مالك و أحمد و غيرهم. فائدة: الفرق بين الكتابة و التدوين: الكتابة هى أن يكتب الإنسان ما يريد كتابته فى أوراق متفرقة دون ضم بين دفتي كتاب، و هذا ما يسمى بالكتابة المطلقة. أما التدوين فهو جمع ما يراد كتابته مرتبا بين غلافين فى كتاب واحد ... من هنا كان خلط المستشرقين بين الكتابة و التدوين، لجهلهم باللغة العربية- إن حسنا الظن بهم- فقالوا إن الحديث لم يكتب إلا بعد وفاة النبى صلى الله عليه و سلم و انقراض

عصر الصحابة و الحقيقة أن الحديث كتب و لكنه لم يدون أى لم يجمع بين دفتى كتاب. و لقد كان عند سيدنا على رضى الله عنه صحيفة تسمى "الصحيفة الصادقة" و لكنها ليست صحيفة واحدة فقد كان مكتوب فيها مجموعة أحاديث متفرقة، و كثيرون آخرون من الصحابة كانوا يكتبون أيضا. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٠٢

## ٢- الدور الثاني: التشريع فى عصر كبار الصحابة

### الكتاب و السنة فى الدور الثاني:

#### إشارة

الكتاب و السنة فى الدور الثاني: توفى رسول الله صلى الله عليه و سلم، و قد تكامل القرآن نزولا و لكنه لم يجمع فى مصحف واحد بين دفتى كتاب، بل كان محفوظا فى صدور الحفاظ و صحف كتّاب الوحي، و كان عدد الحفاظ فى العهد النبوى كثيرا جدا. و كان قد وعى كثير من الصحابة حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم، بعضهم فى الصدور كأبى هريرة، و بعضهم فى الكتابة فى السطور لا تدوينا. و تولى أبو بكر رضى الله عنه الخلافة و لا يزال التشريع يعتمد على مصدرين أساسيين هما القرآن و السنة، و سنتكلم أولا عن القرآن و ما طرأ عليه من جديد.

### أ- القرآن الكريم فى عهد أبى بكر رضى الله عنه

أ- القرآن الكريم فى عهد أبى بكر رضى الله عنه حصل فى أول عهد أبى بكر رضى الله عنه ما دفعه إلى وجوب جمع القرآن كله فى مصحف ذلك أنه واجهته أحداث جسام فى ارتداد جمهرة العرب، فجهز الجيوش لحروب المرتدين، و كانت غزوة أهل اليمامة سنة ١٢ للهجرة تضم عددا كبيرا من الصحابة القراء، فاستشهد فى هذه الغزوة سبعون قارئاً (أى حافظاً) من الصحابة، فهال ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فدخل على أبى بكر و أشار عليه بجمع القرآن و كتابته بين دفتى كتاب خشية الضياع بسبب وفاة الحفاظ فى المعارك. و لكن أبى بكر نفر من هذه الفكرة و كبر عليه أن يفعل ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ظل عمر يراوده حتى شرح الله تعالى صدر أبى بكر لهذا الأمر، فأرسل إلى زيد بن ثابت لمكانته فى القراءة و الكتابة و الفهم و العقل، و لأنه كان صاحب العرضة الأخيرة على رسول الله صلى الله عليه و سلم أى كان آخر الصحابة الذين قرءوا على رسول الله صلى الله عليه و سلم كاملا و قال صلى الله عليه و سلم: "خذوا عنه القرآن" أو بما معناه، و قصّ عليه قول عمر رضى الله عنه. نفر زيد من ذلك كما نفر أبو بكر الذى ظل يراجع حتى شرح الله تعالى صدره لذلك. و يروى زيد بن ثابت فيقول: "قال أبو بكر: إنك شاب عاقل لا نتهمك، و قد كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه و سلم، فنتبع القرآن فاجمعه. يقول زيد: "فو الله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ما كان أثقل مما أمرنى به من جمع القرآن،" و قال لأبى بكر: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم؟. قال: هو و الله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى للذى شرح الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٠٣ الله له صدر أبى بكر و عمر، فاتبعت القرآن أجمعه من العصب و اللخاف و صدور الرجال، و وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الأنصارى. لم أجدها مع غيره لَمَّدَ جَاءَ كُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ، [التوبة: ١٢٨] حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حياته، ثم عند حفصة بنت عمر. "و كان زيد بن ثابت لا يكتفى بالحفظ دون الكتابة، و قوله أنه لم يجد آخر سورة التوبة إلا عند أبى خزيمة الأنصارى لا- يعنى أنها ليست متواترة، و إنما المراد أنه لم يجدها مكتوبة عند غيره، و كان زيد يحفظها، و كان كثير من

الصحابة يحفظونها كذلك، و لكنّ زيدا كان يعتمد على الحفظ و الكتابة معا، فكان لا يكتب الآية حتى يأتيه اثنان من الصحابة حفظا هذه الآية من فم النبي صلى الله عليه و سلم، و اثنان آخران كتبها بين يدي النبي صلى الله عليه و سلم و لا يكتفى بمن كتب و لكن ليس بين يدي المصطفى صلى الله عليه و سلم، و هذا شرط لا بد منه حيث إن النبي صلى الله عليه و سلم مع أنه كان أميا و بقي أميا حتى توفي و لكنه كان يصوّب و يصحح لكتبه الوحي الذين يكتبون بين يديه إذا أخطئوا و هذا من معجزاته صلى الله عليه و سلم. و هنا يظهر لنا شدة حرص زيد بن ثابت رضى الله عنه و مبالغته فى الاحتياط. أخرج ابن أبى داود من طريق هشام ابن عروة عن أبيه أنّ أبا بكر قال لعمر و لزيد "أقعدا على باب المسجد فمن جاء كما بشاهدين على شىء من كتاب الله فاكتباه." و فسر الجمهور أنّ المقصود شاهدين عدلين فى الكتابة و شاهدين عدلين فى الحفظ. قال السخاوى "المراد أنهما يشهدان على أنّ ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم ... " و قال أبو شامة "و كان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم، لا من مجرد الحفظ. " ... و الذى يظهر أنّ أبو خزيمه الأنصارى شهادته بشهادة رجلين و لذلك أخذ منه زيد بن ثابت. و لعله جاء بعد أبي خزيمه من عنده هذه الآية مكتوبة بين يدي النبي صلى الله عليه و سلم و لكن زيدا كان قد اكتفى بأبى خزيمه لأن شهادته بشهادتين كما ذكرنا و ذلك لأنه كان لأحد من اليهود دين على رسول الله صلى الله عليه و سلم أداه له، فجاهه اليهودى يوما و أخذ يوبخ رسول الله عليه الصلاة و السلام و يعيره و يتهمه بأنه آخر سداد دينه، فأخبره عليه الصلاة و السلام أنه أذى له الدين، و لكن اليهودى أنكر، فقال صلى الله عليه و سلم (من يشهد لى؟)، فقام أبو خزيمه فشهد له. فقال له صلى الله عليه و سلم: (كيف تشهد لى على شىء لم تره؟)، (أى إنك ما رأيتنى حين سددت دين ذلك اليهودى)، فقال أبو الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٠٤ خزيمه: يا رسول الله أصدقك بخبر السماء أ فلا أشهد لك على هذا! ... فقال صلى الله عليه و سلم: (شهادة أبى خزيمه بشهادتين)، فكان أحد من الصحابة إذا أراد نكاحا أو معامله أتى بأبى خزيمه الذى كان يكفى عن شاهدين. و قد تم جمع القرآن كله بين دفتى كتاب خلال سنة واحدة تقريبا أى بعد سنة من وفاة النبي صلى الله عليه و سلم، فكان أبو بكر رضى الله عنه أول من جمعه بهذه الصفة فى مصحف واحد مرتب الآيات و السور مشتملا على الأَحرف السبعة التى نزل بها، و يرى بعض العلماء أنّ تسمية القرآن بالمصحف نشأت منذ ذلك الحين، و هذا الجمع هو المسمى "بالجمع الثانى." و قد ظفر مصحف أبى بكر بإجماع الأمة عليه و تواتر ما فيه. و بعد وفاة أبى بكر رضى الله عنه، انتقلت هذه الصحف أو الأوراق المجمعّة إلى بيت سيدنا عمر طوال فترة خلافته، و لما توفي أصبحت هذه الأوراق عند ابنته حفصة رضى الله عنها. سؤال: لما ذا كانت هذه الصحف عند حفصة بعد عمر لا عند عثمان بن عفان؟. الجواب: حفصة هى زوجة رسول الله صلى الله عليه و سلم و أم المؤمنين، و كانت حافظة للقرآن كله فضلا عن كونها تجيد القراءة و الكتابة، هذه المميزات جعلتها أهلا لحفظ الصحف عندها، و كذلك لأن عمر رضى الله تعالى عنه توفي دون أن يعين خليفة، بل جعل الأمر شورى بين ستة توفي النبي صلى الله عليه و سلم و هو عنهم راض، فبايع المسلمون عثمان، فكيف يوصى بالمصحف إلى عثمان و هو لم يعينه خليفة من بعده؟، لذلك بقى المصحف عند ابنته حفصة رضى الله عنها.

### ب- جمع القرآن فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه

#### إشارة

ب- جمع القرآن فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه روى البخارى عن أنس أنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان و كان يغازى أهل الشام فى فتح أرمينية و أذربيجان مع أهل العراق فأفرغ حذيفة اختلافهم فى القراءة- ذلك لأنهم أعاجم يخطئون بقراءة القرآن- فقال لعثمان أدرك الأمية قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود و النصارى، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا الصحف ننسخها فى المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت، و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص، و عبد الرحمن

بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، و قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنه إنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٠٥ في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة و أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا و أمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة و مصحف أن يحرق. و قد شرعت اللجنة الرباعية في تنفيذ قرار عثمان سنة خمس و عشرين أي بعد وفاة رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بحوالي أربعة عشر سنة. كتبت هذه المصاحف على ما يحتمله رسمها من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن. لقد تعدد الصحابة كتابه هذه المصاحف بالخط الذي يكون أكثر احتمالاً للأحرف، و قد وفقوا لذلك لعدم وجود النقط و الشكل ... و هكذا فإن الأصل في عمل عثمان أن يكون مستجمعا كافة الأحرف السبعة في مصاحفه و أن عثمان و من معه لا يفرطون في شيء أوحى به الله إلى رسوله صَلَّى الله عليه و سلم. روى ابن أبي داود أن سويد بن غفلة الجعفي قال: "سمعت علي بن أبي طالب رضى الله عنه يقول: يا أيها الناس لا تغلوا في عثمان، و لا تقولوا له إلا خيرا (أو قولوا له خيرا) في المصاحف و إحراق المصاحف، فو الله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا- عن ملاء- منا جميعا، فقال ما تقولون في هذه القراءة، فقد بلغني أن بعضهم يقول إن قراءة تى خير من قراءة تك و هذا يكاد يكون كفرا، قلنا فما ترى؟ قال نرى أن نجمع الناس على مصحف واحد، فلا- تكون فرقة و لا- يكون اختلاف، قلنا فنعلم ما رأيت. " و استنسخت اللجنة سبعة مصاحف، فأرسل عثمان بسنه منها إلى الآفاق و احتفظ لنفسه بواحد منها هو مصحفه الذي يسمى "الإمام، " و لقد تلقت الأئمة ذلك بالطاعة و أجمعت الصحابة على هذه المصاحف. و لقد جرّدت المصاحف العثمانية مما ليس من القرآن كالشروح و التفاسير، فمن الصحابة من كان يكتب في مصحفه ما سمع تفسيره و إيضاحه من النبي صَلَّى الله عليه و سلم مثال ذلك: قوله تعالى: لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ ... (البقرة: من الآية ١٩٨) ... فقد قرأ ابن مسعود و أثبت في مصحفه: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج، فهذه الزيادة للتفسير و الإيضاح. و بهذا قطع عثمان رضى الله عنه دابر الفتنة و حصّن القرآن من أن يتطرق إليه شيء من الزيادة و التحريف على مر العصور. و جمع عثمان للقرآن هو المسمى "ب" :الجمع الثالث. " و أتبع زيد بن ثابت و الثلاثة القرشيون معه طريقة خاصة في الكتابة ارتضاها لهم عثمان، و قد سمي العلماء هذه الطريقة ب" :الرسم العثماني للمصحف "نسبة إليه، و هو رسم لا بد من كتابة القرآن به لأنه الرسم الاصطلاحي الذي توارثته الأمة منذ عهد عثمان رضى الله الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٠٦ عنه. و لهذا الرسم أحكام و قواعد حيث كتب على نحو يتوافق و القراءات العشر. و لما أعيدت صحف حفصة إليها ظلّت عندها حتى توفيت و قد حاول مروان بن الحكم أن يأخذها منها ليحرقها فرفضت، حتى إذا توفيت أخذ مروان الصحف و أحرقها و قال مدافعا عن وجهه نظره: "إنما فعلت هذا لأنّ ما فيها قد كتب و حفظ بالمصحف الإمام، فخشيت إن طال بالناس زمان أن يرتاب في شأن هذه الصحف مراتب. " و قد وافقه علماء عصره على هذا و كان فعله صوابا و حكمته عظيمة. و من المعروف أن ابن كثير و هو من علماء القرن الثامن هجري، قد رأى مصحف الشام أى المصحف الذي أرسله عثمان رضى الله تعالى عنه إلى الشام و قال في كتابه "فضائل القرآن " :أما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذى فى الشام بجامع دمشق عند الركن شرقى المقصورة المعمورة بذكر الله، و قد كان قديما بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق فى حدود سنة ٥١٨ هـ. و قد رأيت كتابا عزيزا جليلا عظيما ضخما بخط حسن مبین قوى، بحبر محكم، فى رق أظنه من جلود الإبل. "

### رسم القرآن:

رسم القرآن: مما لا شك فيه أن الصحف التي كتبت على عهد النبي صَلَّى الله عليه و سلم و المصاحف العثمانية التي وزعت على الأمصار، كانت خالية من الشكل و النقط أى من التشكيل بالفتحة و الضمة و الكسرة. و مما لا ريب فيه أيضا أن رسم المصاحف العثمانية التي نسخت على هدى المصحف الأول، يقوم على إملاء خاص به في ذلك العصر و فيما بعده أيضا و هو يتفق في جملته مع الرسم القرشي في ذلك الوقت، و من هنا قال عثمان رضى الله عنه للكاتبين كما ورد في صحيح البخارى: "إذا اختلفتم أنتم و زيد في

كلمة من كلمات القرآن (أى فى كيفية كتابتها أى إملائها) فاكتبوها بلسان قريش فإنّ القرآن أنزل بلسانهم. "إذا كان للقرآن إملاء خاصا من حيث كتابة الهمزة مثلا أو الأحرف اليائية و الواوية و من حيث الزيادة و النقص و ما شابه ذلك. أما ظاهرة كتابته و هجائه الخاص فلم يطرأ عليها تغيير أو تحوير يذكر. فقد أخذ الناس يعتبرون الرسم القرآنى رسما معينا خاصا به و لم يجدوا ما يدعو إلى مدّ يد التغيير إليه، بعد أن وصل إليهم بهذا الشكل صورة طبق الأصل للكتابة المعتمدة الأولى. لقد رأى العلماء أنّ الحيطه فى حفظ القرآن تدعو إلى وجوب إبقائه على شكله الأول، و تحريم أو تكريه أى تطوير كتابى فيه تطبيقا للقاعدة الشرعية الكبرى (سد الذرائع). فنهى مالك عن تغيير هذه الكتابة الخاصة بالإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٠٧ بالقرآن كما حرّم أحمد بن حنبل ذلك أيضا.

### تحسين الرسم العثماني:

تحسين الرسم العثماني: كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط و الشكل لأنّ العرب كانوا يعتمدون على السليقة العربية السليمة التى لا تحتاج إلى الشكل بالحركات. و ظل الناس يقرءون القرآن فى تلك المصاحف بضعا و أربعين سنة حتى خلافة عبد الملك، فلما تطرّق إلى اللسان العربى الفساد بكثره الاختلاط بالأعاجم و ذلك بسبب الفتوحات الإسلامية الواسعة، أحسّ أولو الأمر بضرورة تحسين كتابة المصحف بالشكل و النقط و غيرهما مما يساعد على القراءة الصحيحة. و يرجّح أنّ أول من وضع ضوابط للعربية و تشكيل القرآن، هو أبو الأسود الدؤلى من التابعين، و ذلك بأمر من على ابن أبى طالب كرم الله وجهه و كان قد أمره بذلك زياد والى البصرة و لكنه تباطأ فى بادئ الأمر إلى أن سمع قارئاً يقرأ قوله تعالى: "أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ، [التوبة: ٣]، فقرأها بجر اللام من كلمة "رسوله" فغير بذلك المعنى كله و أصبح معنى هذه القراءة الخاطئة أن الله تعالى برىء من كل المشركين و من النبى صلّى الله عليه و سلّم و العباد بالله تعالى، بينما المعنى الصحيح للآية هو أن الله تعالى و كذلك رسوله صلّى الله عليه و سلّم كلّ برىء من المشركين. أفرغ هذا اللحن (الخطأ) أبا الأسود فذهب إلى الوالى زياد و قال له "قد أجبتك إلى ما سألت. " و انتهى فى اجتهاده أن جعل علامة الفتحة نقطة فوق الحرف و جعل علامة الكسرة نقطة أسفله و جعل علامة الضمة نقطة بين أجزاء الحرف و جعل علامة السكون نقطتين. و أعانه فى ذلك عدد من العلماء و تبعه آخرون منهم: يحيى بن يعمر، و نصر بن عاصم الليثى و غيرهما ... فلم ينفرد أبو الأسود الدؤلى وحده فى تشكيل القرآن و لكنه كان أول من بدأ بذلك. و كلما امتد الزمان بالناس، ازدادت عنايتهم بتيسير الرسم العثماني، فكان الخليل بن أحمد الفراهيدى أول من صنّف النقط و رسمه فى كتاب و أول من وضع الهمزة و التشديد و الزوم و الإشمام. و من المعلوم إنّ علم النحو لم يقعد و يدوّن إلا خدمة لضبط القرآن، حتى إنّ معظم علوم العربية الأخرى إنما قامت لخدمة القرآن أو نبعت من مضمونه. ثم تدرج الناس بعد ذلك فقاموا بكتابة العناوين فى رأس كل سورة و وضع رموز فاصلة عند رءوس الآى و تقسيم القرآن إلى أجزاء و أحزاب و أرباع و الإشارة إلى ذلك برسوم خاصة، و ذكر المكي و المدنى من السور. حتى إذا كانت نهاية القرن الهجرى الثالث، بلغ الرسم ذروته من الجودة و الحسن. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٠٨

### ضوابط القراءة الصحيحة:

ضوابط القراءة الصحيحة: من شروط كون القراءة مقبولة و صحيحة: ١- أن تكون موافقة للرسم العثماني فى أحد مصاحفه السبعة. ٢- أن تكون متواترة عن رسول الله صلّى الله عليه و سلّم. ٣- أن تكون صحيحة فى لغة العرب. إن القراءة الصحيحة التى وصلت إلينا عشرة، و من المعلوم أنه من فروض الكفاية أن يكون فى كل بلدة (كبيروت مثلا) حافظا لكتاب الله تعالى على القراءات العشر بالسند المتصل إلى النبى صلّى الله عليه و سلّم و مجازا بذلك.

**عناية العلماء بالمكى والمدنى:**

عناية العلماء بالمكى والمدنى: قام أعلام الهدى من الصحابة و التابعين بضبط منازل القرآن ضبطا يحدد الزمان و المكان، فكانوا يؤرخون كل آية بوقت و مكان نزولها. روى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال "و الله الذى لا إله غيره ما نزلت سورة من كتاب الله إلا و أنا أعلم أين نزلت؟ و لا نزلت آية من كتاب الله إلا و أنا أعلم فيم نزلت؟ و لو أعلم أن أحدا أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه." و قد عنى العلماء بتحقيق المكى و المدنى بدقة و عناية فائقة، فاتبعوا القرآن آية آية و سورة سورة، لترتيبها وفق نزولها، مراعين فى ذلك الزمان و المكان و الخطاب حتى اكتمل بذلك علم سمي "ب" "علم المكى و المدنى."

**الفرق بين المكى و المدنى:**

الفرق بين المكى و المدنى: أصح الأقوال أن: المكى: ما نزل قبل الهجرة و إن كان بغير مكة. المدنى: ما نزل بعد الهجرة و إن كان بغير المدينة، بأن نزلت آية ما فى مكة بعد الهجرة مثلا عند ما فتح النبى صلى الله عليه و سلم مكة، فتسمى مدينة و لا تسمى مكية.

**أهمية معرفة المكى و المدنى:****١- الاستعانة بها فى تفسير القرآن:**

١- الاستعانة بها فى تفسير القرآن: فإن معرفة مواقع النزول تساعد على فهم الآية و تفسيرها تفسيراً دقيقاً. مثال ذلك: من قرأ سورة "الكافرون" و لم يعلم زمن نزولها و هل هى مكية أم مدنية، فإنه يحار فى معناها، و قد يستخرج منها أن المسلمين غير مكلفين بالجهاد فى أى الأحوال و إنما عليهم أن يقولوا للآخرين لكم دينكم و لى دين. فإذا علم أن هذه السورة إنما نزلت فى مكة عند ما قال بعض صناديد الشرك لرسول الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٠٩ الله صلى الله عليه و سلم "تعال يا محمد نعبد إلهك يوماً و تعبد إلهنا يوماً،" إذا علم هذا، أدرك أن هذه السورة إنما هى علاج لتلك المرحلة ذاتها و ليست دليلاً على عدم مشروعية الجهاد الذى نزلت فيه آيات كثيرة أخرى فى المدينة.

**٢- معرفة الناسخ و المنسوخ من الآيات:**

٢- معرفة الناسخ و المنسوخ من الآيات: سؤال: من المعلوم أن سورتي المعوذتين نزلتا على رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المدينة المنورة بعد أن سحره ذلك اليهودى لبيد بن الأعصم، فلما ذا يكتب عنهما فى المصاحف أنهما مكيتان؟. الجواب: قد تكون هاتين السورتين نزلتا على النبى صلى الله عليه و سلم أكثر من مرة. فقد ورد أن سورة الفاتحة نزلت على قلب النبى صلى الله عليه و سلم مرات عديدة تثبتاً لفؤاده، فقد تكون هاتين السورتين نزلتا لما سحر لبيد بن الأعصم رسول الله صلى الله عليه و سلم فى المدينة بعد الهجرة، و أوحى الله تعالى إلى نبيه صلى الله عليه و سلم مرة أخرى بهاتين السورتين تثبتاً لفؤاده و تعليماً له و لأمتة من بعده أن قراءتهما تبطل سحر الساحر و هما رقية من سحر الساحر أو الحاسد.

**الحديث فى عهد الصحابة رضى الله عنهم:**



## إشارة

الحديث فى عهد الصحابة رضى الله عنهم: بعد وفاة النبى عليه الصلاة والسلام، قام الصحابة من بعده بحمل لواء الإسلام و تبليغ ما علموه منه صلى الله عليه و سلم. و لقد تميّز الصحابة بخصائص و مميزات أهلتهم لحفظ الحديث فى الصدور، و فيما يلى نورد أهم العوامل التى ساعدتهم لحفظ الحديث الشريف:

## عوامل حفظ الصحابة للحديث:

عوامل حفظ الصحابة للحديث: ١- صفاء أذهانهم و قوة قرائحهم و ذلك أنّ العرب أمة أئمة لا تقرأ و لا تكتب، و الأئمة يعتمد على ذاكرته فتنمو و تقوى لتسعه حين الحاجة، كما أنّ بساطة عيشتهم بعيدا عن تعقيد الحضارة جعلتهم ذوى أذهان نقيّة، لذلك عرفوا بالحفظ النادر و الذكاء العجيب حيث اشتهروا بحفظ القصائد من المرة الأولى و حفظ الأنساب ... ٢- قوة الدافع الدينى لأنهم أيقنوا أنّ لا سعادة لهم فى الدنيا و لا فوز فى الآخرة إلا بهذا الإسلام، فتلقّفوا الحديث النبوى بغاية الاهتمام و نهاية الحرص. ٣- تحريض النبى صلى الله عليه و سلم على حفظ حديثه، قال زيد بن ثابت: "سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول: (نصر الله امرأ سمع مقالتي فبلغها، فربّ حامل فقه غير فقيه و ربّ حامل الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١١٠ فقه إلى من هو أفقه منه) أخرجه أبو داود و الترمذى و ابن ماجه، و فى رواية: (نصر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه، فربّ مبلغ أوعى من سامع)، قال الترمذى حديث حسن صحيح. قال العلامة القسطلانى: "المعنى أنّ الله تعالى خصّه (أى ناقل حديث النبى صلى الله عليه و سلم) بالبهجة و السرور لأنه سعى فى نضارة العلم و تجديد السنّة، فجازاه النبى صلى الله عليه و سلم فى دعائه له بما يناسب حاله من المعاملة." و بالفعل هذا ما نجده فى وجوه المحدثين من نضارة و نور يعلو محياهم و حسن سمت يضى عليهم هيبه و وقاراً. ٤- اتباع النبى صلى الله عليه و سلم الوسائل التربوية فى إلقاء الحديث على الصحابة و سلوكه سبيل الحكمة كى يجعلهم أهلاً لحمل الأمانة و تبليغ الرسالة من بعده، فكان من شمائله فى توجيه الكلام: أ- أنه لم يكن يسرد الحديث سرداً متتابعاً بل يتأتى فى إلقاء الكلام ليتمكّن من الذهن، قالت عائشة رضى الله عنها فيما أخرجه الترمذى: "ما كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يسرد كسردكم هذا ولكنه كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس إليه." ب- لم يكن يطيل الحديث بل كان كلامه قصداً، قالت عائشة فيما هو متفق عليه: "كان يحدث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه." ج- أنه كثيراً ما يعيد الحديث لتعيه الصدور، روى البخارى و غيره عن أنس فقال: "كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يعيد الكلمة ثلاثاً لتعقل عنه." ٥- مواظبة الصحابة على حضور مجالس رسول الله صلى الله عليه و سلم التى كان يخصصها للتعليم و اجتهادهم فى التوفيق بين مطالب حياتهم اليومية و بين التفرغ للعلم، فها هو عمر بن الخطاب يتناوب الحضور مع جار له من الأنصار على تلك المجالس، فقال عمر: "كان ينزل صاحبى يوماً و أنزل يوماً فإذا نزلت جئتته بخبر ذلك اليوم من الوحى و غيره و إذا نزل فعل مثل ذلك،" رواه البخارى. ٦- مذاكرة الصحابة فيما بينهم، قال أنس: "كنا نكون عند النبى صلى الله عليه و سلم فنسمع منه الحديث فإذا قمنا تذاكرناه فيما بيننا حتى نحفظه." ٧- أسلوب الحديث النبوى، فقد أوتى النبى صلى الله عليه و سلم بلاغة نادرة شغفت بها قلوب العرب و قوة بيان يندر مثلها فى البشر و من هنا سمى القرآن الكريم الحديث "حكمة." ٨- كتابة الحديث و هى من أهم وسائل حفظ المعلومات و نقلها للأجيال. ورد فى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١١١ سنن أبى داود عن عبد الله بن عمرو أنه قال: "كنت أكتب كل شىء أسمع من رسول الله صلى الله عليه و سلم أريد حفظه." ... و قد تناولت الكتابة فى عهد النبى صلى الله عليه و سلم قسماً كبيراً من أهم الأحاديث و أدقها لاشتمالها على أمهات الأمور و على أحكام دقيقة.

## قوانين الرواية فى عهد الصحابة:

قوانين الرواية فى عهد الصحابة: اعتمد أئمة المفتين فى هذا الدور و جلّ الصحابة قوانين محددة فيما يتعلق برواية الحديث عن رسول

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَهْمُ هَذِهِ الْقَوَانِينُ هِيَ التَّالِيَةُ: التَّقْلِيلُ مِنَ الرَّوَايَةِ: خَشِيَةٌ أَنْ يَنْتَشِرَ الْكُذْبُ وَالْخَطَأُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... رَوَى الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ فِي تَذَكْرَةِ الْحَفَازِ عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي بَكْرٍ أَنَّهُ جَمَعَ النَّاسَ بَعْدَ وَفَاةِ نَبِيِّهِمْ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَالَ: "إِنَّكُمْ تَحَدَّثُونَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ أَحَادِيثَ تَخْتَلِفُونَ فِيهَا وَالنَّاسَ بَعْدَكُمْ أَشَدَّ اخْتِلَافًا، فَلَا تَحَدَّثُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا، فَمَنْ سَأَلَكُمْ فَقُولُوا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابَ اللَّهِ فَاسْتَحْلُوا حَلَالَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ." الثَّبْتُ فِي الرَّوَايَةِ: كَانَ الصَّحَابَةُ يَتَّبِعُونَ فِي مَا يَرَوْنَ لَهُمْ، فَلَمْ يَكُنْ أَبُو بَكْرٍ وَلَا عُمَرُ يَقْبَلَانِ مِنَ الْأَحَادِيثِ إِلَّا مَا شَهِدَا اثْنَانِ أَنَّهُمَا سَمِعَاهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ لِلْأَسْبَابِ التَّالِيَةِ: أ- قَوْلُهُ تَعَالَى: "إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَاذِبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ" (١٠٥)، [النحل: ١٠٥]. ب- قَوْلُهُ تَعَالَى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا... [الحجرات: ٦]. ج- لَمَّا سَأَلَ الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ لَمَّا ذَا لَا تَحَدَّثُ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا يَحَدَّثُ فَلَانَ وَفُلَانَ؟ قَالَ: "أَمَا إِنِّي لَمُ أَفَارِقُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَكِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: "مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مَتَعَمِدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ." د- وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَدِيثٍ يَرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ." إِذَا فَقَدَ كَانَ مِنْ طَبَعِ الصَّحَابَةِ الْحَرَصَ الشَّدِيدَ وَالْخَوْفَ مِنَ الْكُذْبِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ لَا وَقَدْ مَدَحَهُمُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَا يَرَوِيهِ الْبُخَارِيُّ: "اللَّهُ فِي أَصْحَابِي لَا تَسْبُوهُمْ الْإِقْتِصَادُ وَالْإِجْتِمَاعُ، ص: ١١٢ وَلَا تُؤْذُوهُمْ فَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أَحَدِ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ... رَوَى ابْنُ شَهَابٍ عَنْ قَبِيصَةَ بِنْتِ ذَوْيَبِ بْنِ جَدَّةٍ جَاءَتْ إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَلْتَمِسُ أَنْ تَوَرِّثَ فَقَالَ: "مَا أَجِدُ لَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ شَيْئًا وَمَا عَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ لَكَ شَيْئًا، ثُمَّ سَأَلَ النَّاسَ فَقَامَ الْمَغِيرَةُ فَقَالَ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْطِيهَا السُّدُسَ" فَقَالَ: "هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟"، فَشَهِدَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ بِمِثْلِ ذَلِكَ، فَأَنْفَذَهُ لَهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أَيَّ اعْطَاهَا السُّدُسَ)... وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي مَوْسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَلَّمَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ وَرَاءِ الْبَابِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يُؤْذِنْ لَهُ فَرَجَعَ فَأَرْسَلَ عُمَرَ فِي أَثَرِهِ فَقَالَ: لِمَ رَجَعْتَ؟ قَالَ: "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ (إِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يَجِبْ فليَرْجِعْ)، قَالَ: "لَتَأْتِيَنِي عَلَى ذَلِكَ بَيْنَهُ أَوْ لِأَفْعَلَنَّ بِكَ، "فَجَاءَنَا أَبُو مَوْسَى مُنْتَقِعًا لَوْنَهُ وَنَحْنُ جُلُوسٌ فَقُلْنَا: "مَا شَأْنُكَ؟" فَأَخْبَرَنَا وَقَالَ: "فَهَلْ سَمِعَ أَحَدٌ مِنْكُمْ؟" فَقُلْنَا: "نَعَمْ كَلْنَا سَمِعَهُ، "فَأَرْسَلُوا مَعَهُ رَجُلًا مِنْهُمْ حَتَّى أَتَى عُمَرَ فَأَخْبَرَهُ. وَقَدْ قَالَ عُمَرُ لِعُمَرَ وَاحِدٍ مِنَ الصَّحَابَةِ: "أَمَا إِنِّي لَمْ أَتَّهَمَكَ وَلَكِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ أَتَّبِعَ. "نَقَدَ الرَّوَايَاتِ: وَذَلِكَ بِعَرَضِهَا عَلَى نِصُوصِ وَقَوَاعِدِ الدِّينِ، فَإِنَّ وَجَدَ مَخَالَفًا لَشَيْءٍ مِنْهَا رَدَّوهُ وَتَرَكَوا الْعَمَلَ بِهِ. هَذَا هُوَ الْخَلِيفَةُ عُمَرُ فِي مَا أُخْرِجَ مُسْلِمٌ عَنْهُ: أَفْتَى عُمَرَ ابْنَ الْخَطَّابِ بِأَنَّ الْمَبْتُوتَةَ (الَّتِي طَلَّقَهَا زَوْجُهَا ثَلَاثًا) لَهَا النِّفْقَةُ وَلَهَا السُّكْنَى وَلَمَّا بَلَغَهُ حَدِيثُ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ أَنَّ زَوْجَهَا طَلَّقَهَا ثَلَاثًا فَلَمْ يَجْعَلِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَهَا سَكْنَى وَلَا نِفْقَةَ، قَالَ: "لَا نَتْرُكُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّنَا لِقَوْلِ امْرَأَةٍ لَعَلَّهَا حَفِظَتْ أَوْ نَسِيَتْ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ، [الطلاق: ١]. وَلَا بَدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ حَاجَةٌ إِلَى جَرْحٍ وَتَعْدِيلِ أَى الْبَحْثِ وَالتَّدْقِيقِ عَنِ عَدَالَتِهِ وَصِدْقِ الرَّوَايَةِ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ كُلَّهُمْ عَدُولٌ وَذَلِكَ بِنِصْبِ الْقُرْآنِ، قَالَ تَعَالَى: وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ، [التوبة: ١٠٠]. أَمَّا الْمُنَافِقُونَ فَكَانُوا كَمَا قَالَ عَنْهُمْ الْعُلَمَاءُ أَحَقَرُ مِنْ أَنْ يَحْمَلُوا عِلْمًا أَوْ يُؤْخَذَ عَنْهُمْ الْعِلْمُ!!! الْإِقْتِصَادُ وَالْإِجْتِمَاعُ، ص: ١١٣

### فقه الصحابة:

فقه الصحابة: كان علماء الصحابة إذا سئلوا في مسألة ما، نظروا في كتاب الله تعالى فإن لم يجدوا نظروا في سنة النبي صلى الله عليه وسلم، فإن لم يجدوا نصا لا من الكتاب ولا من السنة، سألوا باقي الصحابة هل قضى أحد قبلنا في هذا الأمر بقضاء؟ فإن سمعوا أن أحدا قضى بقضاء و نفذ و وجدوا أن الأمر قريب قضاوا. ولقد كان الصحابة يتحفظون تحفظا شديدا في الاجتهاد، فكان الواحد منهم إذا اضطر إلى الاجتهاد في حال عدم وجود نص، جمع مجلس الشورى و طرح القضية التي هو بصدددها و استشار الصحابة العلماء و

تجاذب معهم أطراف البحث والنقاش و لم ينفرد في إعطاء حكم، فإن انتهى إلى شىء - سواء كان أبو بكر أو عمر أو عثمان أو أى ممن جاء بعدهم - كان يقول: "هذا رأى فإن كان صواباً فمن الله تعالى و إن كان خطأً فمنى و أستغفر الله تعالى ... " و ورد أن رجلاً ممن أرسلهم سيدنا عمر واليا على جهة من الجهات قال للناس: هذا ما قضى به الله و قضى به عمر، فسمع عمر ذلك و أرسل إليه يقول: "بئس ما قلت، بل هذا ما قضاه عمر، لا تجعلوا الرأى سنّة الله فى الناس فتحملوها خطأً الناس. " و كان الصحابة يقولون إذا كان رسول الله صلى الله عليه و سلم المؤيد بالوحى، قال الله تعالى له: وَ شَاوِرْهُمْ فِى الْأَمْرِ [آل عمران: ١٥٩] فما بالك بمن جاء بعده! فإذا استشاروا و أجمعوا على رأى واحد، فذاك هو الإجماع، أما إذا اختلفوا فكل يقضى بما يرى. و من مظاهر الشورى أن سيدنا أبا بكر رضى الله عنه لما جهّز جيش أسامة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه و سلم - و كان هذا أول ما قام به أبو بكر - قال لأسامة و قد رأى أن عمراً رضى الله عنه قد انخرط بين أفراد الجيش: "إن رأيت أن تعطينى عمر و تبقيه عندى فعلت. " انظروا كيف يقول خليفة المسلمين - ذاك الشيخ الكبير لأسامة الذى لم يبلغ من العمر التاسعة عشر بعد، هذا الكلام بأدب متناهى! لما ذا؟ لأن أبا بكر كان يرى أنه قد تعرض له الفتوى و المشكلات و هو بحاجة إلى أمثال سيدنا عمر رضى الله عنه ليستشيره و ليأخذ رأيه. و طبعاً أجابه أسامة لذلك و بقى عمر عند أبى بكر الذى لا يتأخر فى استشارة من حوله من الصحابة كعثمان و عليّ و غيرهم رضى الله عنهم أجمعين. و ما أكثر ما كان يقول عمر: "لو لا على لهلك عمر. " و كذلك على كان إذا عرض عليه رأى لم يبتّ بهذا الرأى حتى يستشير كبار الصحابة و فى مقدمة هؤلاء أبو بكر و عمر. فلنلاحظ صورة الأخوة الواقعية فى حياة الصحابة و آل البيت و محبتهم لبعضهم الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١١٤ البعض، لا شك أن جيلاً ربه رسول الله صلى الله عليه و سلم لا بد أن يكون هذا حاله. مستحيل أن يكون النبى عليه الصلاة و السلام أعظم مربى أوجده الله تعالى لينجد به الإنسانية ثم يخفق فى تربية أصحابه. فإن تصوّرنا أنه بعد وفاته صلى الله عليه و سلم كان أصحابه أعداء لآل البيت و العكس لكان ذلك علامة على أنه أخفق فى تربية هذا الجيل و هذا يعدّ عيباً شديداً فى رسول الله صلى الله عليه و سلم - و حاشاه من ذلك - الذى لم يستطع أن يربى جيلاً واحداً فهو أعجز من أن يربى أمة!!! و الرسول صلوات الله و سلامه عليه منزّه عن مثل هذا ... و قد سئل علىّ لما ذا كثرت الفتن فى عصره و لم تكثر فى عصر أبى بكر و عمر فقال رضى الله عنه: "لما كانوا هم الخلفاء كنت أنا الرعية فأطعنا و لما صرت أنا الخليفة كنتم أنتم الرعية فعصيتم. " إذا كان الصحابة يتواصون بالتدقيق فى مسألة الاجتهاد بعد الشروط التى ذكرناها كلها، كما كانوا يتواصون فيما بينهم بالتربّث و الفهم الشديد و عدم العجلة فى الإفتاء، فما هو عمر لما أرسل كتابه لأبى موسى قال له بعد أن أمره أن يتتبع نصوص القرآن و السنّة فإن لم يجد، قال له: "الفهم، الفهم فيما تلجج فى صدرك مما ليس فى كتاب الله و سنّة رسول الله صلى الله عليه و سلم، أى لا تستعجل، تربّث و فكّر و تأمل. و لا بد من الإشارة إلى أن سيدنا عمر رضى الله عنه هو أول من فصل سلطة القضاء عن رئاسة الدولة، ففى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم و عهد أبى بكر كان كل منهما رئيس الدولة و القاضى فى آن واحد. و فى عصر عمر، عندما اتسعت الفتوحات و لم يعد يجد الوقت كافياً لأن يجلس مجلس القضاء و مجلس إدارة أمور المسلمين، عندئذ فصل سلطة القضاء عن رئاسة الدولة و عيّن أول قاض أثناء خلافته و هو جريج رضى الله عنه ... و كان الصحابة لا يجيبون على سؤال فرض لم يقع بعد، فإذا سألهم سائل عن مسألة ما، كان أحدهم يجيب: "هل وقعت هذه المشكلة التى تسأل عنها؟ فإن قال لا ما وقعت بعد و لكننا نحب أن نعلم إن وقعت هذه المشكلة ما ذا نصنع! كان الصحابى يجيب: "إذا وقعت فاسألوا عنها أما الآن فقد كفانا الله مهمة البحث فى أمر لم يقع. " فهم لا يريدون توسيع نطاق الاجتهاد إلى أكثر من الحد الضرورى، و هذه سياسة كانت متبعة من قبل جميع علماء ذاك العصر. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١١٥ سؤال: هل وقع الخلاف فى الاجتهاد فى أحكام الشريعة الإسلامية و متى وقع و لما ذا؟ الجواب: أما فى عصر رسول الله صلى الله عليه و سلم فالخلاف لم يقع و لا سبيل أصلاً للخلاف ما دام رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى يمكن الرجوع إليه فى أى أمر. و بعد وفاته عليه الصلاة و السلام، بدأ الخلاف الاجتهادى يظهر فى بعض المسائل الفرعية التى لا تتعارض مع أصول الدين للأسباب التالية: أولاً: تفاوت الصحابة فى رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم كل حسب وضعه و مقدار تفرغه و

ملازمته له. و نتيجة لذلك كان إذا وقعت مشكلة، تساءل الصحابة عن حكمها، و الذى لم يسمع من رسول الله صلى الله عليه و سلم فى هذا الأمر شيئاً، يفتى بظاهر القرآن. أما الذى حفظ و روى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قدراً أكبراً فهو يذكر أن هذا الموضوع قد أوضح النبى عليه الصلاة و السلام حكمه، فهو يختلف فى فتواه عن الأول الذى لم يسمع و القاعدة تقول: من حفظ حجة على من لم يحفظ. من هنا كان لا بد أن يقع الاختلاف فى الفتاوى بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم. فكانت إذا عرضت على أبى بكر أو عمر حادثه جديدة و لم يسمع من رسول الله صلى الله عليه و سلم فيها شيئاً، جمع الصحابة و قال: "أنشدكم الله رجلاً سمع من فم رسول الله صلى الله عليه و سلم فتوى فى هذه القضية." و كان من عادة عمر رضى الله عنه إذا سئل فى موضوع أن يبحث عنه فى كتاب الله ثم السنة فإن لم يكن قد سمع فى المسألة شيئاً نادى فى الناس: "من سمع عن النبى صلى الله عليه و سلم فى هذه المسألة شيئاً؟" فإن لم يجبه أحد قال: "هل قضى أبو بكر فى هذا الموضوع من قبلى شيئاً؟" فإن قال له قائل إن أبى بكر قد سئل و قضى فى هذا الأمر بكذا، قضى عمر بمثل ما قضى به أبو بكر رضى الله عنهما و إلا اجتهد عمر. مثال: دية الأصابع، رجل قطعت إصبعه، الخنصر أو البنصر أو السبابة أو الوسطى، ما هو القدر الذى ينبغى أن يؤخذ من الجانى كدية لهذا الإنسان؟ فكر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى الموضوع و هو لا يذكر فى هذا حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأراد أن يجتهد فى الأمر، و أراد أن يجعل دية كل إصبع على حسب فائدة تلك الإصبع، و لكنه تريت و أخذ يسأل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم، فأراد أن يخبره أن النبى عليه الصلاة و السلام قضى بأن فى كل إصبع عشرة من الإبل متساوية يعنى فى قطع الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١١٦ الأصابع العشرة دية كاملة. فرجع عمر رضى الله عنه و قال: "إن كدنا لنقضى فى هذا برأينا." مثال آخر دية الجنين: سئل سيدنا عمر رضى الله عنه عن دية الجنين، اعتدى إنسان على امرأة حامل فأسقطت جنينا، ما الجزاء؟ وقف عمر يناشد المسلمين أن يكون فيهم رجلا- سمع عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أمراً فى الدية. معلوم فى القرآن أن عقاب من اعتدى على إنسان و مات، هو القصاص فإن عفا وليه تصبى عقوبته دفع الدية، هذا هو الحكم العام و الجنين يعتبر إنساناً و مات، و على هذا يأخذ الجانى الحكم نفسه، إما القصاص و إما الدية ... و لكن عمر تريت، لعل فى سنة رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئاً خاصاً. فقام أحد الصحابة و قال إن جمل بن مالك جاء يشكو إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه كانت له زوجتان فتخاصمتا فضربت إحدهما الأخرى فألقت جنينا ميتاً، فقضى رسول الله صلى الله عليه و سلم للجنين بغزة يعنى بنصف عشر الدية (خمس من الإبل) فتهلل وجه عمر باسماء و قال: "إن كدنا أن نقضى فى هذا برأينا." ثانياً: عدم الاتفاق على صحة نسبة حديث ما إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم. ثالثاً: عدم الاتفاق على معنى كلمة أو جملة فى كتاب الله تعالى أو حديث المصطفى عليه الصلاة و السلام و ذلك بسبب ورود لفظ يحتمل معنيين. رابعاً: اختلاف الفتوى بسبب الرأى: كانت ترد على الصحابة أقضية لا يرون فيها نصاً من كتاب أو سنة و إذ ذاك كانوا يلجئون إلى القياس و كانوا يعبرون عنه بالرأى. خامساً: قياس الفرع على الأصل: البعض يرى إن هذا الفرع يشبه ما نص الله تعالى عليه فى آية كذا. نعرض لطائفة من أمثلة الخلاف بين الصحابة فى بعض الفتاوى: - عرضت مشكلة على ابن مسعود رضى الله عنه: رجل عقد نكاحه على امرأة و لم ينص فى هذا العقد على مهر و مات قبل الدخول بها، فما الذى تستحقه هذه المرأة؟ أفتى ابن مسعود بأن لها كامل مهرها أى صداق مثلها من النساء. بينما سيدنا على كرم الله وجهه عند ما سمع بهذه القضية قال: "أنا أختلف معه فى هذه المسألة، هذه المرأة إذا مات زوجها ليس لها إلا- الميراث، تأخذ و ليس لها ما وراء ذلك شىء و عليها العدة و لا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١١٧ صداق لها." سبب هذا الخلاف أن هذه المسألة ليس فيها نص واضح صريح من كتاب الله تعالى، كل ما فى الأمر قوله تعالى: لا- جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً، [البقرة: ٢٣٦]. يقول سيدنا على رضى الله عنه: "أ رأيت لو أن زوجها لم يمت و لكن طلق، ليس لها شىء بنص كلام الله عز و جل." فسيدنا على قاس وفاة الزوج على طلاقه لها. قال ابن مسعود: "الرجل الذى يطلق، يطلق بقصد الاختيار و يترتب على ذلك أشياء كثيرة، لكن مات الزوج و حبل الزوجية موجود، و لا يسبب الموت انقطاع الزوجية عند جمهور العلماء، فالموت لا يقاس على الطلاق لأن الطلاق عمل اختياري و الموت أمر

قصرى. "مسألة أخرى: المرأة التى توفى عنها زوجها و هى حامل، ما عدتها؟ سيدنا عمر رضى الله عنه قال: عدتها وضع حملها. و قال سيدنا على و ابن عباس رضى الله عنهم: عدتها بأبعد الأجلين، أى أيهما كان أبعد وضع حملها أم مضى أربعة أشهر و عشرين تأخذ به. قال جمهور الفقهاء أن عدّة المرأة تنتهى بوضع حملها و القول بأبعد الأجلين مرجوح، و دليل ذلك ما أخرجه البخارى و مسلم عن سبيعة بنت الحارث الأسلمية أنها كانت تحت سعد بن خولة و هو ممن شهد بدرا فتوفى عنها فى حجة الوداع و هى حامل، فلم تلبث أن وضعت حملها بعد وفاة زوجها، فلما طهرت من دم النفاس تجملت للخطاب، فدخل عليها أبو السنابل بن بعكك فقال لها: "ما لى أراك متجملة، لعلك ترجين النكاح؟ و الله ما أنت بناكح حتى يمر عليك أربعة أشهر و عشرين!" قالت سبيعة: "فلما قال لى ذلك جمعت على ثيابى حين أمسيت، فأتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فسألته عن ذلك، فأفتانى بأنى قد حلت حين وضعت حملى و أمرنى بالتزوج إن بدا لى." و قد روى أن ابن عباس رجع إلى حديث سبيعة لما احتج به عليه. أبرز من كانت إليهم الفتيا فى عصر الصحابة: الخلفاء الراشدون و سيدنا عبد الله بن مسعود و زيد بن ثابت و عبد الله بن عباس و عبد الله بن عوف و عبد الله بن عمر و هؤلاء التسعة كانوا فى ذلك العصر بمثابة الأئمة الأربعة فى عصرنا. أسئلته و أجوبته: سؤال: لما ذا انحصرت الفتيا ببعض الصحابة و لم يفتوا كلهم؟ الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١١٨ الجواب: لأن عامة الصحابة لا وقت و لا قدرة لهم على الاجتهاد، فمنهم من كان يشتغل بالزراعة و منهم من كان يشتغل بالتجارة و منهم من كان يشتغل بالجهاد و هكذا و حتى يصل الإنسان لرتبة يستطيع معها الاجتهاد لا بد له من علم غزير و ذلك يحتاج عادة إلى وقت و تفرغ. فكان عامة الصحابة يأخذون بفتاوى واحد من هؤلاء التسعة غالبا كما تأخذ نحن اليوم بفتاوى واحد من الأئمة الأربعة. سؤال: لما ذا لم يمد الله تعالى ب حياة النبي صلى الله عليه و سلم ليحجب على هذه الأسئلة التى حدثت و استجدت فى عصر الصحابة؟ الجواب: لكى يعلم الله سبحانه و تعالى هذه الأمة الاجتهاد و كيفية استنباط الأحكام من النصوص و حتى يخفف عنها لأن فى اختلاف الفقهاء سعة. سؤال: الحكم فى شرع الله تعالى أليس واحدا؟ فكيف لنا أن نأخذ بقول أكثر من إمام؟ الجواب: إن الله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها، فإذا عميت علينا دلائل حكم شرعى و تشابهت الأدلة و لم نستطع أن نصل إلى الحكم بيقين، فإن من رحمة الله تعالى بعباده أنه لا يطالبهم إلا ببذل الجهد فى معرفة حكمه تعالى. مثال ذلك: الاجتهاد فى القبلة فى الصلاة، هى حقيقة واحدة و لكن فى حال لم تتبين و لم يتمكن لأربعة أشخاص من تحديدها جاز لكل واحد منهم أن يصلى إلى جهة ما، حسب اجتهاده الشخصى و صلاتهم صحيحة بالاتفاق حتى و لو صلى كل واحد منهم إلى جهة مختلفة عن جهة الآخر. سؤال: يدعى أحمد أمين فى كتابه فجر الإسلام: كان بعض من هؤلاء الصحابة عندهم روح واسعة لفهم النص و كانوا يتجاوزون النص إلى ما يسميه علماء القانون اليوم بروح النص. و يقول أحمد أمين إن فى مقدمة هؤلاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه. فعمر كان عبقرى و كان لا يقف عند حرفية النص بل كان يتجاوزه إلى المصالح و إلى العلل و إلى روح التشريع الإسلامى. ها هو فى أكثر من حالة خالف النص و عمل بالمصلحة، مثال ذلك كما يدعى أحمد أمين: ١- قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسْكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا الْإِقْتِصَادُ وَ الْجَمَاعَةُ، ص: ١١٩ وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِى الرِّقَابِ وَ الْغَارِمِينَ وَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)، (التوبة: ٦٠) .. عطل عمر سهم المؤلفة قلوبهم لما فى ذلك من فهم و مراعاة لواقع المسلمين و مصلحتهم. ٢- يقول الله تعالى: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا، [المائدة: ٣٨]، سرق بعض الناس فى عام المجاعة متاعا فلم يقم عليهم عمر الحد. ٣- قضى عمر بأن الرجل الذى قال لزوجته أنت طالق ثلاثا بكلمة واحدة، تطلق ثلاثا، و هذا مخالف لقوله تعالى: الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ... (البقرة: من الآية ٢٢٩)، و مخالف لحديث النبي صلى الله عليه و سلم الصحيح الذى رواه مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما: "كان الطلاق على عهد النبي صلى الله عليه و سلم، طلاق الثلاث واحدا، و كان ذلك فى خلافة أبى بكر و صدرا من خلافة عمر، فقال عمر لقد استعجل الناس فى أمر كانت لهم فيه أناة فمن استعجل أناة الله ألزماه به. فطلاق الثلاثة بكلمة واحدة يعتبر ثلاث طلاقات. و يضيف أحمد أمين فيقول، إن عمر فى كل ذلك إنما كان عبقرى و ذكيا لأنه لم يتمسك بحرفية النص و إنما رأى المصلحة و جرى وراءها و إن خالفت النص و هذا هو المطلوب كما يزعم أحمد أمين. فهل

كان من بين الصحابة من كان يتجاوز حرفية النصوص و يأخذ بروح النص كما يقول بعض الناس اليوم، و يأخذ بالمصالح التي تعتمد عليها النصوص، بمعنى آخر هل كان الصحابة أصحاب نزعة تحريرية؟. الجواب: كلام أحمد أمين المضلل قد يدفعا بناء لما تقدم إلى القول بأن الربا حلال و المتاجرة بالخمير و السلم مع اليهود كذلك!، و أما القول أن المصلحة قد تكون في مخالفة النص من كتاب الله تعالى، فهذا كفر و العياذ بالله تعالى، لأنه من أعلم بمصلحة الناس من رب الناس، من خالق الناس الذي يعلم سرهم و نجواهم و يعلم ما كان و ما سيكون و ما لم يكن و لو كان كيف يكون. و الحقيقة أنه ما وجد قط إنسان أكثر حيطه في التمسك بالنص و حرفيته من عمر بن الخطاب رضی الله عنه. فقد مر معنا من خلال الأمثلة التي ذكرناها سابقا في هذا البحث كيف كان ينادى بالناس هل منكم من سمع من رسول الله صلى الله عليه و سلم شيئا في هذا؟! .. لكن من الذي يستطيع أن يطبق النص؟ إن أقدر الناس على الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٢٠ تطبيق النص، أفهمهم للنص و أعرفهم و أعلمهم للقواعد العربية و أصول الدلالات في منطوق النص و مفهومه الموافق و مفهومه المخالف و دلالة الخطاب و فحواه. و عمر كان من أعلم الناس بقواعد تفسير النصوص، و تعالوا ننظر معا ما ذا فعل عمر؟. بالنسبة لقوله تعالى: \* إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسْكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْغَارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)، (التوبة: ٦٠) .. هناك في اللغة العربية اسم موصول للفقراء أى للذين يتصفون بالفقر، للمساكين أى للذين يتصفون بالمسكنة، للعاملين عليها أى للذين يقومون بجباية الزكاة، للمؤلفة قلوبهم أى للذين تشعرون بالحاجة إلى أن تؤلفوا قلوبهم ... الفقراء، إن زال الفقر عنهم لن يعودوا أهلا لأخذ الزكاة، و مناط وجوب إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم أن يشعر المسلمون أنهم بحاجة إلى تأليف قلوب من وفدوا إلى الإسلام من جديد. إذا مناط الحكم أن ننظر إلى واقعنا، فإذا كان هذا الواقع عزيز قوى و كان من دخل في الإسلام، وحده يعزه و يغنيه و يحميه، إذا وجدنا أن الأمر كذلك فإن مناط دفع الزكاة إليهم ارتفع. أما إن كان الإسلام في ضعف فيكون حكم إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم عندئذ ساريا، و قد كان الإسلام في عهد عمر بن الخطاب رضی الله عنه عزيزا لا بل في أعز أحواله. بالنسبة للمسألة الثانية، و هي أن رجلا سرق في عام المجاعة و كان أجيرا و علم عمر أنهم كانوا يبخسون حقه فقال لهم "و الله لو لا- أنى أعلم أنكم تظلمونه و لا- تعطونه حقه لقطعت يده، " و الآن عام مجاعة، فجمعا بين النصوص التالية: قوله تعالى: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ... (المائدة: من الآية ٣٨)، و قوله صلى الله عليه و سلم: (ادرءوا الحدود بالشبهات ما استطعتم فإن الحاكم لأن يخطئ في العفو خيرا من أن يخطئ في العقوبة)، و هذا قانون عام في القضاء و بدلا من العقوبة يعزّر القاضى المذنب و يعاقبه و لكن لا يقطع يده. إذا عمر عمل بالنص و لكنه علم بالحديث الذي خصص الآية و قضى بموجبه و ليس كما زعم الجاهل بأنه ترك النص و تبع المصلحة التي رآها مناسبة و في ذلك دليل على أن الحديث يبين و يشرح كلام الله تعالى الذي قال في كتابه العزيز: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ، [النحل: ٤٤]. هذا من جهة و من الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٢١ جهة أخرى، فإن للسرقة نصابا حتى تقطع يد السارق فإن سرق شيئا قيمته دون النصاب يعزّر و لا تقطع يده. و المبلغ الذي سرقه الرجل ربما ليس بذاك المبلغ الكبير أو احتمال أن يكون سرقه ليسد ضرورة و الضرورات تبيح المحظورات. و ينبغي قبل أن نطبق هذه القاعدة أن نعلم ما معنى الضرورة و ما الفارق بين الضرورات و الحاجيات و التحسينيات؟. و قد بينها في بداية الفصل الأول من الكتاب. و أما المسألة الثالثة، فقوله تعالى: الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ... (البقرة: من الآية ٢٢٩)، لا- علاقة له بالموضوع الذي أفتى به عمر، و إنما هي بيان للطلاق و أنه ينبغي أن يفرق بين الطلقة و الأخرى و إلا كان آثما، أى من طلق زوجته ثلاثا في مجلس واحد كان آثما. أما من لم يتق الله تعالى و ارتكب المحرم فقال لزوجته أنت طالق بالثلاث فهذا لن يجعل الله تعالى له مخرجا لأن الله تعالى قال: وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢)، و هذا لم يتق الله تعالى، و ارتكب الحرام و طلق زوجته ثلاثا بمجلس واحد، لم يجعل الله له مخرجا. فإذا القرآن يقضى بأن من طلق زوجته ثلاثا في مجلس واحد فهو ثلاث و هناك أحاديث صحيحة كثيرة نصت على أن الرجل إن طلق ثلاثا في مجلس واحد فهو ثلاث و لكنه طلاق بدعي مكروه، و من ذلك حديث رواه الشيخان عن عويمر العجلاني رضی الله عنه و قد اتهم زوجته بالزنا، و جاء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فذله

على الملاعنة التي أنزلها الله تعالى في محكم كتابه. ولكنه لم يكن يعرف أن نتيجة الملاعنة التفريق الأبدي، وعند ما علم ذلك جلس أمام ركبتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "يا رسول الله كذبت عليها إن أمسكتها هي طالق ثلاثا." فإذا عويمر العجلاني طلق زوجته في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا بكلمة واحدة، ولو لا أن هذا كان جاريا في عصر النبوة لما قال ذلك. وحديث فاطمة التي قالت لسيدنا عمر طلقني زوجي البتة فلم يجعل لي رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة ولا سكنى، كلمة البتة كناية عن ثلاث طلاقات وفي ذلك دليل أن النبي عليه الصلاة والسلام أفتى أنه طلقها ثلاثا. أيضا ما رواه الشافعي والترمذي والنسائي وكثيرون عن ركانة رضى الله عنه أنه طلق زوجته قائلا أنت طالق البتة، وجاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نادما فقال له رسول الله الإقتصاد والإجتماع، ص: ١٢٢ صلى الله عليه وسلم: "الله (أى أقسم عليك بالله) ما أردت (بكلمة البتة) إلا واحدة؟، فقال ركانة: "والله ما أردت بها إلا واحدة." فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم له، فلو لم تكن كلمة البتة تعنى ثلاثا لما سأل النبي صلى الله عليه وسلم ركانة ما ذا أراد من قوله البتة، ولو لم يكن طلاق الثلاثة في المجلس الواحد يقع لما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ركانة عن قصده بكلمة البتة. أما حديث مسلم الذي يرويه عن طاوس وعن ابن عباس: "كان طلاق الثلاث على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم واحدة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عهد أبي بكر وفي صدر من خلافة عمر ثم قال عمر إن الناس قد استعجلوا في أمر كانت لهم فيه أناة، فمن استعجل أناة الله ألزمانه بها،" قال ابن جرير الطبرى في شرح هذا الحديث وأبو وليد الباجي والنووي في شرحه على صحيح مسلم، معناه أى كان الرجل في صدر الإسلام إذا أراد أن يطلق زوجته ثلاث تطليقات لا يستعمل إلا نفس اللفظة أى لفظه البتة فيقول: "أنت طالق البتة،" وإذا أراد أن يطلق واحدة قال: "أنت طالق البتة." فالبتة كناية عن طلقه واحدة أو ثلاث حسب النية، وكان الشائع الأغلب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفي عهد أبي بكر وشرط من عهد عمر أنه يقصد بذلك طلقه واحدة. هذا هو الغالب والعام لأنه نادر جدا من الصحابة من طلق ثلاث مرات دفعة واحدة لأن ذلك محرّم. فكان الرجل إذا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أبي بكر وقال له إنى طلقت زوجتي البتة، صحيح أن البتة كناية عن طلاق الثلاث ولكن الشائع الأغلب أنه يقصد بها واحدة، لذلك كان يسأل عن نيته، فإذا قال واحدة حكم له بواحدة. ولما كانت خلافة عمر تغيير حال الناس وأخذ كثير من الناس يطلق ثلاث طلاقات بكلمة واحدة، وشاع بينهم استعمال لفظ البتة على الثلاث، لذلك حكم عمر على من قال له إنى طلقت زوجتي البتة أنه طلقها ثلاثا إلا أن يقسم أنه ما قصد إلا واحدة ذلك لأننا نحكم على الألفاظ حسب العرف فإذا كان عرف الناس أن يطلقوا طلاق البتة ويقصدون به ثلاثا وقع ثلاثا كما أصبح العرف في عصرنا لمن قال لزوجه أنت على حرام وقع طلاقا وهذا اللفظ فى أصله كناية ولكن لما شاع استعمال الناس له على أنه طلاق أصبح يفتى لمن قال هذا اللفظ لزوجه أنه طلقها. وهذا الذى قال به عمر من أن من طلق زوجته ثلاثا فى مجلس واحد وقعت ثلاث تطليقات وبانت منه بينونة كبرى وهو ما قاله جمهور علماء الحديث وأجمعت عليه الأمة. إذا هذا الحديث فى واد وما استدلل عليه وفهمه أحمد أمين فى واد آخر! الإقتصاد والإجتماع، ص: ١٢٣ شبهة أخرى: عند ما انتصر جيش عمر فى القادسية بقيادة سعد بن أبى وقاص وفتح المسلمون العراق، غنم المسلمون غنائم كثيرة وأموال منقولة وغير منقولة. أما الأموال غير المنقولة فقد اعتبرت أنها سواد العراق وهى مثل غوطة دمشق وأراض واسعة شاسعة كلها مزروعة. سيدنا عمر قسم الأموال المنقولة على الجيش ولكنه لم يقسم السواد وذلك بعد أن شاور الصحابة مثل سيدنا معاذ وعلى وعثمان وجمهور الصحابة كانوا معه فى ذلك... ويقول بعض المستشرقين: تعاطى عمر مع روح النص حين فعل ذلك لأنه خلاف الآية القائلة: \*وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ، [الأنفال: ٤١]. الجواب على هذه الشبهة ما يلى: قال عمر ووافق على ذلك جمهور الصحابة، لو قسمنا هذه الأراضى الشاسعة سيمتلکها المسلمون فى هذا العصر وتأتى الأجيال الأخرى وليس لهم شىء، فرأى أنه من الخير أن تكون هذه الأراضى ملكا لبيت مال المسلمين حتى تستغنى الأجيال به إلى ما شاء الله. ولكن يا ترى هل تجاوز عمر بذلك النص؟.. قال تعالى: مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ، [الحشر: ٧]... وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا

وَ لِأَخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، [الحشر: ١٠]. إذا استنادا على قول الله تعالى هذا تعطي هذه الأموال غير المنقولة لله أى للمصالح العامة و للرسول (و من بعده لبنى هاشم) و لذى القربى و اليتامى و المساكين و الفقراء و الأجيال الآتية من بعدهم، لقوله تعالى: وَ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ...، لذلك قال عمر إذا وزعت هذه الأراضي الآن و امتلك كل واحد منكم قسما منها، كيف يمكن أن أنفذ أمر الله فى أن أجعل فى هذه الأراضي حصصا للأجيال القادمة؟! أما ما جاء فى سورة الأنفال، فالمقصود به الغنائم المنقولة. و الآن بعد هذا التوضيح أليس هذا تمسكا بالنص من سيدنا عمر؟ و لكن من يفقه؟ و من يعلم كيف يستخرج الأحكام من النصوص؟ و هذا لا يعنى أن الإنسان لا يبحث عن المصلحة و لكن المصلحة تكون مع النص لأن الله تعالى أعلم أين تكون مصلحة العباد. أما ما ليس فيه نص كالمصالح المرسله، فما هو عمر الذى خطط لبناء الكوفة و البصرة حيث أرسل مهندسه و أمر أن تكون الشوارع الأساسية عرض ٣٠ ذراع و الشوارع الفرعية عرض الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٢٤ ٢٠ ذراعا، و البيوت التى تبنى على الشوارع الأساسية لا مانع من أن يكون ارتفاعها عاليا و البيوت التى من ورائها أخفض. عند ما فتحت العراق و الشام جمع عمر مجلس شورا و قال لهم رأيت التجارة بأيدي الأقباط و إنى أمركم أن تتجروا فقال له بعض الحاضرين يا أمير المؤمنين أمر كفيناه أى الأقباط كفونا العمل، كأنه يقول أن الله تعالى جعلهم خدما لنا، فلما ذا نتاجر؟ قال عمر "لأن قلت هذا و الله ليكون رجالكم تبعاً لرجالهم و ليكون نساءكم تبعاً لنسائهم." فإذا كان عمر كغيره من الصحابة الكرام يهتم بمصلحة المسلمين، و هذه الأمثلة التى ذكرناها من المصالح المرسله. أما إذا كان هناك نص، فكان عمر و باقى الصحابة أكثر من يتمسك به لأنهم يعلمون حقا أن المصلحة مع النص أ لا يعلم من خلق و هو اللطيف الخبير (١٤)، [الملك: ١٤].

### ٣- الدور الثالث: التشريع فى عهد صغار الصحابة و التابعين

#### إشارة

٣- الدور الثالث: التشريع فى عهد صغار الصحابة و التابعين يبتدى هذا الدور من ولاية معاوية بن أبى سفيان رضى الله تعالى عنه، أى فى بداية العهد الأموى سنة ٤١ هجرية إلى أوائل القرن الثانى من الهجرة.

#### مميزات و خصائص هذا الدور:

مميزات و خصائص هذا الدور: ١- تفرق المسلمين سياسيا و اتساع نطاق الخلاف لظهور نزعتين سياسيتين بعد مقتل عثمان رضى الله تعالى عنه و هما: الخوارج و شيعة على (و هى فئة سياسية، أى لها بعض الآراء السياسية المعينة لا أنها كانت تخالف المسلمين فى بعض أمور الدين كحال الشيعة فى عصرنا، أما الشيعة كمذهب دينى كما هو فى عصرنا لم يكن له وجود فى ذلك العصر و لم يظهر هذا المذهب إلا فى القرن الثالث الهجرى). ٢- انتشار الصحابة فى البلاد بعد أن كانوا محصورين بين مكة و المدينة و ذلك لاتساع رقعة الإسلام و الاحتياج إلى فتاوى جديدة و بالتالى إلى سماع الأحاديث. ٣- ظهور الكذب فى الحديث عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، و ذلك للأسباب التالية: أ- وجود الزنادقة و أعداء الدين من اليهود (كعبد الله بن سبأ) و الروم و المزديكية و غيرهم الذين كانوا يكيدون للإسلام باطلا، و هؤلاء لبسوا مسوح الإسلام و كانوا يظهرون التدين و يجلسون مجلس الرواية عن رسول الله صلى الله عليه و سلم ليستمعوا الأحاديث ثم يجلسون الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٢٥ مجالس أخرى يعلمون الناس فيها أحاديث مكذوبة. و قد تلبس كثير من هؤلاء المجرمين بالجرم المشهود فعوقبوا و أنزلت بهم الخلافة الإسلامية آنذاك أشد العقوبات فكان أحدهم يقول قبل أن يقتل لينفس عن غيظه: أين أنتم من الأحاديث التى وضعتها فيكم أحرم الحلال و أحل الحرام. ب- انتصار المتعصبين لمذاهبهم كدعاة المبتدعة: يروى عبد الله بن ذريرة يقول: قال لى شيخ من الخوارج تاب "إن هذا الحديث دين، فانظروا عمن تأخذون



الحديث، فإننا كنا إذا رأينا رأيا جعلناه حديثا ... "و كذا من فئة الشيعة، ورد أن جابر الجهم و هو ممن غالى من التشيع قال أنا عندي خمسون ألف حديث، يرويها ابتداء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم. ج- العاطفة الإسلامية الفجة التي لا تضبطها قواعد العلم، كالتى نجدها عند جهلة المتعبدين الذين وضعوا الأحاديث فى الفضائل و غيرها. أراد بعض الجهلة أن يرغبوا العامة فى الجنة و يخوفوهم من النار، فأخذوا يضعون (أى يخلتقون) الأحاديث و هم يقولون إذا وقعوا بيد العلماء:"نحن نكذب لرسول الله صلى الله عليه و سلم و لا نكذب على رسول الله صلى الله عليه و سلم!". د- رغبة بعض الفسقة من المحدثين فى جمع عدد كبير من الناس حولهم فى المساجد و تنافسهم فيما بينهم لجعل حلقة الواحد منهم أكبر من حلقة غيره، و هذه الظاهرة نجدها حتى فى عصرنا اليوم فتجد واحدا ممن ادعى العلم يروى الأحاديث الموضوععة و المكذوبة فى دروسه و عامة الناس لا يعرفون لا- بل يظنونهم من كبار العلماء! و كان العلماء يحذرون من مجالسة هؤلاء القصاصين. فائدة: من علامات الحديث الموضوع ما يلى: ١- ذكر أعداد كثيرة (سبعون ألفا مع كل ألف ...) ٢- الأجر الكثير على العمل القليل. ٣- قصص عن سيدنا موسى و سيدنا داود عليهما السلام. ٤- الأحاديث المتعلقة بفضائل بعض السور المذكورة فى بعض كتب التفاسير، أما الأحاديث الواردة فى فضل سورة البقرة و آل عمران و الكهف و يس و تبارك و الإخلاص و ما شابه فيحتج بها. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٢٦ من هنا كان لا بد من صحوة المسلمين لمجابهة هذا الخطر، فمنعوا رواية الحديث و حصروها فىمن كانوا أهلا لذلك. و بدأ تدوين السنن بأمر من عمر بن عبد العزيز، ففى عام ٩٩ هجرية كان أبو بكر بن حزم أول من دون أحاديث النبى صلى الله عليه و سلم و جمعها بين دفتى كتاب و من ثم تبعه الكثيرون كسفيان بن عيينة و غيره. و باشر العلماء أيضا بتدوين العلوم الكفيلة بحفظ الرواية كعلم الجرح و التعديل، و وضع شروط الرواية و شروط الحديث الصحيح و الحسن و الضعيف و المرسل و الموقوف ... و فى ما يلى نورد بعض التعاريف المهمة المتعلقة بعلم مصطلح الحديث:

### نبذة عامة بمصطلح الحديث:

#### إشارة

نبذة عامة بمصطلح الحديث: لقد تواترت الأحاديث عن النبى صلى الله عليه و سلم كما نعلم، فى وجوب الأخذ بهديه فى كل شىء من الأمور، و من ذلك قوله صلى الله عليه و سلم:"عليكم بسنتى و سنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها و عضوا عليها بالنواجذ، و إياكم و محدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، و كل بدعة ضلالة ... " و النبى صلى الله عليه و سلم قد حض على اتباع سنته لما فيها من مضاعفة الأجر: قال صلى الله عليه و سلم:"من أحبب سنه من سنتى قد أميت بعدى كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شىء،" أخرجه الترمذى. و عنه صلى الله عليه و سلم قال:"التمسك بسنتى عند فساد أمتى له أجر مائة شهيد،" أخرجه الطبرانى فى الأوسط و البيهقى فى الزهد. لذلك عنيت الأمة الإسلامية بالحديث النبوى، و بذلت من أجله أعظم الجهد. فقد نقل لنا الرواة أقوال الرسول عليه الصلاة و السلام فى الشئون كلها العظيمة و اليسيرة، بل الجزئيات التى قد يتوهم أنها ليست موضع اهتمام، حتى يدرك من يتتبع كتب السنن أنها ما تركت شيئا صدر عنه صلى الله عليه و سلم إلا روته و نقلته. و لقد علم الصحابة بقيادة الخلفاء أنهم خرجوا هداة لا جباء، فأقام الكثير من الصحابة الفاتحين فى أصقاع متفرقة ينشرون العلم و يبلغون الحديث. و نجد هذا الحرص، يسرى من الصحابة إلى التابعين فمن بعدهم ... من هنا تقرر للنظر حقيقة لها أهميتها، و هى أن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يرجع إليهم الفضل فى بدء علم الرواية للحديث، ذلك لأن الحديث النبوى فى حياة المصطفى كان الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٢٧ علما يسمع و يتلقف منه صلى الله عليه و سلم- كما مر معنا- فلما لحق صلى الله عليه و سلم بالرفيق الأعلى،

حدّث عنه الصحابة بما وعته صدورهم الحافظة و روه للناس بغاية الحرص و العناية، فصار علما يروى و ينقل، و وجد بذلك علم الحديث رواية حيث وضع الصحابة له قوانين تحقق ضبط الحديث، و تميز المقبول من غير المقبول و من هنا نشأ علم مصطلح الحديث.

### تعريف الحديث:

تعريف الحديث: هو "ما أضيف إلى النبي صَلَّى الله عليه و سلم من قول أو فعل أو تقرير أو وصف خلقى أو خلقى ... و معنى علم الحديث كتعبير لغوى إدراك الحديث، و لكنه استعمل عند العلماء كاصطلاح يطلقونه بإطلاقين: أحدهما: علم الحديث رواية أو رواية الحديث. و الثانى: علم الحديث دراية أو علم دراية الحديث. علم الحديث رواية "هو علم يشتمل على أقوال النبي صَلَّى الله عليه و سلم و أفعاله و تقريراته و صفاته و روايتها و ضبطها و تحرير ألفاظها. "فهو علم موضوعه ما أضيف إلى النبي صَلَّى الله عليه و سلم، و يبحث عن روايتها و ضبطها و دراسة أسانيدها و معرفة حال كل حديث، من حيث القوة و الضعف. كما يبحث فى هذا العلم عن معنى الحديث و ما يستنبط منه من الفوائد. باختصار، فعلم الحديث رواية يحقق بذلك غاية عظيمة جدا تقوم على "الصون عن الخلل فى نقل الحديث. "علم الحديث دراية: و يطلق عليه "مصطلح الحديث،" و هو "علم بقوانين يعرف بها أحوال السند و المتن." و السند هو حكاية رجال الحديث الذين روه واحدا عن واحد إلى رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم. و أحوال السند: هى ما يطرأ عليه من اتصال، أو انقطاع، أو تساهل بعض رجاله فى السماع، أو سوء الحفظ، أو اتهامه بالفسق أو الكذب أو غير ذلك. و أما المتن: فهو ما ينتهى إليه السند من الكلام. و أحوال المتن، هى ما يطرأ عليه من رفع، أو وقف، أو شذوذ أو علة، أو غير ذلك. فعلم المصطلح يضبط رواية الحديث و يحفظ الحديث النبوى من الخلط فيه أو الافتراء عليه، و لو لا هذا العلم لاختلط الحديث الصحيح بالضعيف و الموضوع و لاختلط كلام رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم بكلام غيره!. و يعتبر القرن الثالث الهجرى عصر التدوين الذهبى للسنة، و فيه أصبح كل نوع من أنواع الحديث علما خاصا، فأفرد العلماء كل نوع منها بتأليف خاص. و لقد توالى سلسلة الجهود الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٢٨ العلمية متواترة متضافرة لحمل الحديث النبوى و تبليغه علما و عملا، فنا و دراسة و شرحا، منذ عهد النبي صَلَّى الله عليه و سلم إلى عصرنا الحاضر، و إنها حقا لمكرمة عظيمة أكرم الله بها هذه الأمة، بل هى معجزة تحقق صدق التنزيل: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)، [الحجر: ٩]. قال الحافظ أبو على الجيانى "خص الله تعالى هذه الأمة بثلاثة أشياء لم يعطها من قبلها: الإسناد، و الأنساب، و الإعراب."

### أهم مراتب الحديث من حيث القوة و الضعف:

أهم مراتب الحديث من حيث القوة و الضعف: ١- الحديث الصحيح: هو الحديث الذى اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط من أوله إلى منتهاه، دون شذوذ أو علة. فالعدالة و الضبط يحققان أداء الحديث كما سمع من قائله، و اتصال السند على هذا الوصف من الرواة يمنع اختلال ذلك فى أثناء السند، و عدم الشذوذ يحقق و يؤكد ضبط هذا الحديث الذى نبخته و أنه لم يدخله و هم، و عدم الإعلال يدل على سلامته من القوادح الخفية، فكان الحديث بذلك صحيحا لتوفر النقل الصحيح، فيحكم له بالصحة إجماعا. ٢- الحديث الحسن: هو الحديث الذى اتصل إسناده بنقل عدل خفّ ضبطه فهو كالحديث الصحيح إلا أنه فى إسناده من خفّ ضبطه. بالمقارنة بين هذا التعريف، و بين تعريف الحديث الصحيح، نجد أن راوى الحديث الصحيح تام الضبط، أما راوى الحديث الحسن فهو خفّ ضبطه. فالمقصود أنه درجة أدنى من الصحيح، من غير اختلال فى ضبطه و ما كان كذلك يحسن الظن

بسلامته فيكون مقبولاً. ٣- الحديث الضعيف: هو الحديث الذي فقد شرطاً من شروط الحديث المقبول من عدالة أو ضبط أو اتصال أو سلامة من الشذوذ و العلة. ٤- الحديث الموضوع: هو المخلوق المصنوع. أى الذى ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم كذبا، و ليس له صلة حقيقية بالنبي صلى الله عليه و سلم، و هو ليس بحديث. ٥- الحديث الموقوف: هو ما أضيف إلى الصحابة رضوان الله تعالى عليهم. سُمى موقوفاً لأنه وقف به عند الصحابي، و لم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه و سلم. و بعض العلماء يطلقون على الموقوف اسم الأثر. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٢٩ ٦- الحديث المقطوع: هو ما أضيف إلى التابعي. ٧- الحديث المرسل: هو ما أضافه التابعي إلى النبي صلى الله عليه و سلم، بأن يقول "قال رسول الله صلى الله عليه و سلم" سواء كان التابعي كبيراً أو صغيراً.

### علم الجرح و التعديل:

علم الجرح و التعديل: الجرح عند المحدثين هو الحكم على راوى الحديث بالضعف لثبوت ما يسلب أو يخل بعدالته أو ضبطه. و التعديل هو عكسه، و هو تزكية الراوى و الحكم عليه بأنه عدل ضابط. فعلم الجرح و التعديل هو ميزان رجال الرواية، به نعرف الراوى الذى يقبل حديثه و نميزه عن من لا يقبل حديثه. و من هنا اعتنى به علماء الحديث كل العناية، و بذلوا فيه أقصى جهد، و تكبدوا المشاق، ثم قاموا فى الناس بالتحذير من الكذابين و الضعفاء المخطئين و لقد انعقد إجماع العلماء على مشروعيتها، بل على وجوبه للحاجة الملجئة إليه. و لقد اشترطت شروط لا بد من أن تتوفر فى الجرح و المعدل لكى تجعل حكمه منصفاً كاشفاً عن حال الراوى، كالعلم، و التقوى، و الورع، و الصدق، و اليقظة التى تحمله على التحرى و الضبط و أن يكون عالماً بأسباب الجرح و التعديل و بتصارييف كلام العرب فلا يضع اللفظ لغير معناه. و لقد تعجب علماء الغرب و قالوا نحن لا نتصور أن أى حضارة ينشأ فيها علم كهذا، لأنه علم يحتاج إلى جهد كبير و إنفاق الأموال و السفر ... و لكن لو علموا كيف كان حب المسلمين لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و كيف كان الواحد منهم يفديه بروحه كما فعل ذاك الصحابي فى معركة أحد و هو سيد الأنصار، حيث جعل من نفسه و صدره و وجهه درعاً لرسول الله صلى الله عليه و سلم، و عند ما انتهت المعركة أرسل النبي عليه الصلاة و السلام يتفقده، جاءه الصحابة فوجدوه ملقياً على الأرض على شفير الموت، سألوه عن حاله فقال لهم "كيف رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ قالوا: بخير، قال: إذا أنا بخير و الحمد لله، بلّغوا عنى الأنصار، لأن متم جميعاً فداء للنبي صلى الله عليه و سلم خير لكم من أن يجرح رسول الله صلى الله عليه و سلم بجرح. "لذلك شعر علماء المسلمين أنهم بعملهم هذا (و هو تدوين السنة) إنما يدافعون عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و عن حديثه، فكان الواحد منهم يشقى نفسه و يفنى عمره بالسهر و التعب و السفر و إنفاق الأموال فى سبيل المحافظة على سنة الحبيب محمد صلى الله عليه و سلم، جزاهم الله تعالى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٣٠ عن أمة الإسلام كل خير.

### أهم كتب الرواية فى القرنين الثانى و الثالث هجرى:

#### ١- موطأ مالك:

١- موطأ مالك: و يعود تدوين هذا الكتاب إلى منتصف القرن الثانى هجرى، و قد استغرق تصنيفه و جمعه و تحريره أربعين عاماً. أما عن تسميته، فقد روى عن الإمام مالك أنه قال "عرضت كتابى هذا على سبعين فقيهاً من فقهاء المدينة، كلهم و طأنى عليه فسَميته الموطأ، (وطأ أى وافق) ... و قد جمع فى الموطأ ١٧٢٠ حديثاً مرفوعاً و ٦٠٠ مرسلاً و ٢٢٢ موقوفاً و أقوال التابعين و فتاويهم. و الموطأ له مكانة عالية جداً و أغلب ما فيه صحيح. قال الشافعى "ما على ظهر الأرض كتاب بعد كتاب الله أصح من موطأ مالك." و لم يكن كتاب البخارى قد ظهر بعد.

## ٢- مسند الإمام أحمد:

٢- مسند الإمام أحمد: دونه في أول القرن الثالث هجري و يعتبر من أشهر دواوين السنة المشهورة و أجمعها للأحاديث، فقد وضع فيه الإمام أحمد قرابة ثلاثين ألف حديث، انتقاها من نحو سبعمائة و خمسين ألف حديث. و لقد راعى فيه تسلسل نظام الطبقات بالنسبة للصحابة الذين أسند إليهم الحديث، حيث قدم أولا أحاديث العشرة المبشرين بالجنة و أولهم الخلفاء الأربعة ثم بعدهم أحاديث أهل البيت و أقدم الصحابة إسلاما ... أكثر أحاديث المسند صحيحة بل و فيه من الأحاديث الصحيحة زيادة على ما في الصحيحين بل و السنن الأربعة، و فيه الحديث الحسن و الضعيف، و يقال إن فيه بعض الأحاديث الموضوعية و لكن ما وجد فيه لا يزيد عن أربعة أحاديث و قد اعتذر عنها بأن تركها الإمام أحمد سهوا، و قد عاجلته مميته قبل إتمام تنقيح المسند منها، و قيل هي من زيادة ابنه عبد الله بن أحمد.

## ٣- صحيح البخارى:

٣- صحيح البخارى: و يسمى الجامع الصحيح و يعتبر صحيح البخارى عند أهل السنة و جمهور الفقهاء و الأصوليين أصح كتب السنة و الأحاديث على الإطلاق، بل هو عندهم أصح كتاب بعد القرآن الكريم ... و يعتبر صحيح البخارى أول كتاب دون في بداية النصف الثانى من القرن الثالث هجري، و قد بذل الإمام البخارى فى تصنيف كتابه "الجامع الصحيح" جهدا كبيرا و وقتا طويلا بلغ ستة عشر عاما حتى جمعه ... و قد اختار أحاديثه من ستمائة ألف حديث، و اقتصر على إخراج الصحيح منها و لم يستوعب كل الصحيح بل اختار منه ما وافق شرطه، و قد ترك من الصحيح أكثر مما أثبتة لثلاثا- يطول الكتاب. جمع الإمام البخارى فى كتابه هذا نبذة من أحاديث الأحكام و الفضائل الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٣١ و الأخبار و الأمور الماضية و المستقبلية بالإضافة إلى الآداب و الرقائق و الدعوات و المغازى و السير لذلك سمي كتابه بالجامع الصحيح. و ما كان من الأحاديث غير المسندة مما لم يتصل سنده من المعلقات، مما حذف من أول سنده راو أو أكثر فهذا خارج عن نمط الكتاب و منهجه و موضوعه و مقاصده، و إنما أورده البخارى للاستشهاد فقط فى تراجم أبواب الكتاب و لا- يوجد شيء منها فى صلب الكتاب. و مما ينبغي أن يعلم أن ما أورده البخارى منها بصيغة الجزم مثل "قال" و "ذكر" و "روى" فهذا يفيد الصحة إلى من علق عنه، و أما ما علقه عن شيوخه بصيغة الجزم فليس من المعلق و إنما هو من المتصل و قد يعلق البخارى الحديث فى بعض المواضع من الجامع الصحيح و هو بسند متصل فى مكان آخر فى نفس الصحيح و قد يكون الحديث معلقا عنده فى الصحيح و هو صحيح متصل عند مسلم أو عند غيره من أصحاب كتب السنة المشهورة. أما إذا كان المعلق بصيغة لا تدل على الجزم و يقال لها صيغة التمرىض مثل "قيل" و "يروى" و "يذكر"، فهذا لا يستفاد منه الصحة و لا عدما بل يحتمل. أحاديث الجامع الصحيح على ما حققه ابن حجر بلغت ٢٦٠٢ حديثا غير مكررا، و إن جملة ما فيه من الأحاديث المكررة سوى المعلقات و المتابعات ٧٣٩٨ حديثا و جملة ما فيه من المعلقات ٣٤١ و جمع ما فيه بالمكرر ٩٠٨٢. أجمع شروحه: أ- فتح البارى شرح صحيح البخارى للحافظ ابن حجر العسقلانى الشافعى. ب- عمدة القارى بشرح البخارى للعيني الحنفى.

## ٤- صحيح مسلم:

٤- صحيح مسلم: يسمى الجامع الصحيح و يعتبر ثانى كتب الصحاح. استغرق جمعه ١٢ عاما، و قد انتقاها من ثلاثمائة ألف حديث. جملة ما فى صحيح مسلم دون المكرر أربعة آلاف حديث و هو بالمكرر يزيد على صحيح البخارى لكثرة طرقه. لم يستوعب البخارى و مسلم فى صحيحهما كل الأحاديث الصحيحة و لا التزما إخراج كل الصحيح و إنما أخرجا من الصحيح ما هو على شرطهما. فقد روى عن البخارى أنه قال "ما وضعت فى كتابى الجامع إلا ما صح و تركت من الصحاح مخافة الطول." و قال مسلم "ليس كل

شئ عندي صحيح وضعته هنا و إنما وضعت ما أجمعوا عليه. "إذا فإن كثيرا من الأحاديث الصحيحة توجد عند غيرهما من الكتب المعتمدة، ممن التزم أصحابها إخراج الصحيح فيها كمستدرك الحاكم و صحيح ابن حبان و صحيح ابن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٣٢ خزيمه. و الصحيح أن يقال إنه لم يفت الأمهات الست- الصحيحين و السنن الأربعة (سنن أبي داود و سنن الترمذى و سنن ابن ماجه و سنن النسائي)- إلا اليسير من الأحاديث الصحيحة و توجد هذه الزوائد من الأحاديث الصحيحة فى مسند أبى يعلى و البزار و بقية السنن الأخرى.

#### ٥- سنن أبى داود:

٥- سنن أبى داود: اعتنى أبو داود بأحاديث الأحكام خاصة و انتقى صحيحه من خمسمائة ألف حديث و اشتمل على أربعة آلاف حديث من أحاديث الأحكام خاصة، لذلك فهو مرجع للفقهاء فى أحاديث الأحكام. و هذا الكتاب هو أول السنن الأربعة و أقدمها منزله بعد الصحيحين. قال أبو داود: "قد ذكرت فيه الصحيح و ما يقاربه و ما كان فيه و هن شديد بينته و ليس فى كتابى هذا الذى صنفته عن رجل متروك الحديث شئ". و لكن مع هذا مع فهو لا ينص على صحة الحديث و لا ضعفه، فيسكت عنه. و ما سكت عنه فى منهجه صالح للاحتجاج به و لكن العلماء تتبعوا أحاديث السنن و دققوا فيها و حكموا عليها.

#### ٦- جامع الترمذى:

٦- جامع الترمذى: و يسمى سنن الترمذى، و يعتبر فى المرتبة الثانية بعد سنن أبى داود. التزم فيه الترمذى بأن لا يخرج إلا حديثا عمل به فقيه أو احتج به مجتهد. و لم يلتزم الترمذى بإخراج الصحيح فقط و لكنه أخرج الصحيح و نص على صحته و أخرج الحسن و بينه و نوه به و أكثر من ذكره و هو الذى شهره، و أخرج الحسن الصحيح. يعتبر كتاب الترمذى من مظان الحديث الحسن. و أخرج أيضا الضعيف و نص على ضعفه و أبان علته و أخرج بعض الأحاديث المنكرة فى باب الفضائل و تبه عليها غالبا. تميز كتابه بالاستدلالات الفقهية و استنباط الأحكام من الأحاديث و بين من أخذ بها أو عمل بها من الصحابة و التابعين و الأئمة المجتهدين من فقهاء الأمصار. و قد تضمن كتابه أيضا كتابا آخر سماه "العلل"، كشف فيه علل بعض الأحاديث و بذلك يكون جامع الترمذى قد تضمن فوائد كثيرة.

#### ٧- سنن النسائي:

٧- سنن النسائي: صنف النسائي "سننه الكبرى" التى تعتبر أقل الكتب- بعد الصحيحين- حديثا ضعيفا و رجلا مجروحا، ثم استخلص منه "السنن الصغرى" و تسمى "المجتبى" و هذا الكتاب هو أقل السنن حديثا ضعيفا و عدد أحاديثه ٥٧٦١ حديثا.

#### ٨- سنن ابن ماجه:

٨- سنن ابن ماجه: يعتبر هذا الكتاب أدنى الكتب الستة فى الرتبة. رتب ابن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٣٣ ماجه الأحاديث فيه على أبواب الفقه شأنها شأن السنن الأخرى. جمع فيه ٤٣٤١ حديثا منها ٣٠٠٢ حديثا أخرجها أصحاب الكتب الخمسة و ١٣٣٩ حديثا زائدا عن الكتب الخمسة، منها ٤٢٨ حديثا صحيح الإسناد و ٦١٣ حديثا ضعيفا و الباقي ٩٩ حديثا ما بين واه أو منكر أو موضوع. خلاصة: إن أصحاب السنن الأربعة لم يلتزموا إخراج الصحيح فقط كما فعل أصحابا الصحيحين البخارى و مسلم، بل أخرجوا الصحيح و الحسن و الضعيف، و تفاوتت كتبهم فى المنزلة بحسب تفاوتهم فى العلم و المعرفة، و لقد كان منهجهم فى التأليف هو ترتيب الأحاديث على أبواب الفقه و الاقتصار على أحاديث الأحكام. أما أصحاب الجوامع فقد تناولوا مع أحاديث الأحكام أحاديث العلم و الوحي و التفسير

و المغازى و السّير و القصص و الفتن و أشراف الساعة و غير ذلك من المواضيع العامّة الجامعة لكثير من الأبواب ... و نخلص إلى القول أن كل ما فى صحيح البخارى و مسلم صحيح و أغلب ما فى السنن الأربعة صحيح. فوائد: - إذا قيل رواه الشيخان أو متفق عليه أو أخرجه صاحبا الصحيحين، فمعناه أنه رواه البخارى و مسلم فى صحيحهما، و قد يرمز له بعض المحدثين ب "ق" أى متفق عليه. - إذا قيل رواه الجماعة، يقصد به أصحاب الكتب السبعة: الصحيحان و السنن الأربعة و مسند أحمد. - إذا قيل رواه الستة، فهم البخارى و مسلم و أبو داود و الترمذى و النسائى و ابن ماجه ما عدا مسند الإمام أحمد. - إذا قيل رواه أصحاب السنن أو الأربعة فيعنى أصحاب السنن عدا البخارى و مسلم. - إذا قيل رواه الخمسة فهم أصحاب السنن الأربعة و أحمد فقط. - إذا قيل رواه الثلاثة فهم أصحاب السنن ما عدا ابن ماجه. ملاحظة: للبخارى كتب أخرى غير الجامع الصحيح مثل الأدب المفرد و غيره و لم يلتزم البخارى بهذه الكتب الصّحة كما التزمها فى الجامع الصحيح. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٣٤

#### ٤- الدور الرابع من تاريخ التشريع الإسلامى: عصر الأئمة

##### إشارة

٤- الدور الرابع من تاريخ التشريع الإسلامى: عصر الأئمة و يمتد من أوائل القرن الثانى إلى منتصف القرن الرابع و هو دور تدوين السنّة و الفقه و ظهور كبار الأئمة الذين اعترف لهم الجمهور بالزعامة و سيأتى فيما يلى ترجمه كل واحد منهم:

#### أولاً: ترجمه الإمام الأكبر أبى حنيفه النعمان رضى الله تعالى عنه و أرضاه:

##### بشارة النبى صلى الله عليه و سلم به:

بشارة النبى صلى الله عليه و سلم به: قال النبى صلى الله عليه و سلم مبشراً بأبى حنيفه: "لو كان الإيمان عند الثريا لذهب به رجل من فارس." و فى لفظ لمسلم: "لو كان الإيمان عند الثريا لذهب به رجل من أبناء فارس حتى يتناولوه." نزل ثابت والد الإمام الكوفه و كان من وجوه بلاد فارس، و عمل بالتجارة و كان ماهراً فيها و حافظ على نفس المستوى الاجتماعى الذى عاشته الأسرة من قبل، فى رخاء و بحبوحة. التقى ثابت الإمام على كرم الله وجهه الذى دعا له بالبركة فيه و فى ذريته. و الإمام أبو حنيفه هو النعمان بن ثابت بن زوطى، ولد سنة ٨٠ من الهجرة بالكوفه. بدأ أبو حنيفه و منذ نعومة أظفاره يذهب مع أبيه إلى متجره حيث كان يلازمه و يتعلم منه أصول و أسس التعامل مع البائعين و المشترين، و تابع خطى أبيه و عاش فى رخاء و يسر و كان بزّازاً أى تاجر أقمشة و ثياب و كان له شريك فى متجره يساعده.

##### حرصه على الكسب الحلال:

حرصه على الكسب الحلال: كان يقول: "أفضل المال الكسب من الحلال و أطيب ما يأكله المرء من عمل يده." "جاءته امرأة بثوب من الحرير تباعه له فقال كم ثمنه، قالت مائة، فقال هو خير من مائة، فقالت مائتين، فقال هو خير من ذلك، حتى وصلت إلى أربع مائة فقال هو خير من ذلك، قالت أ تهزأ بى؟ فجاء برجل فاشتراه بخمس مائة. و ذات يوم أعطى شريكه متاعاً و أعلمه أن فى ثوب منه عيب و أوجب عليه أن يبين العيب عند بيعه. باع شريكه المتاع و نسى أن يبين و لم يعلم من الذى اشتراه، فلما علم أبو حنيفه تصدق بثمان المتاع كله. و كان أبو حنيفه يجمع الأرباح عنده من سنه إلى سنه فيشتري بها حوائج الأشياخ و المحدثين و أقواتهم و كسوتهم و

جميع لوازمهم ثم يدفع باقى الدنانير من الأرباح إليهم و يقول: أنفقوا فى حوائجكم و لا تحمدوا إلا الله فإنى ما أعطيتكم من مالى شيئا و لكن من الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٣٥ فضل الله على فيكم. كان الخليفة أبو منصور يرفع من شأن أبى حنيفة و يكرمه و يرسل له العطايا و الأموال و لكن أبا حنيفة كان لا يقبل عطاء. و لقد عاتبه المنصور على ذلك قائلا: لم لا تقبل صلتى؟. فقال أبو حنيفة: ما وصلنى أمير المؤمنين من ماله بشيء فرددته و لو وصلنى بذلك لقبلته إنما وصلنى من بيت مال المسلمين و لا حق لى به. وقع يوما بين الخليفة المنصور و زوجته شقاق و خلاف بسبب ميله عنها، فطلبت منه العدل فقال لها من ترضين فى الحكومة بينى و بينك؟ قالت أبا حنيفة، فرضى هو به فجاءه فقال له: يا أبا حنيفة زوجتى تخصمنى فانصفنى منها، فقال له أبو حنيفة: ليتكلم أمير المؤمنين. فقال المنصور: كم يحل للرجال أن يتزوج من النساء؟ قال: أربع. قال المنصور لزوجته: أسمعت. فقال أبو حنيفة: يا أمير المؤمنين إنما أحل الله هذا لأهل العدل فمن لم يعدل أو خاف أن لا يعدل فواحدة لقوله تعالى: فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةٌ، [النساء: ٣]، فينبغى لنا أن نتأذب مع الله و نتعظ بمواعظه. فسكت المنصور و طال سكوته، فقام أبو حنيفة و خرج فلما بلغ منزله أرسلت إليه زوجة المنصور خادما و معه مال و ثياب، فردها و قال: أفرئها السلام و قل لها إنما ناضلت عن دينى و قمت بذلك المقام لله و لم أرد بذلك تقربا إلى أحد و لا التمسست به دنيا.

### حرصه على مظهره:

حرصه على مظهره: كان حريصا على أن يكون مظهره حسنا تماما لذا كان كثير العناية بشيابه. رأى مرة على بعض جلسائه ثيابا رثة فأمره أن ينتظر حتى تفرق المجلس و بقى وحده فقال له: ارفع المصلى و خذ ما تحته، فرفع الرجل المصلى و كان تحته ألف درهم، و قال له خذ هذه الدراهم و غير بها حالك، فقال له الرجل إنى موسر و أنا فى نعمه و لست أحتاج إليه، فقال له أبو حنيفة: أما بلغك الحديث "إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده؟".

### طلبه للعلم:

طلبه للعلم: لزم أبو حنيفة عالم عصره حماد بن أبى سليمان و تخرج عليه فى الفقه و استمر معه إلى أن مات. بدأ بالتعلم عنه و هو ابن ٢٢ سنة و لازمه ١٨ سنة من غير انقطاع و لا نزاع. يقول أبو حنيفة "بعد أن صحبت حمادا عشر سنين نازعتنى نفسى لطلب الرئاسة، فأردت أن أعتزله و أجلس فى حلقة لنفسى. فخرجت يوما بالعشى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٣٦ و عزمى أن أفعل، فلمّا دخلت المسجد رأيتهم و لم تطب نفسى أن أعتزله فجئت فجلست معه، فجاء فى تلك الليلة نعى قرابه له قد مات بالبصرة، و ترك مالا و ليس له وارث غيره، فأمرنى أن أجلس مكانه. فما هو إلا أن خرج حتى وردت على مسائل لم أسمعها منه، فكنت أجيب و أكتب جوابى. ثم قدم، فعرضت عليه المسائل و كانت نحو من ستين مسألة، فوافقنى بأربعين و خالفنى فى عشرين، فأليت على نفسى ألا أفارقه حتى يموت و هكذا كان." و كان أبو حنيفة شديد الأدب مع شيوخه حتى أنه كان لا يتخلى باتجاه بيت شيخه حماد كان إذا نام يحرص أن لا تتوجه قدماه باتجاه بيت شيخه حماد. و قيل إن أبا حنيفة لم يكثر من الشيوخ مخافة أن تكثر حقوقهم عليه فلا يستطيع أداءها، فتأملوا فى أدبه الرائع!.

### ولعه بالفقه الرضى:

ولعه بالفقه الفرضي: أولع أبو حنيفة بالفقه الفرضي بخلاف معظم علماء عصره الذين كانوا يقولون نحن مضطرون أن نعلم حكم الله في أمر حصل أما إذا لم يقع لا نحمل أنفسنا هذه المثونة. ومعظم شيوخ أبي حنيفة كانوا على هذا المنوال وإن وجد فيهم من استجاز لنفسه أن يتوسع قليلا-فإلى حد محدود جدا. و أبو حنيفة كان على النقيض إذ كان يفرض الوقائع وإن لم تقع و كان يتأمل في حكمها و يعطى كلا منها فتوى. هذا الأمر أعطى فقهه غزارة و غنى و مدعاة لأن يتبع الناس الفقه الأوسع و الأكثر استجابة لواقع الحال، فما لم يقع اليوم سيقع غدا لا سيما عند ما يكون هذا الإمام عالما بعلم الاجتماع و خبيراً بالمشكلات التي تنتج، مثال ذلك: لقي أبو حنيفة قتادة رضي الله عنه و هو عالم من أجل علماء الحديث فسأله ما تقول في رجل غاب عن أهله أمدا طويلا و لم يعرف مصيره، فتزوجت امرأته من زوج آخر و بعد حين جاء زوجها، ما تقول في هذا؟ قال قتادة: أوقعت هذه المسألة؟ قال لا، فقال له و قد ظهر الغضب على وجهه: فلما ذا تسألني عنها؟ قال له هذا الكلام المهم: "إننا نستعد للبلاء قبل نزوله فإذا ما وقع عرفنا الدخول فيه و الخروج منه."

### فتنته مع أبي هبيرة:

فتنته مع أبي هبيرة: كان أبو هبيرة واليا بالكوفة في زمان بني أمية، فظهرت الفتن بالعراق، فجمع فقهاءها ببابه و فيهم ابن أبي ليلي و ابن شبرمة و داود بن أبي هند، فولى كل واحد منهم صدرا من عمله، و أرسل إلى أبي حنيفة فأراد أن يجعل الخاتم في يده و لا ينفذ كتاب إلا من تحت يده و لا يخرج من بيت المال شيء إلا من الإقتصاد و الاجتماع، ص: ١٣٧ تحت يد أبي حنيفة. و كان المقصود حمل أبي حنيفة على الولاء له قسرا و قهرا أو إغراء بالإكثار من المسئوليات و المهمات، فامتنع أبو حنيفة و قال لو أردني أن أعد له أبواب مساجد واسط لما فعلت! ... و قد سجن أبو حنيفة و ضرب ضربا مبرحا مؤلما أياما متتالية حتى سقط فاقد الوعي.

### منهج أبي حنيفة العلمي:

منهج أبي حنيفة العلمي: كان يقول: آخذ ما في كتاب الله و بما صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و ربما اشترط زيادة عن الصحة الشهرة فيما تقتضيه الشهرة في الأحكام و المسائل، فإن لم أجد آخذ بقول الصحابة، آخذ بقول من شئت منهم و أدع قول من شئت منهم عند ما يختلفون و لكنني ألزم نفسي بالأخذ من الصحابة و إذا لم أجد و آل الأمر إلى إبراهيم النخعي و إلى التابعين كالأوزاعي، فإني أجتهد كما اجتهدوا و لا ألزم نفسي باتباع رأي واحد منهم ما دام الأمر اجتهاديا. و كان يأخذ بحديث الآحاد و يعمل بها ما أمكن. مثال: قوله تعالى: فَاقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ، [المزمل: ٢٠] و حديث النبي عليه الصلاة و السلام يقول: "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب،" متفق عليه، فحكم أن أصل قراءة القرآن في الصلاة ركن، أما تقسيم القراءة للقرآن الكريم إلى الفاتحة و بعض ما تيسر من القرآن فواجب و بذلك عمل بالقرآن و السنة معا. و كذلك الظمأنينة في الركوع ليست فرضا عند أبي حنيفة لإطلاق قوله تعالى: ارْكَعُوا، أما الظمأنينة فتأبته بخبر الآحاد لذلك هي عنده واجبة. و من منهجه أنه يقدم السنة القولية على الفعلية لجواز أن يكون الفعل خصوصية للنبي صلى الله عليه و سلم. و يقدم السنة المتواترة على خبر الآحاد عند التعارض و عدم إمكان الجمع بينهما، كالجمع في السفر حيث قال أنه جمع صوري و هكذا كان يفعل عبد الله بن عمر. أبو حنيفة لا يجيز للمسافر أن يجمع بين الصلوات و لكن القصر عنده واجب. و يقدم السنة و لو حديثا مرسلا أو ضعيفا على القياس، لذلك قال بنقض الوضوء من الدم السائل معتمدا على حديث مرسل، و كذلك نقض وضوء و بطلان الصلاة بالفقهة أيضا بحديث مرسل. و من منهجه أيضا الاستحسان: و الاستحسان لغة هو وجود الشيء حسنا و معناه الإقتصاد و الاجتماع، ص: ١٣٨ طلب الأحسن للإتباع الذي هو مأمور به



كما قال تعالى: ... فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ، [الزمر: ١٧-١٨]. و هو عند الفقهاء نوعان: ١- العمل بالاجتهاد و غالب الرأى فى تقدير ما جعله الشرع مدلولاً إلى آرائنا نحو قوله تعالى: مَتَاعاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُخْسِرِينَ (٢٣٦)، [البقرة: ٢٣٦]، أوجب ذلك بحسب اليسار و العسرة و شرط أن يكون بالمعروف، فعرفنا أن المراد ما يعرف استحسانه بغالب الرأى و لا خلاف فى هذا النوع. ٢- هو الدليل الذى يكون معارضا للقياس الظاهر الذى تسبق إليه الأوهام قبل إمعان التأمل فيه، و بعد إمعان التأمل فى حكم الحادثة و أشباهها من الأصول يظهر أن الذى عارضه فوقه فى القوة، فإن العمل به هو الواجب، فسموه بذلك استحسانا للتمييز بين هذا النوع من الدليل و بين الظاهر الذى تسبق إليه الأوهام. مثاله: لو قال لامرأته: إذا حضت فأنت طالق، فقالت: قد حضت، فكذبها الزوج، فإنها لا تصدق فى القياس باعتبار الظاهر و هو أن الحيض شرط للطلاق كدخولها الدار و كلامها زيدا. و فى الاستحسان تطلق لأن الحيض شىء فى باطنها لا يقف عليه غيرها، فلا بد من قبول قولها فيه. العرف و العادة: هو ما استقر فى النفوس من جهة العقول و تلقته الطباع السليمة بالقبول. و إنما يكون العرف دليلا حيث لا دليل شرعى من كتاب و سنة. قال ابن مسعود: ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ... و ألف ابن عابدين رساله "العرف" تضمنت مسألة تضمين الخياط و الكواء (و مثالهما إذا أحرقا القماش أو أضعاه). و أبو حنيفة هو أساس من جمع بين مذهبي أهل الحجاز أهل الحديث و أهل العراق أهل الرأى. كان أبو حنيفة من علماء الرأى و لكنه ذهب إلى الحجاز و أقام فى مكة ست سنوات يأخذ العلم من علماء الحجاز أمثال عبد الله بن عمر ... يذكر أن أبا حنيفة دخل يوما على المنصور فقال له أحد الجالسين: هذا عالم الدنيا اليوم ... فقال له المنصور: يا نعمان من أين أخذت علمك؟ قال: من أصحاب عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر (أهل الحديث) و من أصحاب عبد الله بن عباس عن عبد الله بن عباس و من أصحاب عبد الله بن مسعود عن عبد الله بن مسعود (أهل الرأى) ... إذا لأول مرة خرق أبو حنيفة الحدود الفاصلة بين المذهبيين. عند ما ذهب إلى أهل الحجاز تعلم منهم الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٣٩ الحديث و تعلموا منه كيفية استخراج الأحكام فاستفاد و أفاد. و انعكس هذا الأمر على تلامذته مثل أبو يوسف و محمد بن الحسن الشيبانى و غيرهم ... و كان لإخلاصه فى طلب العلم يرجع عن رأيه إذا اطلع على حديث أو فتوى صحابى.

### تأديبه لتلميذه أبى يوسف:

تأديبه لتلميذه أبى يوسف: لمّا مرض أبو يوسف قال أبو حنيفة: لئن مات هذا الغلام لم يخلفه أحد على وجه الأرض. فلما عوفى أعجب بنفسه و عقد له مجلسا فى الفقه فانصرفت وجوه الناس إليه، فلما بلغ ذلك أبا حنيفة قال لبعض من عنده: اذهب إلى مجلس يعقوب (يعنى أبو يوسف) و قل له: ما تقول فى قصّار دفع إليه رجل ثوبا ليقتصره بدرهمين ثم طلب ثوبه فأنكره القصار ثم عاد له و طلبه فدفعه له مقصورا، له أجره؟ فإن قال نعم قل له أخطأت و إن قال لا قل أخطأت. فسار إليه الرجل فسأله فقال نعم له أجره فقال له أخطأت، فنظر ساعة فقال لا، فقال أخطأت، فقام من ساعته لأبى حنيفة فلما رآه قال: ما جاء بك إلا مسألة القصار. قال: أجل. قال: سبحان الله من قعد يفتى الناس و عقد لنفسه مجلسا يتكلم فى دين الله تعالى و هذا قدره لا يحسن أن يجيب فى مسألة من الإجازات، فقال: علمنى، قال: إن كان قصّره بعد ما غصبه فلا أجره له لأنه قصّره لنفسه، فإن قصّره قبل غصبه فله الأجره لأنه قصّره لصاحبه، فعاد أبو يوسف و لم يترك بعدها مجلس أبى حنيفة قط.

### موقفه من آل بيت النبي صلى الله عليه و سلم:

موقفه من آل بيت النبي صلى الله عليه و سلم: موقفه من آل بيت النبي صلى الله عليه و سلم فى عصره كموقف الأئمة الأربعة و موقفنا

جميعا و هو حب آل البيت و الانتصار لهم كما قال الإمام الشافعي عند ما اتهم بالتشيع: إن كان رفضنا حب آل محمد فليشهد الثقلان أني رافض. و من المعلوم أن أبا حنيفة كان متشيعا إن صح التعبير لآل البيت (أى كان يحبهم و يقف معهم إذا تعارضوا مع الخليفة فى عصره)، لكنه كان دائما يعلن أن أبا بكر أفضل من عمر و عمر أفضل من عثمان و يرى أن كلا من عثمان و على بمستوى واحد. و معنى ذلك أن حبه لآل البيت كان حبا شعوريا تفرع عن حبه للمصطفى صلى الله عليه و سلم و لم يكن حبا مذهبيا ينحاز عن أهل السنة و الجماعة. و ذكر أبو حنيفة أنه التقى بالإمام محمد الباقر و هو من أئمة الإمامية و هو والد جعفر الصادق، فسأله أبو حنيفة: ما تقول أصلحك الله فى أبى بكر و عمر؟ فأثنى محمد الباقر عليهما خيرا و قال يرحمهما الله تعالى و أخذ يفيض بالحديث عن آثارهما فقال له بعضا من أهل العراق يقولون إنك تبتأ منهما، قال معاذ الله، كذبوا و رب الكعبة! أتعلم من هو عمر لا أبا لك؟ إنه ذاك الذى زوجه على من الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٤٠ ابنته أم كلثوم، و هل تدري من هى أم كلثوم لا أبا لك؟ إن جدها رسول الله و إن جدتها السيدة خديجة سيدة نساء الجنة و إن أمها فاطمة الزهراء و إن أباهما على فلو لم يكن عمر أهلا لها لما أعطاه على ابنته! و قد اشتهرت كلمة لأبى حنيفة جاء فيها: "ما قاتل على أحدا إلا و على أولى بالحق منه أى فى عصره بعد أبى بكر و عمر." لم يكن حبه لآل البيت يدفعه إلى الانتقاص من صحابة رسول الله صلى الله عليه و سلم بل على العكس، لأن أصحاب النبى صلى الله عليه و سلم كلهم يحبون و يوقرون آل بيته صلى الله عليه و سلم و آل البيت كلهم يحبون و يجلبون و يجلبون كل صحابة النبى صلى الله عليه و سلم. هذا الخط يجسد الصراط العريض الذى أشار إليه رسول الله صلى الله عليه و سلم فى أحاديث بلغت فى مجموعها مبلغ التواتر المعنوى مثاله: "عليكم بالجماعة"، "عليكم بالسواد الأعظم و من شدّد شدّد فى النار"، "إن الشيطان مع الواحد و هو من الاثنين أبعد"، "سألت ربي أن لا تجتمع أمتى على ضلالة"، "من أراد أن يلزم بجوحة الجنة فليلزم الجماعة ... " و كان أبو حنيفة على علاقة طيبة مع المنصور و لكن لما قتل أبو جعفر المنصور محمد بن عبد الله بن حسن الملقب بالنفس الزكية من الطالبين بدأ أبو حنيفة يغير موقفه من الخليفة و أخذ ينتقد مواقفه و أخطائه عند ما تطرح عليه الأسئلة و كان ذلك يغيظ الخليفة كثيرا. انتفض أهل الموصل على المنصور و كان المنصور قد اشترط عليهم أنهم إن انتفضوا حلّت دماؤهم، فجمع المنصور العلماء و الفقهاء و القضاة و كان بينهم أبا حنيفة و قال لهم: أليس صح أن رسول الله قال المؤمنون عند شروطهم يلتزمون بها و أهل الموصل قد اشترطوا ألا يخرجوا على و ها هم قد خرجوا و انتفضوا و لقد حلّت دماؤهم فما ذا ترون؟ قال أحد الحاضرين: يا أمير المؤمنين، يدك مبسوطة عليهم و قولك مقبول فيهم فإن عفوت فأنت أهل العفو و إن عاقبت فيما يستحقون. التفت المنصور إلى أبى حنيفة يسأله و يستنطقه ليقع به فقال أبو حنيفة: إنهم شرطوا لك ما لا يملكونه و شرطت عليهم ما ليس لك لأنّ دم المسلم لا يحلّ إلا بإحدى ثلاث فإن أخذتهم أخذت بما لا يحلّ و شرط الله أحق أن يوفى به. عندئذ أمر المنصور الجميع أن ينصرفوا ما عدا أبى حنيفة و قال له: إن الحق ما قلت، انصرف إلى بلادك ... و يروى أنه كان لأبى حنيفة جار رافضى كان عنده بغلان سمى واحدا أبا بكر و الآخر عمر، و فى أحد الأيام رفته بغلة فوق مينا، فقال أبو حنيفة: انظروا البغلة التى رفته هى التى سماها عمر، و هكذا كان! الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٤١ أما سبب انتشار مذهب أبى حنيفة و أتباع الناس له بخلاف مذهب معاصريه أمثال الأوزاعى و عطاء بن أبى رباح و إبراهيم النخعى و هم شيوخ أبى حنيفة و ذلك لعدة عوامل نذكر منها ما يلى: ١- أخذ أبو حنيفة عن أربعة آلاف شيخ من التابعين و أفتى فى زمن التابعين. ٢- قيص الله تعالى لأبى حنيفة تلاميذ كانوا فى الوقت نفسه فطاحل من العلماء و قد دوّنوا آراءه و فتاويه و اجتهاداته بخلاف باقى الأئمة فى عصره. فأبو يوسف دوّن فقه أبى حنيفة فى الكتب و كذا فعل محمد بن الحسن الذى دوّن كل فقهه و الاجتهادات الأخرى حتى التى تراجع عنها، و هناك كتب تسمى كتب "ظاهر الرواية" كلها للإمام محمد. و قام كل من أبى يوسف و محمد بجمع الأحاديث التى يروىها الإمام فى فتاويه كمستندات لفقهه مثل كتاب الآثار و كتب أخرى و أحاديث كثيرة موزعة فى هذه المدونات. و لقد كانت طريقة أبى حنيفة بالتعليم مبنية على السؤال و الإقناع برأى ثم قوله و لكنى أرى غير هذا و يعلم أصحابه الفتوى و طريقة التفكير. و أبو حنيفة هو أول من من رتب مسائل الفقه حسب أبوابها من طهارة و صلاة ... دوّنوها الإمام أبو يوسف - فى غالب الأحيان - فى سجلات

حتى بلغت مسأله المدونة خمسمائة ألف مسألة. انتقل تلامذته الفحول البالغون ٧٣٠ شيخا إلى بلادهم خاصة بلاد الأفغان و بخارى و الهند ... فشرّق فقه الإمام أبى حنيفة و غرب و شمال و جنب حتى ليعد على بن سلطان القارى المتوفى سنة ١٠١٤ هجرى ثلثى المسلمين فى العالم على مذهب الإمام أبى حنيفة. ٣- إن الله تعالى شاء أن يكون أبو يوسف قاضيا و أن يتولى القضاء لثلاث من الخلفاء المهدي و الهادى و هارون الرشيد و سمي بعد ذلك قاضى القضاء و كان و هو حنفى يقضى بمذهب أبى حنيفة و كذلك كان أغلب القضاء الذين كان ينصيهم و المدونات التى كانت تدون فى دار الخلافة كانت تدون على مذهب أبى حنيفة، كل هذا و غيره جعل فقه الإمام أبى حنيفة ينتشر أكثر من فقه من سبقه أمثال الأوزاعى و جعفر الصادق و غيرهم ....

### أهم مؤلفاته:

أهم مؤلفاته: تميز عصر أبى حنيفة بوجود الفرق المبتدعة المختلفة مثل: الشيعة و المعتزلة و المرجئة و القدرية و الجهمية أو المعطلة ... هذه الفرق كلها كانت أشبه ما تكون بالحاشية على الجسم الكبير كحاشية فى أطراف جسم المجتمع الإسلامى، فكانت هذه الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٤٢ الفرق مع قلة أتباعها يثون الشبه و سمّت كل فرقة باسم، فقام علماء المسلمين يردون على هؤلاء المبتدعة. و كان لا بد من أن يسموا أنفسهم باسم حتى يتبين قول هؤلاء المبتدعة من قول عامة المسلمين، فسّموا عامة المسلمين أهل السنة و الجماعة و هى ما كان عليه صلى الله عليه و سلم و الصحابة و التابعين و هم السواد الأعظم من الأئمة. و بظهور الأئمة الأربعة، اشترأت أعناق الناس إليهم يأخذون من فقههم و ينهلون من علومهم و كانت لهم عبقرية نادرة فى الاستنباط مما دعا الناس إلى الإقبال عليهم و الأخذ منهم، فجمع هؤلاء الأئمة الناس على منهج أهل السنة و الجماعة فيما يتعلق بالعقيدة و حذروا الناس من البدع و دافعوا عن الإسلام دفاعا قويا. و ألف أبو حنيفة كتاب "الفقه الأكبر" بين فيه عقيدة المسلمين ورد فيه على المبتدعة ... و نقل أن له مسندا و لكن المحقق أنّ هذا المسند من جمع أبى يوسف عن أبى حنيفة سماه "الآثار .."

### أقوال معاصره فيه:

أقوال معاصره فيه: - الفضيل بن عياض قال فيه: كان أبو حنيفة رجلا فقيها معروفا بالفقه، واسع المال معروفا بالإفضال على كل من يطوف به، صبورا على تعلم العلم بالليل و النهار، حسن الليل، يقوم الليل (و هذا شىء معروف عنه)، كثير الصمت، قليل الكلام حتى يرد مسألة فى حلال أو حرام. - عبد الله بن المبارك العالم الكبير و التابعى الجليل يقول: كان أبو حنيفة مخ علم أو مخ العلم أى كنت تأخذ منه لباب العلم. - مالك بن أنس قال عنه: لو جاء إلى أساطينكم فقايسكم على أنها خشب لظنتم إنها خشب. - الإمام زفر قال: جالست أبا حنيفة أكثر من عشرين سنة فلم أر أحدا أنصح للناس منه و لا أشفق عليهم منه، كان بذل نفسه لله تعالى، أما عامة النهار فهو مشغول فى العلم و فى المسائل و تعليمها و فيما يسأل من النوازل و جواباتها و إذا قام من المجلس عاد مريضا (أى زار) أو شيع جنازة أو وصى فقيرا أو وصل أخا أو سعى فى حاجه، فإذا كان الليل خلى للعبادة و الصلاة و قراءة القرآن، فكان هذا سبيله حتى توفى رضى الله تعالى عنه. - أجمع علماء عصره على أنه لم يجتمع لأحد غيره فى ذلك العصر ذكاء و قوة بادرة و علم و قوة استنتاج. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٤٣ - كان أبو حنيفة فى زيارة شيخه الأعمش يوما (و الأعمش من كبار المحدثين)، فجاء إلى الأعمش رجل يسأله عن مسألة فى العلم فقال لأبى حنيفة: أجهه. فأجابه، فقال له: و من أين لك هذا؟ قال: من حديث حدثنيه هو كذا و كذا. فقال الأعمش: حسبك ما حدثتك به فى سنة تحدت به فى ساعة، أنتم الأطباء و نحن الصيادلة. سؤال: لما ذا نتبع أبا حنيفة و لا نتبع رسول الله صلى الله عليه و سلم؟ الجواب: بعد أن أوضحنا الأدوار الثلاثة و بدأنا الكلام عن الدور الرابع لم يبق لهذا السؤال أى معنى

فأبو حنيفة لم يخترع شيئاً بل أتبعنا له هو عين أتباع لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأن الذي فعله أبو حنيفة هو أن شرح لنا آيات كتاب الله عز وجل و أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ واستخرج منها الأحكام و بوبها على أبواب الفقه. فمن المعلوم أن للقرآن الكريم تفاسير عديدة، كل تفسير عنى بناحية من النواحي، فتفسير يعنى بالعقيدة كتفسير الرازي و تفسير يعنى بالمأثور كتفسير ابن كثير و تفسير يعنى باللغوة كتفسير الألوسي و ابن عاشور و غيرهم، كذلك هؤلاء الأئمة الأربعة، كل ما فعلوه أنهم عمدوا إلى الكتاب و السنة و أقوال الصحابة فجمعوها و استنبطوا منها الأحكام و بوبها بأبوابها: باب الطهارة باب الصلاة ... إلخ و دونوها لنا، فإذا أخذنا عنهم نكون حقيقة قد أخذنا عن الله عز وجل و عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذلك لأن عامة الناس لا يفقهون آيات كتاب الله تعالى و لا أحاديث النبي عليه الصلاة و السلام و لا يعلمون الناسخ و المنسوخ و العام و الخاص و ما إلى ذلك ... سؤال: إنَّ أبا حنيفة بشر غير معصوم يصيب و يخطئ فكيف نتبعه؟ الجواب: كونه بشر لا- ينقص من مكانته و لا يمنع من جوازه، لا بل ضرورة أتباعه أو أحد الأئمة الأربعة لكل من لم يبلغ درجة الاجتهاد ثم من الذي يستطيع أصلاً أن يكشف خطأ الإمام في الاجتهاد خاصة إذا كان من العوام؟ و إن كان مجتهداً وصل إلى درجة الاجتهاد المطلق فهذا المجتهد نفسه غير معصوم أيضاً، فمن نتبع إذا!!!؟ إنَّ الله تعالى أمرنا باتباع العلماء و المجتهدين المخلصين في قوله تعالى: فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣)، أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِي الْأَمْرِ، و أهل الذكر هم أمثال أبي حنيفة و مالك ... و من المعلوم أنه ليس من الضرورة أن يكون قول الإمام هو القول المفتى به في المذهب، فالإمام لم يكن لوحده يمثل مذهبه، هناك فقهاء كثيرون محققون ينتسبون للمذهب نفسه يصوبون الإمام إن أخطأ. و الذي يريد أن يحقق في مسألة مس المرأة الأجنبية عند الحنفية و الشافعية ليرجح قول أحدهما، إن كان هذا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٤٤ الإنسان وصل بدرجة اجتهاده إلى مرتبة هؤلاء الأئمة فلا بأس و على كل الأحوال هو بعد بحثه سيخرج بقول ما، و قوله أيضاً سيكون اجتهادياً و هو غير معصوم فماذا فعل إذا؟ و إذا أراد أحد العلماء في درس عام مثلاً أن يرحح قولاً على قول فإنما يكون الهدف من ورائه أن يقول الناس إن فلانا عالماً جليلاً بلغ من العلم درجة يستطيع أن يحكم فيها على الأئمة و لن يفيد الناس شيئاً إلا حملهم من تقليد أبي حنيفة أو الشافعي و غيرهما من الذين اتفقت الأئمة على وجوب تقليد واحد منهم، إلى تقليده هو في هذه القضية، فيما إذا يكون قد نفع المسلمين؟!!! يقول المثل: من جهل شيئاً عاداه. و بالفعل فالرجل الذي يسمع بإنسان عالم و يسمع آراءه و اجتهاداته لكن ما جالسه و ما سمع منه حججه، لن يستطيع أن يحكم عليه. عند ما لمع اسم أبي حنيفة و انتشر صيته في العراق و قبل أن يراه علماء الحجاز أو علماء الشام ربما كان هنالك كثير من علماء الحجاز من يضيّق ذرعاً باجتهاداته و ربما نعتوه بأنه مبتدع و لكن بعد أن رأوه و جاء هو إلى الحجاز و جالسوه و سمعوا منه و سمعوا حججه اختلف الأمر تماماً! مثال ذلك: يقول عبد الله بن المبارك إنَّ الإمام الأوزاعي سأله من هو هذا المبتدع الذي ظهر في العراق (و يقصد أبا حنيفة)، فقال ابن المبارك: لم أجب، ثم أخذت أعرض له مسائل عويصة في الفقه و أحدثه عن فتاوى يمكن أن تكون جواباً، فقال لي: و الله إنَّ هذه الأجوبة لأجوبة سديدة، من هو صاحبها؟ قلت له: فقيه في العراق. قال: من هو؟ قلت: هو أبو حنيفة. قال: إنَّ هذا الإنسان نبيل و ذو علم غزير فالزمه. ثم إنَّ الأوزاعي التقى بعد ذلك بأبي حنيفة و تناقشا في كثير من المسائل العلمية فتحوّلت نظرة الأوزاعي و أخذ يوصي الناس بمجالس أبي حنيفة و الاستكثار من علمه و فضله. كثيرون اليوم هم الذين ينتقصون من مكانة أبي حنيفة و ينتقدون فتاويه و اجتهاداته و هذا سهل لأنهم يزنون تلك الاجتهادات بميزانهم هم، فتبين من خلال ميزانهم هذا أن أبا حنيفة جاهل مع العلم أنهم لن يكونوا أعلم من الأوزاعي أو عبد الله بن المبارك. و مما يذكر أيضاً أن الشافعي عند ما رحل إلى بغداد، التقى بمحمد بن الحسن ليتلمذ على يده و لو وسعه أن يتلمذ على أبي حنيفة لفعل و لكنه لم يستطع بسبب وفاة أبي حنيفة في العام الذي ولد فيه الشافعي و كان يقول: أخذت من محمد و قر بعير من علم. و كثيرة هي المسائل التي أخذ فيها الشافعي برأى محمد و كثيرة هي المسائل التي أخذ فيها محمد برأى الشافعي و تراجع عن رأيه. فهناك مثلاً من يتهم أبا حنيفة بأنه لم يكن يحفظ إلا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٤٥ بضعة عشر حديثاً و لم تكن له بضاعة في رواية الأحاديث ... إذا رجعت إلى ترجمة الإمام لوجدت الإجماع على أن هذا كذب، فقد صح عنه أنه: - تفرد بروايته و تخريج أكثر

من مائتي حديث فضلا عن الأحاديث التي اشترك مع المحدثين الآخرين في روايتها. - لو أردت أن تجمع الأحاديث من مصنفات محمد بن الحسن و أبي يوسف و غيرهما من مرويات أبي حنيفة فلسوف تجد الشيء الكثير. - لو وقفت على مناقشة بسيطة في مسألة من مسائل الفقه بينه و بين أحد الأئمة لرأيتة يروى عددا كبيرا من الأحاديث. مروياته في باب الصلاة تزيد عن مائة حديث.

### ورعه و تقواه و عبادته لله تعالى:

ورعه و تقواه و عبادته لله تعالى: قال ابن المبارك: قلت لسفيان الثوري: ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة، ما سمعته يغتاب عدوا له. قال: و الله هو أعقل من أن يسلم على حسناته ما يذهب بها ... كان أبو حنيفة يختم القرآن في كل يوم ثم حين اشتغل بالأصول و الاستنباط و اجتمع حوله الأصحاب أخذ يختمه في ثلاث في الوتر ... صلى أبو حنيفة ثلاثين سنة صلاة الفجر بوضوء العتمة و حج خمسا و خمسين حجة. قال مسعر بن كدام: رأيت الإمام يصلي الغداة ثم يجلس للعلم إلى أن يصلي الظهر ثم يجلس إلى العصر ثم إلى قريب المغرب ثم إلى العشاء، فقلت في نفسي متى يتفرغ للعبادة؟ فلما هدأ الناس خرج إلى المسجد و كان بيته بجوار المسجد الذي يؤم فيه حسبة لله تعالى. فانصب للصلاة إلى الفجر ثم دخل فلبس ثيابه. و كانت له ثياب خاصة يلبسها لقيام الليل و خرج إلى صلاة الصبح ففعل كما فعل، ثم تعاهدته على هذه الحالة فما رأيتة مفطرا و لا بالليل نائما. و كان يغفو قبل الظهر إغفاء خفيفه، و قرأ ليلة حتى وصل إلى قوله تعالى: **فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧)**، [الطور: ٢٧] فما زال يرددتها حتى أذن الفجر. و ردد قوله تعالى: **بَلِ السَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ أَذْهَى وَ أَمْرٌ (٤٦)**، [القمر: ٤٦]، ليلة كاملة في الصلاة. و قالت أم ولده: ما توسد فراشا بليل منذ عرفته و إنما كان نومه بين الظهر و العصر في الصيف و أول الليل بمسجده في الشتاء. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٤٦

### عرض القضاء عليه و وفاته:

عرض القضاء عليه و وفاته: عرض عليه الخليفة القضاء مرارا و ضرب عليه و قال إني لا أصلح، قال الخليفة بل أنت تكذب أنت تصلح، فقال: أ رأيت، أنت تقول عني كذاب، إني لا- أصلح للقضاء. و كان أبو حنيفة ينقد قضاء القضاء بشدة و يبين أخطاءهم، فاتخذ المنصور هذا الموقف ذريعة للتخلص منه فعرض عليه من جديد تولى منصب القضاء فأبى و رفض فحبسه و جرى بينهما حوار قال فيه: اتق الله و لا- ترع أماتكك إلا- من يخاف الله و الله ما أنا بمأمون الرضى فكيف أكون مأمون الغضب، لك حاشية يحتاجون إلى من يكرمهم لك فلا أصلح لذلك. ثم حبسه و ضربه على مشهد من العامة ثم أخرج من السجن و منع من الفتوى و الجلوس إلى الناس حتى توفي. و قبل أبو حنيفة أن يعمل كأحد العمال في بناء سور بغداد تفاديا للنقمة، و لما أحس بالموت سجد فخرجت نفسه و هو ساجد عام ١٥٠ هجري و كان يردد المنصور بعد وفاة الإمام: من يعذرني من أبي حنيفة حيا و ميتا.

### ٢- ترجمة الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه:

### بشارة النبي صلى الله عليه و سلم به:

بشارة النبي صلى الله عليه و سلم به: عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم، فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة،" أخرجه الترمذى و هو حديث حسن صحيح. قال العلماء: و

عالم المدينة هو مالك بن أنس و هو الذى بشر به النبى صلى الله عليه و سلم.

### ميلاده و نسبه و نشأته و طلبه للعلم:

ميلاده و نسبه و نشأته و طلبه للعلم: ولد مالك بن أنس عام ٩٣ هجرى و توفى عام ١٧٩ للهجرة. ولد فى المدينة المنورة من أسرة أصلها من اليمن و كانت أسرته هذه أسرة علم، والده أنس كان عالما و اسم جده مالك أبو عامر الأصبحى و كان محدثا و راويا سمع الحديث من أبى بكر و عمر و عثمان و كثير من الصحابة رضى الله عنهم. و لقد روى مالك الحديث عن أبيه و جده. و يروى أنه ذات ليلة و قد اجتمع أفراد أسرة مالك على عادتهم متحلقين حول الأب يسرد عليهم بعض وقائع أيامه و أحداثه، سأل الوالد أبناءه سؤالا فى الدين فأجابوه جميعا إجابات سليمة صحيحة عدا مالك الذى عجز و تلجلج و كان فى العاشرة من عمره قد حفظ القرآن الكريم و شيئا من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم إلا أن عقله فى مثل سنه لم يكن يسمح له بالفهم و العلم فعجز عن الجواب فعنفه أبوه أنس و وبخه الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٤٧ و نهره لانشغاله باللعب عن طلب العلم. و انفجر مالك بالبكاء و هو يأوى إلى صدر أمه، فضمته إليها و عانقته و لاطفته و خفت عنه ما به من حزن و ألم و فى اليوم التالى شدت على رأسه عمامة جديدة و ضمخته بأطيب العطر و أشارت عليه بإتيان مسجد الرسول الأعظم صلى الله عليه و سلم و الجلوس إلى حلقات العلم المنتشرة هناك و دعت له بالخير و بالتفقه و الفهم و الحفظ. و منذ ذلك اليوم لازمته عادة الاستحمام و التطيب كلما أتى مجلس العلم سواء كان متعلما أو معلما فيكون فى أحسن سمت و أكمل مظهر و أرقى صورة، و دخل مالك بوابه العلم الكبرى و لم يغادرها حتى توفاه الله تعالى. و كان يجد نفسه بحاجة إلى مزيد علم، فقد كان يهيمه أحيانا أمر علمى أو مسألة فبعد أن تنفض الحلقات و يأوى الشيوخ إلى دورهم فلا يجد مالك صبرا إلى الغد كى يسأل و يفهم لذا راح يسعى إلى الشيوخ فى بيوتهم و مساكنهم و قد ينتظر أحدهم فى الطريق الساعات الطوال ما يجد فيها ظل شجرة تقيه حرارة الشمس حتى إذا ما رآه يدخل داره ينتظر لحظات ثم يقرع الباب و كان فى بعض الأحيان يحمل معه تمرا يهديه لجارية الفقيه لتمكّنه من الدخول على العالم. و تعلق بالعلم تعلقا جادا فلزم عبد الرحمن بن هرمز و هو عالم من أجل علماء المدينة سبع سنوات لم يختلف فيها إلى غيره و كان يأخذ عنه المسائل الاجتهادية و قضايا الفقه و كان ابن هرمز مشهورا بقوة عارضته و دلائل الحق و يقول الإمام مالك عن نفسه أنه اتخذ لنفسه ما يشبه الطراحة الصغيرة، كان يأخذها معه فيجلس على صخرة أمام دار ابن هرمز و لم يكن يطرق بابه خوفا من أن يزعجه منتظرا خروج الإمام يعنى ابن هرمز إلى الصلاة، فإذا خرج اتبعه و ذهب معه إلى المسجد. ثم بدأ يأخذ عن نافع مولى (أى خادم) عبد الله بن عمر و كان من أحفظ علماء الحديث، كان حافظا و كان فقيها، أخذ الفقه و الحديث عن ابن عمر ... ثم أخذ مالك أيضا عن الزهرى و كان يلازمه كما لازم ابن هرمز و كان يسير معه من بيته إلى المسجد. يقول الإمام مالك عن نفسه: كنت أخرج من وقت الظهيرة و ليس للأشياء ظل أتيهم درسا عند الزهرى ... و أخذ مالك الحديث عن الزهرى مع قلة من إخوانه و يقال إن الزهرى حدّثه فى يوم من الأيام نيفا و أربعين حديثا له و لبعض زملائه، فلما عادوا فى اليوم التالى قال الزهرى: استحضرتم كتابا لتسجلوا ما أملى عليكم خيفة أن تنسوها؟، فقال قائل منهم ينبؤك عنها هذا الشاب الأشقر (أى الإمام مالك)، فسأله الزهرى فتلا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٤٨ عليه منها أربعين حديثا مع أسانيدها فقال الزهرى: و الله ما ظننت أن أحدا يأتيها غيرى (أى لا يحفظها). و كان الإمام مالك إذا جلس لتلقى الحديث يسجل الحديث و هو جالس و لما سئل هل أخذت من عمرو بن دينار قال لم آخذ و ذلك لأنى ذهبت إلى مجلسه فرأيتة يحدث و الناس حوله واقفين يكتبون عنه فلم أحب أن أكتب حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم و أنا قائم لأنه كان يرى فى هذا منقصة لحديث رسول الله صلى الله عليه و سلم ... و تلقى الإمام مالك الفقه عن شيخه الكبير ربيعة الذى كان يلقب "بربيعة الراى" مع أنه كان من علماء أهل المدينة.

## تفوقه العلمى و جلوسه للفتيا:

تفوقه العلمى و جلوسه للفتيا: تفوّت مكانه مالک العلمیة على كل أبواب الحلقات فى المسجد النبوی و عرف له الجميع هذه المكانة سواء كانوا من شیوخه السابقین أو من العلماء الذین عاصروه. جلس الإمام مالک للفتيا و كان عمره ٢٥ سنة تقريبا على أصح الروایات و يقول عن نفسه: لم أجلس للفتيا حتى أمرنى بالفتيا قرابة سبعین عالما، و أصبح رأيه فى أية قضية تعرض أو فتواه فيها مقدّما على غيره مما جعل أصحاب الفتيا يتوقفون حتى قيل من غير حرج: (لا يفتى و مالک فى المدينة!)... و مما اشتهر به مالک أنه كان يقول لجاريتہ إذا جاء الناس إلى بابه ليسمعوا العلم أن تسألهم: هل جئتم لسماع الحديث أم ابتغاء المسائل؟ فإن قالوا جئنا للمسائل خرج إليهم و سمع منهم و أفناهم و إن قالوا جئنا لنسمع الحديث قالت الجارية تريثوا قليلا فتدخلهم إلى الدار و يدخل مالک فيغتسل و يلبس أحسن ثيابه و تحديدا البياض من الثياب و يتطيّب ثم يدخل عليهم ليروى حديث رسول الله صلّى الله عليه و سلّم. و كان يبكى إذا قال قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم. عاش مالک فى المدينة المنورة و لم يبارحها (بخلاف كثير من العلماء) إلى أى جهة أخرى ليأخذ العلم من العلماء إذ إن المدينة هى دار هجرة النبى صلّى الله عليه و سلّم و كان العلماء هم الذین يرحلون إليها من جميع أنحاء العالم إما للحج أو الزيارة أو مجالسة علماء المدينة. فكان أطيب الطيب عند مالک ما يفوح و ينتشر من قبر المصطفى صلوات الله و سلامه عليه و أرقّ النسيم ما يهبّ حاملا- ذكريات الماضى و ذكريات الوحى و النبوة و الجهاد و البطولة. و بالرغم من أنه لم يغادر المدينة إلا أنه اطلع على الظروف و البيئات المختلفة بسبب الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٤٩ احتكاكه بالعلماء من جميع أنحاء العالم الذین كانوا إذا قدموا المدينة زاروه و إن لم يزوروه قدم هو إليهم، يلقاهم و يتناقش معهم، لذلك اتسعت آفاقه الفكرية و مداركه الاجتهادية و أقام للمصلحة التى هى محور الشريعة الإسلامية ميزانا دقيقا... و اختار دار الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود سكنا له و كأنه يريد أن يشعر على الدوام بنبضات عصر النبوة تخفق مع خفقات قلبه و تتردد مع أنفاسه و يعيش يومه كله فى عقب كريم و هذا التواصل الوجدانى بين مالک و بين حبيبه المصطفى صلّى الله عليه و سلّم جعله فى عقله و حسه يتخذ من حديث رسول الله صلّى الله عليه و سلّم أساسا و محورا لعلمه و فقهه. كان مالک فى صدر حياته فقيرا و كان والده صانعا، و تفرغ مالک للعلم فأورثه ذلك شيئا من الفقر و لم تكن يومها تنفق الدولة على طلبه العلم (ثم لما كان ذلك ارتاح العلماء و ازدهر العلم كثيرا)، لكنه بعد ذلك استغنى إذ كان له أخ يعمل بالتجارة فكان مالک إذا تجمع له مال يعطيه لأخيه ليتاجر له به ثم فتح الله عليه و استغنى فكان كثير العطاء لطلبة العلم. و كان يحب أن يظهر أثر نعمة الله عز و جل عليه فى ملبسه و فى مطعمه و مسكنه و صار متجملا فى مظهره و كان الذین يغشون داره من الضيوف يجدون فى أطرافها المخدات للاتكاء و الجلوس و يجدون كل أسباب الراحة و النظافة و المظهر الأنيق فى داره و لم يكن هذا عن حب للمال بل كان ينفق معظم ماله فى طرق الخير تماما كأبى حنيفة و الشافعى رضى الله تعالى عنهم أجمعين. و يروى عنه فى الأثر المشهور أنه قال "ما أحب لامرئ أنعم الله عليه أن يرى أثر نعمته عليه و خاصة أهل العلم." و يروى الشافعى أنه فى إحدى زيارته لبيت الإمام مالک رأى على الباب هدايا من خيل و بغال أعجبه فقال لمالک بعد أن دخل عليه: ما أحسن هذه الأفراس و البغال. فرد عليه مالک يقول: هى لك فخذها جميعا. قال الشافعى: أ لا تبقى لك منها دابة تركبها؟ فقال مالک: إنى لأستحى من الله تعالى أن أطأ تربة فيها رسول الله صلّى الله عليه و سلّم بحافر دابة!. إلى هذا الحد من الحساسية المفرطة فى الحب و التقديس بلغ العشق فى قلب مالک للمدينة التى تضم أطهر الأجساد و أعظم خلق الله و أكرم الناس عليه أفضل الصلاة و أزكى السلام.

ورعه و تخوفه من الفتوى: اشتهر عن الإمام مالك كثرة ترداده لكلمة "لا أدري" و ما كان عليه شيء أسهل من هذه الكلمة و لم يكن يشعر أن في هذا منقصة له بل كان إذا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٥٠ سئل عن مسألة قال للسائل أنظرنى حتى أفكر، و ربما يأتيه فى الغد فيجيبه و ربما يقول له أيضا أنظرنى. و يروى أن رجلا جاءه من أقصى المغرب فسأله عن موضوع و قال: جئتكم من مسيرة ستة أشهر من المغرب و حملت هذا السؤال، فقال له مالك: قل لمن أرسلك إنه لا يدري. قال فمن الذى يعلم؟ قال: الذى علمه الله و لم يجبه و لكن قال له إن شئت عد غدا ريثما أفكر بها و أقرأ ما يمكن أن يتصل بها، حتى إذا جاء الغد جاءه الرجل فقال له مالك: فكرت بها مليا و لا أدري ما الجواب! و لقد عوتب مالك فى ذلك فبكى و قال: إنى أخاف أن يكون لى فى المسائل يوم و أى يوم. و قال لهؤلاء المنتقدين: من أحب أن يجيب عن مسألة فليعرض على نفسه الجنة و النار و ليتصور موقفه من الله غدا. فلننظر جميعا إلى هذا الرجل الذى هان عليه أن يظهر جهله و هو العالم الذى يوثق بعلمه أين نحن اليوم من موقفه هذا حيث الواحد منا إذا ما سئل اعتصر دماغه و ذهنه و قد يصل به الأمر إلى أن يلقى جوابا خوفا من أن يقول عنه الناس إنه جاهل!!! و هذا الأمر و للأسف الشديد كثيرا ما يحدث مع علمائنا اليوم الذين يسارعون بالفتوى، الأمر الذى يوضح لنا الفرق بين هذا العصر و ذلك العصر و لعل هذه المقارنة توضح لنا أيضا الفرق بين قرب أولئك الأئمة من رحمة الله تعالى و بعدنا نحن عنها، أضف إلى ذلك كله سمو أهدافهم و مقاصدهم حيث كان همهم الأكبر هو مرضاة الله سبحانه و تعالى نسال الله عز و جل العفو و العافية و أن يرزقنا الإخلاص و أن نحيا محياهم و أن نحشر معهم إن شاء الله تعالى. و جاء فى ترتيب المدارك للقاضى عياض "قال مصعب بن عبد الله: كان مالك إذا ذكر رسول الله صلى الله عليه و سلم تغير لونه و انحنى حتى يصعب ذلك على جلسائه، فليل له يوما فى ذلك، فقال: لو رأيتم لما أنكرتم على ما ترون، كنت أتى محمد بن المنكدر و كان سيد القراء (أى سيد العلماء) لا- نكاد نسأله عن حديث إلا بكى حتى نرحمه. و لقد كنت أتى جعفر بن محمد (أى جعفر الصادق) و كان كثير المزاح و التبسم، فإذا ذكر عنده النبى صلى الله عليه و سلم اخضرّ و اصفرّ و كنت كلما أجد فى قلبى قسوة أتى محمد بن المنكدر فأنظر إليه نظرة فأتعظ بنفسى أياما.

### الأجواء التى كانت سائدة فى عصره و علاقته بالخلفاء:

الأجواء التى كانت سائدة فى عصره و علاقته بالخلفاء: عاش مالك فى الخلافة الأموية و العباسية فى عصر تسوده الفتن و كان موقفه كموقف الحسن البصرى و سعيد بن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٥١ المسيب الذين كانا قبله و هو موقف استنكار الفتن و الدعوة إلى الابتعاد عنها و كان إذا سئل عن تلك الفتن نصح بالابتعاد عنها و بعدم الولوج فيها. و قد صح أن الحسن البصرى كان ينهى عن الدعاء على أمثال الحجاج و غيره و كان ينهى عن مد اللسان فى قول السوء فى حقهم على الرغم من أنه لو شققنا صدر الحسن البصرى لرأيناه يستنكر الكثير من أعمالهم. و قد سمع مرة الحسن البصرى رجلا يسب الحجاج فقال له: لا تفعل يرحمك الله إنكم من أنفسكم أو تيتيم، إننا نخاف إن عزل الحجاج أو مات أن تليكم القردة و الخنازير. و روى البصرى عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قوله المشهور "عمّالكم عملكم و كما تكونوا يولّى عليكم"، عمالكم أى رؤساؤكم هم أعمالكم أى انعكاس لأعمالكم... و كان الإمام مالك ممن يغشى مجالس الخلفاء و لم يكن يتعد عنها و ذلك للنصح و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الوصية بالخير فما كان يوفر جهدا ليوصى الخليفة أو ينصحه عند ما تسنح الفرصة و قد عوتب فى ذلك فقال: لو لا أنى أتيتهم ما رأيت للنبي صلى الله عليه و سلم فى هذه المدينة سنة معمول بها، فكان إذا أتاهم نصحهم لكى يحيوا سنة النبى صلى الله عليه و سلم و خاصة فى المدينة المنورة و كانوا يستجيبون لنصيحته. لكنه كان إلى جانب ذلك يحترم نفسه فى مجالس الخليفة و الولاة و كان يفرض سلطانه عليهم. و كان إلى جانب كونه مهابا كان يحافظ على عزة نفسه فى هذه المجالس على خلاف عاداته فى المساجد حيث كان إذا دخل المسجد يقف فى آخر الصف و لا يأبى أن يتقدم و إن أصرّوا على تقديمه و يجلس حيث ينتهى به المجلس و كان كثير التواضع و



لكن إذا غشى مجلس الخلفاء أو الولاة فرض عزته على المجلس كله. جاء المهدي مرة إلى المدينة واجتمع إليه الناس والعلماء وذهب مالك ليزوره فلما وصل وجد المجلس مزدحما والتفت الناس ينظرون أين سيجلس مالك يا ترى وما سيكون موقفه. فقال الإمام مالك للمهدي: يا أمير المؤمنين أين يجلس شيخك مالك؟ فتضام المهدي وصغر من جلسته وقال: ها هنا يا أبا عبد الله إلى جانبي، فوسع له ودخل مالك وتعالى ودينه أن يهان في شخصه، الإمام مالك كان سمته سمه علم وإسلام وسمه المحافظة على الشرع لذا ينبغي لهذه السممة أن تكون هي المهيمنة وأن تكون هي العزيزة في كل مكان، فالله تبارك وتعالى بالقدر الذي نهانا عن الكبر أمرنا أن نعتز بالإسلام والقدر الذي أمرنا بالتواضع نهانا في الوقت نفسه عن الذل وجاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: الإقتصاد والإجتماع، ص: ١٥٢ (اللهم إني أعوذ بك من الذل إلا-إليك)، وأي إنسان صاحب ذوق دقيق يستطيع أن يفرق بين التواضع والذل المرفوض... ولما زار الرشيد المدينة وأراد لقاء مالك وكان قد سمع عن علمه الكثير، طلب أن يأتيه حيث نزل فقال مالك لرسول الخليفة: قل له إن طالب العلم يسعى إليه والعلم لا يسعى إلى أحد! فجاءه الخليفة زائرا معتذرا... ولقد روى الإمام مالك ذات مرة حديث "ليس على مستكره يمين" وشرحه لتلامذته في المسجد وراح يبين للناس أن من طلق امرأته مكرها لا يقع منه طلاق... ولقد كان لهذا الحديث أثر كبير وحافر قوى لثورة أحد أحفاد الحسين بن علي وهو النفس الزكية على السلطنة العباسية وكان الخليفة وقتها المنصور. كان محمد يرى بأن أبا جعفر قد أخذ البيعة لنفسه غضبا وإكراها فليس له في رقاب الناس يمين ولا عهد، وكان محمد يستند إلى فتوى مالك في أنه ليس على مستكره يمين. أحس والي المدينة بخطورة الموقف فأرسل إلى مالك أن يكف عن الكلام في هذا الحديث وأن يكتمه على الناس. أبي مالك أن يكتم الحديث أو أن يتراجع عن فتواه فضرب أسواط على مرأى الناس وجذب جذبا غليظا من يديه وجز منها حتى انخلع أحد كتفيه وحمل إلى داره وهو بين الحياة والموت والأرموه الإقامة في الدار إقامة جبرية في عزلة وحبس. فزع الناس في المدينة والتجئوا إلى الله تعالى يشكون الظلم والظالمين واشتد سخطهم على الوالي وعلى الخليفة وغضب العلماء والفقهاء في كل الأمصار والأقطار. ورأى المنصور أنه لا بد من تصرف يمتص غضب الناس يزيح التهمة عن نفسه فأمر والي المدينة بإطلاق مالك ثم جاء المنصور بنفسه إلى الحجاز في موسم الحج والتقى بالإمام مالك واعتذر إليه وقال: أنا ما أمرت بالذي كان ولا علمته وإنه لا يزال أهل الحرمين بخير ما كنت بين أظهرهم. وأمر بإحضار الوالي مهانا وبضربه وحبسه إلا أن مالكا عفا عنه.

### علم الإمام مالك وأقوال بعض العلماء فيه:

علم الإمام مالك وأقوال بعض العلماء فيه: أجمع المؤرخون والمترجمون أن الإمام مالك بلغ الذروة في معرفة السنة والحديث والفقهاء وقلما نال عالم مثلما نال مالك من المدح وأقر له علماء الرأي في العراق وعلماء الحديث في الحجاز بأنه إمام في كل منهما (أي الحديث والفقهاء). قال عنه سفيان بن عيينة وكان معاصرا له: كان لا يبلغ من الحديث إلا صحيحا ولا يحدث إلا عن ثقة للناس ما أدرى المدينة إلا ستخرب بعد موت مالك... قال عنه الشافعي: إذا جاءك الأثر عن مالك فشد به (أي تمسك به) وهو الإقتصاد والإجتماع، ص: ١٥٣ صحيح. ويقول إذا ذكر العلماء فمالك هو النجم فيهم.

### أهم مؤلفاته: الموطأ:

أهم مؤلفاته: الموطأ: طلب المنصور من مالك أن يضع كتابا يتضمن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضية الصحابة وفتاوى ليكون قانونا تطبقه الدولة في كل أقطارها وديارها. تردد مالك ثم ألح عليه المنصور فقبل. وراح مالك يعمل عملا متقنا جدا

خلال سنين عدة راح خلالها طائفة من العلماء يعملون و يحاولون أن ينافسوا مالكا طمعا في كسب رضا الخليفة. و كان أصحاب مالكا يأتونه و يقولون له بأن تأخره في الإنجاز قد أتاح للآخرين أن يسبقوه فقال مالكا: "لا يرتفع إلا ما أريد به وجه الله تعالى،" و لقد كتب كثير من معاصريه كتبا كالموطأ و قدمت إلى الخليفة، و كلما سئل مالكا أن يستعجل كتابه فقد سبقه الناس كان يقول: "ما كان لله يبقى،" حقيقة هكذا كان. و ظل الإمام مالكا عاكفا على عمله الضخم سنوات توفى خلالها المنصور حتى كان تمام العمل في زمن هارون الرشيد الذي تقبله بقبول حسن و تقدير عظيم و أراد أن يعلق الموطأ في الكعبة و لكن مالكا أبى ذلك. و يعتبر اليوم كتاب الموطأ من أهم كتب السنة و يكاد لا تخلو منه مكتبة إسلامية، أما تلك الكتب التي كتبها منافسوه فلم يبق لها أثر و كما يقول العلماء لو لا هذه الحادثة مع الإمام مالكا لما علمنا أصلا أنه ألّف هكذا كتب، فتأمل يرحمنا الله و إياك و لتتظن من هذا و لتتقن إن كل عمل لا يبتغى به وجه الله تعالى لا يبقى، كَلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ، [القصص: ٨٨]، قيل في تفسير هذه الآية، كل شيء هالك إلا ما أبتغى به وجه الله تعالى.

### منهجه العلمي:

منهجه العلمي: الإمام مالكا شأنه كشأن الإمام أبي حنيفة لم يدون منهجا و لكن هذه القواعد أخذت و جمعت من خلال عباراته في كتبه و في مقدمة ذلك الموطأ فمن خلال كلامه نجد أنه يأخذ بالحديث المرسل و هو الحديث الذي رواه التابعي رأسا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم إن كان هذا التابعي ثقة.

### أصوله الاجتهادية:

أصوله الاجتهادية: أولا: إذا وجد في القرآن نصا بعبارة صريحة قاطعة واضحة على مبدأ أو حكم ثم وجد حديثا مرويا عن طريق الآحاد يعارض هذا الخبر فإن مالكا يأخذ بصريح القرآن و يدع الآحاد... قال مالكا و هو يفسر قوله تعالى: قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٥٤ طاعِمٌ يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِعَٰبِئِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥)، (الأنعام: ١٤٥).. هذا نص صريح و واضح بعدم تحريم غير ما ذكر. و في المقابل روى في خبر الآحاد الصحيح: عن رسول الله صلى الله عليه و سلم يرويه أبو داود أن رسول الله صلى الله عليه و سلم نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع و كل ذي مخلب من الطيور. فرجح مالكا النص على الآحاد فيجوز عنده أكل كل ذي ناب من السباع و ذي مخلب من الطيور و إن كان جمهور الفقهاء على الحرمة. ملاحظة: الإمام مالكا كغيره من العلماء يأخذ بالحديث الآحاد إن كان صحيحا و هو عنده حجة و لكن إذا تعارض مع نص من كتاب الله تعالى أو مع حديث متواتر و لم يمكن الجمع بينهما، قدم النص من كتاب الله عز و جل أو الحديث المتواتر و لم يجعل حديث الآحاد يخصص النص القرآني أو الحديث المتواتر كما فعل غيره من الفقهاء كالشافعي مثلا. ثانيا: مالكا يعيش في المدينة و بصمات رسول الله صلى الله عليه و سلم واضحة في هذه البلاد فعادات أهل المدينة و ما يتفق عليه علماء أهل المدينة في عصره و العصر الذي قبله كلها من مخلفات النبوة لأن العهد ما بعد بينه و بين رسول الله صلى الله عليه و سلم، بناء على ذلك إذا وجد حديث آحاد مرويا عن رسول الله صلى الله عليه و سلم بالسند و وجد عمل أهل المدينة على خلاف ذلك الحديث يرجح مالكا عمل أهل المدينة على ذلك الحديث، لأنه يرفض الحديث و لكن لأنه يعتقد أن ما أجمع عليه علماء المدينة ما أخذوه من عند أنفسهم و إنما هي وراثته و رثوها عن رسول الله صلى الله عليه و سلم. يقول الإمام مالكا في رسالة لثيب بن سعد: إن أهل المدينة هم من الذين قال الله تعالى عنهم: وَ السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مَنْ

المُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ، [التوبة: ١٠٠]، و أوضح الله تعالى أن هؤلاء السابقون من المهاجرين و الأنصار الذين استقر بهم المقام في المدينة المنورة ينبغي أن يتبعوا و أن نهتدى بهديهم. "مثال ذلك، الحديث الصحيح الآتي "المتبايعان بالخيار ما لم يتفرقا. "الشافعي عنده التفرق هو تفرق الأبدان و عند الحنفية هو تفرق موضوع الكلام و لكن مالك يقول عمل أهل المدينة على خلاف هذا، فعلماء المدينة السبعة و عامة الناس يقولون إن العقد إذا تم بالإيجاب و القبول كان العقد لازما. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٥٥ مثال آخر، الحديث المشهور "البينة على المدعى و اليمين على من أنكر. "قال مالك نأخذ بهذا الحديث و لكن يخصه و يفسره عمل أهل المدينة و هو أن هذا الحديث يطبق بشرط أن ينظر القاضي فيجد أن بين المدعى و المدعى عليه علاقة ما إما جوار أو قرابة أو شركة ... فإن لم يجد القاضي مثل هذه الصلة فله أن لا يسمع الدعوى و ذلك لكي لا يتلاعب السفهاء بالوجهاء فيأخذوا منهم أموالهم خشية تشويه سمعتهم، مثال ذلك أن يدعى سفيه على أحد الوجهاء دعوى باطلة، فلو أخذ بها القاضي لاضطر ذلك الوجه إلى الذهاب إلى القاضي و عندها قد يدفع الوجه شيئا من المال للسفيه الذي ادعى عليه تلك الدعوى الباطلة و ذلك لكي لا تشوه سمعته بالامتنال بين يدى القاضي. ثالثا: إذا ثبت قانون شرعى و قاعدة شرعية عامة مثل "وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى، يقول الإمام مالك: إذا وجدنا بين هذه القاعدة الضخمة الكبيرة و بين جزئيات الأدلة تناقضا، نأخذ بالقاعدة و نترك هذه الجزئيات. مثال ذلك: الحديث الصحيح عن عائشة رضی الله عنها "إِنَّ الْمَيِّتَ لِيَعَذَّبُ بِكِبَائِهِ أَهْلَهُ عَلَيْهِ. "قال مالك هذا يتناقض مع القاعدة التي مرّت معنا سابقا (و لا تزر وازرة وزر أخرى)، و بناء على ذلك فلا ذنب للميت إن بكى أهله عليه فلم يأخذ بالحديث. و لكن الشافعي مثلا و هو تلميذ مالك أخذ بالحديث و قال إن عذاب الميت في قبره هنا هو عذاب نفسى و ليس عقابا من الله عز و جل و إنما هو عقاب خاص يأتي نتيجة لتصرفات أهله، فهو يتألم من فعل أولاده و يتمنى لهم الصلاح لأن الله تعالى يطلعه على أفعالهم التي قد لا تخلو من معاصى و أمور مختلفة تكون سببا لغضب الله تعالى عليهم. مثال آخر: الإمام مالك وحده يفتى بعدم نجاسة لعاب الكلب و كذا رشحه و لكن الحديث الصحيح يقول "إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليرقه و ليغسله سبعا إحداهن بالتراب. "قال مالك من المتفق عليه أنه يجوز استعمال الكلب فى الصيد و الكلب إذا اصطاد لا بد أن يمسك الطريدة بفمه و يصيبه من لعابه لذلك أخذ بالقاعدة العامة التي تفيد جواز صيد الكلب، ثم قال عن هذا الحديث انه مضطرب و هذا دليل ضعف فقد ورد الحديث بعده روايات (أولهن - أخراهن - إحداهن بالتراب). رابعا: الأخذ بالاستحسان و هو عبارة عن جزئية صغيرة اقتضتها مصلحة دينية ثابتة فى كتاب الله و إن عارضت هذه الجزئية مبدأ کلیا و يؤخذ به استثناء. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٥٦ مثال ذلك قاعدة أن الأخ الميت إذا مات و ترك أبا شقيقا أى لأب و أم هذا يسمى عصبه و يأخذ كل ما تبقى من المال مثلا إذا كان الميت ليس له إلا أخ يأخذ كل الأموال و إذا مات و ليس له إلا أخ أو أخ شقيق، الأم تأخذ السدس و الأخ أو الأخوة الأشقاء يأخذون الباقي. إن مات رجل و ترك زوجا و أما و إخوة لأم و أبا شقيقا، الزوج يأخذ النصف و الأم تأخذ السدس و الأخوة لأم يأخذون من الثلث لم يبق للأخ الشقيق شىء إن طبقتنا هذه القاعدة. هنا الإمام مالك و غيره عادوا فوجدوا أن الأمر قد رفع إلى سيدنا عمر رضی الله عنه فحكم أنه ليس للأخوة الأشقاء شىء فقال الأخوة الأشقاء هب أننا إخوة لأم فقط ألا يكون لنا؟ قال: نعم، ثم جعل الإخوة للأم و الأخ الشقيق يشتركون معا فى الباقي. القاعدة على خلاف ذلك و لكن هذه الجزئية هى لمصلحة الشريعة لأن الشريعة تقتضى هذا الاستثناء. فائدة: الحقيقة أنه ليس بين الأئمة خلاف فى الأصول الشرعية فإنهم متفقون على حوالى سبعين بالمائة منها و إنما هناك خلاف فى العناوين يتعلق بالفروع الجزئية و يشكل حوالى ثلاثين بالمائة فقط و ذلك رحمة بالأمه و توسيعا عليها، فالحمد لله أولا و آخرا الذى وفقهم أن يجتمعوا على ما اجتمعوا عليه فإن اجتماعهم هذا خير للأمة و الحمد لله الذى ألهمهم أن يختلفوا فيما اختلفوا فيه فإن اختلافهم أيضا رحمة للأمة. خامسا: مبدأ سد الذرائع: و هذا المبدأ مأخوذ من قوله تعالى: وَ لَا تَسْئَلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْئَلُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)، (الأنعام: ١٠٨) "وَلَا تَسْئَلُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْئَلُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ، "الأئمة كلهم يأخذون بهذا المبدأ و لكنهم يختلفون بالمقدار الذى ينبغي أن يأخذوا به، مثال ذلك سب

المؤمن لدين كافر أو لمن يتخذها إلها بزعمه أصله مباح و لكن إذا كان هذا العمل المباح ينتج عنه عمل محرّم فيسب الكافر الله تعالى عندها يصبح هذا العمل المباح في أصله محرما لا لذاته و لكن لما قد ينتج عنه و هذا ما يسمّى بمبدأ سد الذرائع. و مثال ذلك أيضا، إطالة السهر مباح أيضا و لكن إن كان هذا سيمنعك عن أن تستيقظ لصلاة الصبح تحوّل المباح إلى محرّم و هذا باتفاق الأئمة. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٥٧ مثال آخر، بيع السلاح في أصله مباح و لكن إذا علمت أنّ هذا يأخذ منك سلاحا يؤذى به الآخرين أو كان وقت الفتنة فلا يجوز. سادسا: المصالح المرسله: رائدها في الشريعة الإمام مالك. جاءت الشريعة لتحقيق خمسة أنواع من المصالح و هي على هذا الترتيب: الدين، الحياة، العقل، النسل أو العرض و المال. كل الأئمة الأربعة أخذوا بها. المصالح المرسله هي أن يرى العالم الفقيه أمامه مصلحة حديثه العهد طارئة، لم تكن موجودة من قبل تقتضى حكما شرعيا و لكن هذا الفقيه لا يجد عليه (أى على الحكم الشرعى) دليلا- من القرآن أو السنّة و لا- يجد دليلا على حكم يشبهه للقياس لا سلبا و لا إيجابا، فما العمل؟ يقول مالك: أنا أعود بهذه المسألة في الحكم إلى جنس هذه المصلحة التي يحققها الحكم، نظر هل هي واحدة من هذه المصالح الخمس التي جاءت الشريعة بحمايتها و رعايتها؟ فإن كانت واحدة من هذه المصالح و كان الأخذ بها لا يفوّت مصلحة أهمّ منها يقول مالك أنا أجتهد على وفق هذه المصلحة. و هذا باب عظيم في الاجتهاد و سنورد في ما يلي بعض الأمثلة و النماذج لتوضيح الصورة: ١- منع عمر بن عبد العزيز الناس أن يشتروا أراض في منى و أن يبنوا عليها بيوتا لهم لأن ذلك سيضيق على الحجّاج مع أنه لا يوجد نص في ذلك و لكن من باب المصالح المرسله أصدر عمر بن عبد العزيز أمره هذا (و هو ما يسميه الحنفية مقاصد الشريعة). ٢- قال الإمام مالك لو أنّ صبيانا يلعبون و يتشاجرون و يمزّق أحدهم ثوب الآخر أو يتلف متاعا (يكسر زجاج منزل أو سيارة مثلا) فالوالد (أى أبو الولد الذي سبب الضرر) يضمن (أى يدفع تعويضا عن الضرر الحاصل) و إن لم يكن الولد بالغا. و لكن هنا الشهود كلهم أولاد و القاعدة أنّ الشهادة لا تصحّ إلا من بالغ كبير. ما ذا نعمل إذا تركنا القضية هكذا؟ طبعا ستقع مفاصد كثيرة. المصلحة المرسله هنا التي تتوخاها الشريعة هي أن نقبل شهادة الصبيان بعضهم على بعض في أمور إجرائية من هذا القبيل. ٣- تدوين قواعد اللغة العربية و المجامع الفقهية و المؤتمرات كلها أشياء حسنة تخدم مصلحة الدين ... سابعاً: العرف: إنّ العرف في الشرع له اعتبار فيما لم يرد فيه نص أو كان الأمر غامضا، و الأئمة كلهم متفقون على ذلك. يقسم مالك العرف إلى قسمين: عرف قولى عرف فعلى أو سلوكى (فقط في العقود). الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٥٨ مثال على العرف القولى: كلمة اللحم، فلو أنّ رجلا- أقسم أن لا- يأكل لحما، نظر ما ذا تعنى كلمة اللحم في عرفهم أحيانا تطلق و يقصد بها لحم الضأن (الخروف) و فى بعض الأعراف تطلق و يقصد بها لحم البقر و فى بعض الأعراف يقصد بها لحم السمك. فإذا يقع القسم على ما هو معروف عندهم إلا إن قصد كل اللحم ساعتئذ تكون النية مقدّمة على دلالة العرف. مثال آخر على العرف القولى: لو نذر فلان أن يتصدّق بكل ما فى جيبه من دراهم و كانت الدراهم فى عرفهم تطلق على عملة البلاد فلا يجب عليه أن ينفق من العملات الأخرى إن وجدت فى جيبه إلا إن نوى غير ذلك. أما العرف السلوكى فهو مثلا أن يعقد فلان على فلانة دون أن يتفقا على موعد لدفع المهر و كان العرف أن يدفع قبل الدخول ساعتئذ يكون هذا هو الحكم. و لو اشترى أحدهم سيارة مثلا- و لم يشترط أن تكون مكيفة و البائع لم يشترط ذلك فاختلف المشتري و البائع، نظر إن كان العرف أن تكون غير مكيفة كما فى بلادنا فالحق مع البائع أما إن كان العرف أن تكون مكيفة كما فى بلاد الخليج فيكون الحق مع المشتري.

### قاعدة: المعروف عرفا كالمشروط شرطا

قاعدة: المعروف عرفا كالمشروط شرطا يقول الإمام مالك إن النصوص القرآنية و نصوص السنّة إنما تفسّر على ضوء العرف القولى فى عصر النبى صلّى الله عليه و سلّم، و هكذا فالعرف القولى مفتاح هام و خطير جدا لفهم النصوص. و نضرب على ذلك مثلا ما جاء فى الصحيح أن رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال: إن زكاة الفطر هي صاع من غالب قوت البلد. كلمة صاع عبارة عن مكيال معيّن

هذا المكياج يتغير من بلد إلى بلد و من عصر إلى عصر، فالصّاع في العراق كان غير الصّاع في مصر غير الصّاع في المدينة ... فإذا نحن نفسر ذلك بما كان معروفاً عند ما قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم هذا الحديث في المدينة. مثال آخر كلمة النبيذ كانت تعني أو يقصد منها شراب مكوّن من الماء و التمر و لا يقصد بها النبيذ المسكر المعروف في عصرنا و قد شرب رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم النبيذ و هذا كان سبب الإشكال الذي وقع فيه الكثير من المستشرقين عند ما قرءوا كتب التاريخ فوجدوا أن هارون الرشيد كان يشرب النبيذ و ظنوه من السكرى. قال رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم: "إنّ من أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة المصوّرون،" و في الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٥٩ حديث آخر "كَلَّفَ أَنْ يَنْفَخَ فِيهِ الرُّوحَ وَ مَا هُوَ بِنَافِخٍ،" هنا نفس المصوّر حسب العرف الدارج في زمن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و بهذا لا يشمل الحديث الصور الفوتوغرافية و المرايا و انعكاس الضوء فيكون حكم هذه الأشياء الجواز علماً أن الإنسان له أن يتعد عن هذه الأمور من باب الورع و لكن هذا لا ينفي جوازها و عدم حرمتها فالورع أمر و الجواز أمر آخر. و بالطبع فالشيء المصوّر له حكم آخر إن كان صوراً لفتيات عاريات لا خلاف في أنه حرام قطعاً. أما الدليل الشرعي للأخذ بالعرف أن الله تعالى أمرنا بكثير من الآيات أن نحتكم إلى العرف بقوله تعالى: وَ أُمْرٌ بِالْعُرْفِ وَ أَعْرَضَ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)، أى اجعل العرف أساساً ... قالت هند زوجة أبي سفيان يوم فتح مكة و كانت تباع رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم على أن لا تسرق و لا تزني، قالت له: لقد كنت آخذ من مال أبي سفيان الهنة تلو الهنة (أى الشيء القليل دون علمه)، ما ذا أصنع؟ فقال لها رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم عن المستقبل: "خذى ما يكفيك و أولادك بالمعروف." مثال آخر: قال الله تعالى \* وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ، قال الإمام مالك إن كانت المرأة من الأغنياء أو كانت شريفة (العادة عندهم أن النساء الأغنياء لا يرضعن) ساعتئذ لا يجب عليها الإرضاع و لكن هو حق لها، أما إن كانت غير ذلك فهو واجب عليها، لأن ذلك لم يأت بصيغة الأمر الجازم كقوله تعالى: وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ، [البقرة: ٢٣٣].

### قاعدة: إن النص يهيمن على العرف و لا يهيمن العرف على النص.

قاعدة: إن النص يهيمن على العرف و لا يهيمن العرف على النص. و نأخذ بالعرف فقط في الأمور التي علّقها النص على العرف، أما ما ورد فيه نص فلا يغيّر العرف حتى لو ترك أهل بلد ما جميعاً العمل بحكم شرعي، يبقى الحكم الشرعي كما هو. فلا نقول إن العرف السائد اليوم هو عدم ارتداء الحجاب مثلاً خلافاً للعرف قديماً و أن الزمن قد تغير، فلو كان الأمر هكذا ما كان للشرعية الإسلامية معنى إذا كنا دائماً نحتكم إلى العرف فقط دون النص.

### أسباب انتشار مذهب الإمام مالك:

أسباب انتشار مذهب الإمام مالك: شاع مذهب الإمام مالك في المغرب كثيراً مع أن مالكا لم يترك المدينة و ذلك لأن المدينة كانت تستقطب أناساً و علماء كثر أيام الحج و في غير أيام الحج ... و من الأسباب التي ساهمت على انتشار مذهب الإمام مالك دون الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٦٠ سواه كمذهب الأوزاعي أو سفيان الثوري، تقييض الله سبحانه و تعالى لمالك تلاميذ كثر من مختلف الأصقاع فمن مصر كان الليث بن سعد و من المغرب و من العراق و من الشام و من اليمن، كلهم تتلمذوا على الإمام مالك و هم الذين قاموا بنشر مذهبه حتى وصلنا بالتواتر بحيث يستطيع الإنسان أن يجزم أنه عند ما يقرأ الموطأ أو المدونة برواية سحنون أو غيره من تلامذة مالك يستطيع أن يجزم أنه يتبع إماماً راسخاً في العلم يبرأ ذمته عند الله باتباعه و الحمد لله. و هكذا انتشر مذهبه في المغرب و في مصر و في صعيد مصر و في اليمن و في أنحاء مختلفة متفرقة حتى أن فرنسا حين استعمرت أقسام كثيرة من المغرب

مدة طويلة، أطلع علماء القانون الفرنسيون على الفقه الإسلامي لا سيما مذهب الإمام مالك فأعجبوا به أيما إعجاب، لذلك نرى أن القانون الفرنسي اليوم يعتمد اعتمادا كبيرا على فقه مالك. و بواسطة هذه النافذة انتشر الفقه الإسلامي في فرنسا و أطلع عليه كثير من المستشرقين في أوروبا الذين بدءوا يتحركون لصدّ و محاربة هذا الغزو الإسلامي و ذلك بزرع الشكوك و الشبهات ليعبدوا الناس عن الإسلام، فادعوا قائلين: هؤلاء العرب أصحاب الأدمغة القانونية مثل مالك و أبو حنيفة جاءوا إلى الأعراف القبليّة عند العرب فدوّنوها و جمعوها و نظّموها و فكروا بطريقة يخلدون هذه الأحكام بها و وجدوا أنّ الطريقة هي أن يتدعوا لها إطارا دينيا فاخترعوا لها الأدلة من الأحاديث و النصوص القرآنية لكي يرسخوا بهذه الأدلة الأعراف العربيّة و القبليّة التي كانت سائدة منذ العصر الجاهلي!!!. أ يعقل هذا الكلام؟ الإمام مالك الذي رحل إليه الناس و قال لا أدري و الذي كان لا يحدث حتى يغتسل و يلبس البياض من الثياب و يبكي عند ما يذكر حديث رسول الله صلى الله عليه و سلّم و الذي لم يطأ المدينة بحافر دابة قط أدبا مع النبي صلى الله عليه و سلّم، أ يعقل بعد كل هذا أن يقال عنه ما قيل؟. فهذا شاخت، و هو أحد المستشرقين أعداء الإسلام يقول إنّ مالكا اخترع الحديث! فكل واحد يقيس الناس على نفسه: الدجالون أمثال كريم و شاخت و غيرهم يجلسون في ما بينهم فيختلقون الأكاذيب ثم يظهرونها على أنها حقائق و يظنون أن غيرهم يفعل الشيء نفسه. يقول الدكتور أمين المصري رحمه الله و هو أحد علماء الشام إنه عند ما ذهب إلى أوروبا لنيل شهادة الدكتوراة في الشريعة الإسلامية- هكذا حظنا أن ندرس الشريعة الإسلامية في أوروبا؟!-، فكّر في موضوع لأطروحته، فوجد كتاب شاخت عن الفقه الإسلامي من أهم الكتب في أوروبا (و كتاب شاخت هذا يعتمد و يؤكد هذه النظرية الباطلة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٦١ التي أشرنا إليها عن اختراع مالك للحديث)، فقرر أن تكون أطروحته دراسة هذا الكتاب. فجاءت دراسته موضحة بما لا مزيد عليه اللبس الحاصل كاشفة أكاذيبهم دافعة لكل أباطيلهم و افتراءاتهم بحيث يتبين القارئ المنصف حقد أولئك المستشرقين و تعنتهم الذي أخرجه عن المنهج العلمي في البحث و دفعهم لاختلاق الأكاذيب ... هذا ما دفع إدارة الجامعة إلى رفض أطروحته و ألزمته بالتحول عن هذا الموضوع، فلما أبى لم يستطع أن يحصل على شهادة الأستاذية و اضطر أن يأخذ شهادة في علم النفس و علم التربية و أن يترك دراسة الشريعة الإسلامية في الغرب. وفاته: توفى الإمام مالك في أوائل عام ١٧٩ هـ عن ٨٧ سنة في الأرض التي لم يفارقها قط إلا للحج حبا و شوقا للنبي صلى الله عليه و سلّم. و قد بقي مفتيا للمدينة مدة ستين سنة. و كان من أبلغ الناس حزنا عليه و أشدهم بكاء تلميذه النجيب و وارث الإمامة من بعده محمد بن إدريس الشافعي. و لقد دفن مالك رضى الله عنه في البقيع. و كان الإمام مالك قد ترك حضور الجنائزات في آخر حياته و كان يأتي أصحابها فيعزيهم ثم ترك ذلك كله و لم يشهد الصلوات في المسجد و لا الجمعة أيضا، فعوتب في ذلك فقال: ليس كل الناس يقدر أن يتكلم بعذره. و علم بعد ذلك أنه كان قد أصيب بسلس البول و كان يخشى أن يتجسس مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلّم، و قال و هو يودّع الدنيا: لو لا أني في آخر يوم من الدنيا و أوله من الآخرة ما أخبرتكم، سلس بولي، فكرهت أن آتي مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلّم على غير طهارة استخفافا برسول الله صلى الله عليه و سلّم و كرهت أن أذكر عنتي فأشكو ربي!!!.

### من أقواله:

من أقواله: - كلما كان رجل صادق لا يكذب في حديثه (أى مطلق حديث) إلا متّع بعقله و لم يصبه مع الهرم آفة و لا خرف. - من لم يكن فيه خير لنفسه لم يكن فيه خير لغيره. انتهينا من الحديث عن الإمام مالك و فقهه و السبب الذي جعل مذهبه ينتشر و يترسخ في كثير من أنحاء العالم الغربي و الإسلامي و عرفنا كيف أنّ اجتهاد الإمام مالك زاد في التقريب بين مذهبي أهل الحديث في الحجاز و أهل الرأى في العراق. و عرفنا لما ذا نمت مدرسة الحديث في الحجاز و لما ذا نمت مدرسة الحديث في العراق. تكلمنا أيضا عن دور الإمام أبي حنيفة و الإمام مالك في نسج شجون الصلّة بين هذين المذهبين في الشكل الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٦٢

الذى ذكرناه و انتهينا إليه. و الآن ننتقل إلى الكلام عن الإمام الشافعى رحمه الله تعالى.

### ٣- ترجمة الإمام الشافعى رضى الله عنه:

#### بشارة النبى صلى الله عليه و سلم به:

بشارة النبى صلى الله عليه و سلم به: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم عن على و ابن عباس "اللهم اهد قريشا فإن العالم منهم يسع طباق الأرض فى آخرين،" رواه أحمد و الترمذى و قال حسن ... و قال صلى الله عليه و سلم "لا تسبوا قريشا فإن عالمها يملأ الأرض علما،" قال ابن حجر الهيثمى حديث حسن له طرق عديدة.

#### اسمه و نسبه و تاريخ ميلاده:

اسمه و نسبه و تاريخ ميلاده: هو محمد بن إدريس الشافعى، ولد بالاتفاق عام ١٥٠ هجرية أى فى العام الذى توفى فيه أبو حنيفة و قد غالى البعض فقال فى اليوم نفسه الذى مات فيه أبو حنيفة. و الصحيح الذى ذهب إليه الجمهور أنه ولد فى غزة فى فلسطين، والده قرشى و يلتقى نسبه مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فى عبد مناف جده صلى الله عليه و سلم. أما أمه فمن قبيلة أخرى، من قبيلة الأسد و هى قبيلة عريية أصيلة و لكنها ليست قرشية. ولد الشافعى فى أسرة فقيرة جدا، و بعد ولادته بعامين توفى أبوه فقررت أمه العودة بابنها محمد إلى مكة لأنه قرشى حتى لا يضيع نسبه و لأن له سهم من ذوى القربى. و لكن هذا المال الذى كانت تأخذه من سهم ذوى القربى كان قليلا و قليلا جدا، فعانت هى و وليدها محمد حرمانا و فقرا. و لكن الأم كانت قوية الشخصية راسخة الإيمان، على جانب من العلم و الحفظ، فأرادت لولدها أن يتعلم و يحفظ فدفعت به إلى مكان فى مكة يقرئ الصبيان. و لكن الأم لم تجد أجر المعلم، فكان الشيخ المقرئ يهمل و يقصر فى تعليم الصبى المتعطش إلى العلم و المعرفة و لكن كان المعلم إذا علم صبيا شيئا، تلقف الشافعى ذلك الكلام ثم إذا قام المعلم من مكانه ليقضى شأنه أخذ محمد مكانه و راح يعلم الصبيان تلك الأشياء. و رآه المعلم يفعل ذلك، فارتاحت نفسه و نظر إلى أن الشافعى يكفيه من أمر الصبيان أكثر من الأجرة التى يطمع بها منه فترك طلب الأجرة و استمرت هذه الحال مع الشافعى حتى حفظ القرآن و هو دون العاشرة من عمره و منهم من قال و هو ابن سبع سنين. عرف الشافعى بشجو صوته فى القراءة. قال ابن نصر: كنا إذا أردنا أن نبكى قال بعضنا لبعض: قوموا إلى هذا الفتى المطلبى يقرأ القرآن، فإذا أتيناه (يصلى فى الحرم) استفتح القرآن حتى يتساقط الناس و يكثر عجبهم بالبكاء من حسن صوته فإذا رأى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٦٣ ذلك أمسك من القراءة.

#### تحصيله و طلبه للعلم:

تحصيله و طلبه للعلم: كانت أمه قد وجهته لإتقان القراءة و التلاوة و التفسير على شيوخ المسجد الحرام و لم يكد يبلغ الثالثة عشرة من عمره حتى أتقن ذلك إتقانا جيدا ملفتا للنظر. ثم اتجه الشافعى إلى علم الحديث فلزم حلقة سفیان بن عيينة و مسلم بن خالد الزنجى فى المسجد الحرام. و كان الورق غالى الثمن باهظ التكاليف و الشافعى و أمه فى قلة و فقر فكيف يفعل فى التدوين؟ يروى أنه كان يلتقط العظام العريضة فيكتب عليها أو يذهب إلى الديوان فيجمع الأوراق المهملة التى يلقى بها فيستوهبها و يكتب على ظهرها. هذه

المعانة وفقته إلى أن يعتمد على الحفظ فتكونت لديه حافظه قوية ساعدته مستقبلا على حفظ كل ما يسمع و ما يلقي إليه من علم و معرفة. و بذكائه و ملاحظته أدرك الشافعي أن لغة قريش قد دخلتها ألفاظ غريبة و لم يعد لسانها هو اللسان العربي السليم في فصاحته و بيانه، و علم أنه لا يستطيع أن يجيد علوم القرآن و الحديث و استخراج الأحكام من النصوص إلا إذا أتقن اللغة العربية الصحيحة. و كان يحضر في المسجد الحرام دروس إمام مصر الليث بن سعد حين يأتي حاجا أو معتمرا و كان يوصي مستمعيه أن يتقنوا اللغة و أسرارها و أن يتعلموا خاصة كلام هذيل و هم قبيلة في البادية و أن يحفظوا أشعارهم لأن هذيل أفصح العرب. انطلق الشافعي إلى مضارب هذه القبيلة فأقام في ظهرانهم و لازمهم عشرة أعوام عكف خلالها على دراسة اللغة و آدابها و حفظ الشعر (حفظ أكثر من عشرة آلاف بيت) كما تعلم الرماية و الفروسية و برع فيهما. و روى الشافعي عن نفسه فقال: كانت همّتي في شيئين، في الرمي و العلم فصرت في الرمي بحيث أصيب عشرة من عشرة. " و سكت عن موضوع العلم تواضعا علما أنه في العلم أكثر من ذلك. عاد إلى مكة و هو يحمل ثروة هائلة من شعر و أدب العرب حتى قال الأصمعي - راوية العرب المشهور - "صححت أشعار الهذليين على فتي من قريش يقال له محمد بن إدريس. " و أصبح الشافعي حجة عصره في اللغة. و عاد إلى مكة ليتعلم عند علمائها من أتباع عبد الله بن عباس و جعفر الصادق. و كان الإمام سفيان بن عيينة إذا جاءه شيء من التفسير أو الفتيا التفت إلى الشافعي فقال: سلوا هذا الغلام. و كان الشافعي يوما يحضر مجلس ابن عيينة فحدث ابن عيينة بحديث أن رسول الله صلى الله عليه و سلم كان معتكفا، فأنته صفيه، فلما ذهبت ترجع مشى النبي صلى الله عليه و سلم معها فأبصره رجل الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٦٤ من الأنصار فقال له رسول الله صلى الله عليه و سلم: "إنها صفيه، إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم. " فقال ابن عيينة: ما فقه هذا الحديث يا أبا عبد الله؟ فقال الشافعي: لو كان القوم اتهموا رسول الله صلى الله عليه و سلم لكانوا بتهمتهم إياه كفارا و لكن رسول الله صلى الله عليه و سلم أدب من بعده فقال إذا كنتم هكذا فافعلوا هكذا حتى لا يظنّ بكم، لا أن النبي صلى الله عليه و سلم - و هو أمين الله في وحيه - يتهم. فقال ابن عيينة: جزاك الله خيرا يا أبا عبد الله ما يجيئنا منك إلا ما نحب. و لا عجب في ذلك فقد كان يعمل و يهتدى وفق توجيهات أمه البارة التي كانت عالمة، حافظه و فقيهة. فقد استدعت مرة للشهادة أمام قاضي مكة و معها امرأة أخرى و أراد القاضي أن يفرق بينها و بين المرأة الأخرى في الشهادة لسمع كلا منهما على حدة، فاعترضت و طلبت إلى القاضي أن تكون شهادتها و شهادة المرأة الأخرى بحضور كليهما و استدلت على ذلك بقوله تعالى: أن تَصِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرْ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى [البقرة: ٢٨٢]. و أجازه شيخ الحرم الإمام مسلم بن خالد الزنجي و كان أول من أجازه فقال له و هو غلام: أنت يا أبا عبد الله و الله لقد آن لك أن تفتي. و لكن الشافعي مع هذا رفض أن يفتي و كيف يفعل ذلك و هو يعتبر أن سلم العلم ما زال طويلا، و كيف يفعل ذلك و الإمام مالك في المدينة و قد سمع من حديثه عند ما جاء حاجا إلى بيت الله الحرام؟!!!! و أدرك الشافعي ما عند مالك من علم واسع و أحب لقاءه و لكنه تهيب أن يرحل إليه قبل أن يأخذ من علومه شيئا، فأقبل على الموطأ فحفظه غيبا و لم يكن يملك ثمنه فاستعاره و حفظه. و خشى أن لا يستقبله الإمام مالك لحداثة سنّه فلقد اشتهر عن مالك أنه رغم سماحته و طيب خلقه كان صارما في العمل و لا يبيح وقته للناس و لا يستقبل من يطرق بابه خلال راحته في داره. و لكن الشافعي الشاب المتوقد المتوهج المتعطش إلى غرف العلم لا يشبع نهمه الجلوس في حلقات درس مالك في المسجد و لكنه يريد أن يتفرد بلقائه. فتوسطت له أمه عند والي مكة، فأرسل معه رسالته إلى والي المدينة. فلما وصلت الرسالة إلى والي المدينة و قرأها قال: يا فتى إن مشي من جوف مكة إلى جوف المدينة حافيا راحلا أهون عليّ من المشي إلى باب مالك، فلست أرى الذل حتى أف على بابه! ... فقال الشافعي: أصلح الله الأمير، إن رأى الأمير يوجه إليه ليحضر. فقال الأمير: هيهات، ليت أني لو ركبت أنا و من معي و أصابنا من تراب العتيق (حي يسكنه مالك) نلنا بعض حاجتنا. و واعدته على الذهاب إلى مالك في وقت العصر. و يروي الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٦٥ الشافعي فيقول: و ركبنا جميعا، فوالله لكان كما قال، لقد أصابنا من تراب العتيق فتقدم رجل منا ففرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولي لمولاك أني بالباب. فدخلت ثم خرجت فقالت: إن مولاى يقرئك السلام و يقول إن كان لديك مسألة فارقها في رقعة يخرج إليك الجواب و إن كان للحديث فقد



عرفت يوم المجلس فانصرف. فقال لها الأمير: قولي له إن معي كتاب والي مكة إليه في حاجة... فدخلت و خرجت و إذا بمالك قد خرج و عليه المهابة و الوقار و هو شيخ طويل مسنون اللحية، فرجع الوالى الكتاب إلى الإمام مالك فطفق يقرأه فلما بلغ إلى هذا: "إن هذا رجل يهمنى أمره و حاله فتحدثه... و تفعل... و تصنع." " فرمى مالك الكتاب من يده ثم قال: سبحان الله أو صار علم رسول الله صلى الله عليه و سلم يؤخذ بالرسائل!!! قال الشافعي: فرأيت الوالى قد تهيب أن يكلمه فتقدمت و قلت: "أصلحك الله... إنى رجل مطلبى من بنى المطلب و حدثته عن حالتى و قضيتى فلما سمع كلامى نظر إلى و كان لمالك فراسه فقال: ما اسمك؟ قلت: محمد، فقال: "يا محمد إنه سيكون لك شأن و أى شأن، إن الله تعالى قد ألقى على قلبك نورا فلا تطفئه بالمعصية. إذا جاء الغد تجيء مصطحبا معك ما تقرأ به. و طلب منه أن يأتى بمن يقرأ له الموطأ لصغر سنه و لكن الشافعي جاءه فى اليوم الثانى و معه الموطأ و بدأ يقرأ عن ظهر غيب و الكتاب فى يده. و كلما قرأ قليلا تهيب مالكا و أراد أن يقطع و لكن أعجب مالك حسن قراءته و إعرابه فقال: زد يا فتى، حتى قرأ عليه الموطأ فى أيام يسيرة. قال مالك عنه: ما يأتينى قرشى أفهم من هذا الغلام، و قال: إن يك يفلح فهذا الغلام. و لازم الشافعي مالكا تسعة أعوام و لم ينقطع عنه إلا لزيارة أمه أو لرحلة علمية و كان قد ذهب فى بعض الرحلات إلى العراق و حصل ثروة من علم أبى حنيفة. و تلقى الشافعي علومه من مالك و من باقى علماء المدينة. و كانت المدينة أجل بلد حافظ على الطابع الإسلامى الأصيل، و أكثر الصحابة كانوا فيها، فإن النبى صلى الله عليه و سلم بعد رجوعه من حنين ترك فيها نحو اثنى عشر ألف صحابى، لبث فيها نحو عشرة آلاف، ثم ماتوا فيها و تفرق فى سائر الأقطار نحو ألفين. و ما كان يوثق بعلم العالم فى جميع أقطار الخلافة الإسلامية إلا أن يؤم المدينة، يختلف إلى علمائها و يروى عن حفاظها. و فى إحدى رحلات الشافعي العلمية غاب عن المدينة زهاء عامين و كان دائم السؤال عن شيخه مالك، و يوم عاد دخل الحرم النبوى و تهيا للجلوس فى حلقة مالك و ما هى إلا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٦٦ لحظات حتى وصل مالك و فاح ريح الطيب فى أرجاء المسجد و جلس مالك على كرسى أعد له و أخذ يلقى المسائل على التلاميذ المتحلقين حوله و من بينهم و فى زحمتهم الشافعي الذى لا يكاد يراه مالك. سكت الحاضرون و لم يجيبوا على مسائل مالك فتضايق الشافعي ثم أوحى بالجواب إلى الذى بجواره و كذلك بجواب آخر و آخر، مالك يلقى المسألة و جار الشافعي يجيب، ثم سأله مالك متعجبا: من أين لك هذا العلم؟ فقال إن بجانبى شابا يقول لى الجواب و إذا هو الشافعي فتلقاه مالك بالترحاب و الحفاوة و السرور و قال له: أتممت أنت هذا الباب و هذه إجازة من مالك للشافعي بالفتيا. فلما كان عام ١٧٩ توفى مالك و بكاه الشافعي بكاء حارا. و كان الشافعي يعانى من الفقر و لا يبالى فى سبيل إقباله على العلم و الدراسة فلما توفى مالك شعر بفرغ فالتفت يبحث عن عمل و كان قد وصل إلى قمة الشباب، فبحث له بعض القرشيين عن عمل فى اليمن بواسطة والى اليمن، فأعطى عملا جيدا فى نجران دون مستوى المحافظ بشىء قليل.

### اتهامه بخيانة الخلافة العباسية:

اتهامه بخيانة الخلافة العباسية: فى اليمن تنامت ثروة الإمام الشافعي العلمية بالعرف على فقه إمام مصر الليث بن سعد الذى كان تلامذته منتشرين هناك. و لكن والى مدينة نجران تحفظ عليه فوشى إلى هارون الرشيد بشأنه و شأن عدد من الناس معه كان مجموعهم عشرة و كانت الخلافة العباسية آنذاك تحسب حسابا للشيعة لا سيما العلويين - أى أسرة و ذرية سيدنا على رضى الله عنه - ذلك لأن الخلافة العباسية قامت على سواعد الشيعة أى المتشيعين و المناصرين لعلى رضى الله تعالى عنه و أرضاه، إلا أن العباسيين تنكروا لهم بعد قيام الخلافة. لذا كانت الخلافة العباسية دائما تخشى من ثورة العلويين عليهم. و كان والى نجران قد اتهم الشافعي بأنه يحرض العلويين على الثورة. و سيق إلى هارون الرشيد مكبلا بتهمة خيانة الدولة و كانت عقوبة هذه الخيانة القتل. دخل الشافعي ثابت الفؤاد على الخليفة ينتظر الحكم عليه و هو يردد: "الله يا لطيف... أسألك اللطف فيما جرت به المقادير." قال الشافعي للخليفة:

السلام عليك يا أمير المؤمنين و بركاته (دون أن يلفظ و رحمه الله). فردّ عليه الرشيد: و عليك السلام و رحمه الله و بركاته، ثم أضاف فقال: بدأت بسنة لم تؤمر بإقامتها، و رددنا عليك فريضة قامت بذاتها و من العجب أن تتكلم في مجلسي بغير أمرى أو إذنى. فقال الشافعي: إن الله تعالى قال: "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسِّرَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا،" و هو الذى إذا وعد وفى، فقد مكّنك فى أرضه و أمّنتى بعد خوفى ... حيث رددت على السلام بقولك و عليك رحمه الله، فقد شملتني رحمه الله بفضلك. فقال الرشيد: و ما عذرک بعد أن ظهر أن صاحبك - يعنى الثائر العلوى - طغى علينا و بغى و اتبعه الأردلون و كنت أنت الرئيس عليهم؟ فقال الشافعي: أما و قد استنطقتنى يا أمير المؤمنين فسأتكلم بالعدل و الإنصاف و لكن الكلام مع ثقل الحديد صعب، فإن جدت على بفكه أفصحت عن نفسى و إن كانت الأخرى فيدك العليا و يدى السفلى و الله غنى حميد. فأمر الرشيد بفك الحديد عنه و أجلسه، فقال الشافعي: حاشا الله أن أكون ذلك الرجل، و لكن قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا، [الحجرات: ٦] لقد أفك المبلغ فيما بلغك. و إن لى حرمة الإسلام و ذمه النسب و كفى بهما وسيلة و ما أنا بطالبي و لا علوى و إنما أدخلت فى القوم بغيا على. أنا محمد بن إدريس، و أنا طالب علم. فقال الرشيد: أنت محمد بن إدريس؟ قال: نعم، ثم التفت إلى محمد بن الحسن الشيباني و سأله: يا محمد ما يقول هذا؟ أ هو كما يقول؟ قال محمد بن الحسن: إن له من العلم شأنا كبيرا و ليس الذى زعم عليه من شأنه (معلوم أنه بين العلماء المخلصين نسب أقوى من الرحم). و كأن الله تعالى وضع هذه المحنة التى انزلت فيها الشافعي من أجل أن يعيده عز و جل من عمل الدنيا إلى عمل الآخرة و هذا واضح جدا و عسى أن تكرهوا شيئا و هو خير لكم و عسى أن تحبوا شيئا و هو شر لكم و لكن هذه الحقيقة لا تظهر إلا آخرا عند ما يكون الإنسان فى طور المفاخرة و أما فى طور الحكم الإلهي فيكون كالعائض فى جوف البحر لا يعلم إلا - من وثق بعلم الله سلفا. لذا ينبغي للمسلم أن يراجع نفسه كل فترة من الزمن و يحاول أن يتذكر ما هى الأشياء التى حصلت معه فى الماضى و ظلها حينذاك شرا و إذا بها مع مرّ السنين الخير كله، ذلك يفيد الإنسان بزيادة ثقته بالله تعالى فإن أكثر المعاصى و الإحباطات إنما هى ناتجة عن عدم الثقة بالله و عدم المشاهدة له دائما عز و جل (ثقة عين اليقين).

### موقف الشافعي من الإمامة و الخلافة:

موقف الشافعي من الإمامة و الخلافة: كان الشافعي على عقيدة جمهور أهل السنة و الجماعة و كان يستدل على أن أولى الناس بالخلافة هو أبو بكر رضى الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه و سلم، أن امرأة جاءت إلى النبي صلى الله عليه و سلم تسأله فى أمر فقال لها ارجعى فيما الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٦٨ بعد، فقالت: فإن لم أجدك؟ فأمرها النبي عليه الصلاة و السلام أن تأتى أبا بكر، أى إن ذهبت و عادت و كان الرسول صلى الله عليه و سلم قد توفى فعليها أن تأتى إلى أبى بكر.

### إقامته فى العراق:

إقامته فى العراق: و بقى الشافعي فى العراق فتعرّف على محمد بن الحسن و وطّد صلته به و عاد و تفرغ للعلم و ترك الدنيا و العمل فيها ... يقول الشافعي: "أخذت من محمد بن الحسن و قر بعير (أى حمل بعير) من سماعه عن أبى حنيفة، أى لو جمعت العلم الذى أخذته منه فى كتب فإن هذه الكتب تبلغ حمل بعير و كل ما فيها ليس فيه شىء من عندى، كله أخذته سماعا من محمد بن الحسن." انظروا إلى تواضع الشافعي الذى ما حال بينه و بين هذه الكلمة المكانة العالية التى تبوّأها قد تقدّم ربما على محمد ابن الحسن و هو

المجتهد المطلق ما قال في نفسه ما ذا سيقول عنى الناس لو سمعوا أنى تلميذ محمد بن الحسن. و هذا من باب ذكر فضل أهل الفضل. وقد ملأ الشافعى كتابه "الرسالة" مناقشات طريفة جدا بينه وبين محمد بن الحسن الشيبانى ملئت علما. و كان محمد بن الحسن يقدره تقديرا عظيما و لا- يؤثر على مجلسه مع الإمام الشافعى أى مجلس. و قد حصل أن اتفق يوما أن الإمام الشافعى كان ذات مرة متجها إلى بيت محمد بن الحسن ليتدارس معه العلم و ليأخذ منه و لكن محمد بن الحسن كان متجها إلى الموعد الذى كان قد ارتبط به مع الخليفة، فأثر مجلس الشافعى و تخلف عن مجلس الخليفة. و قد لبث الشافعى فى العراق زهاء عامين عاد بعدها إلى مكة و أخذ يدرس فى الحرم المكى، و هذه فترة ازدهار علمه، منذ هذا العهد بدأ الشافعى يصب كل تفكيره و يعمل كل فهمه فى تدوين الفقه و أصوله أى بدأ فى تدوين موازين الاجتهاد و أصول استنباط الأحكام من نصوص القرآن و السنة حتى تجتمع العقول المختلفة على هذه الموازين. فالقرآن و السنة كل منهما ملء بالأحكام و لكن كيف نفهمهما، ما هى قواعد الفهم، ما هى قواعد الدلالة العربية التى على أساسها نستنبط الأحكام من القرآن و من السنة؟ هذا ما بدأ يشغل بال الشافعى فوضع و خطط لهذا العلم و هو علم جديد لم يكن موجودا من قبل هو "علم أصول الفقه ... بقى الشافعى فى مكة تسع سنوات يجمع هذه القواعد و يدونها و ينسجها و قبل ذهابه إلى مكة كان قد زار مسجد الإمام الأعظم أبى حنيفة و هناك صلى الفجر على مذهب الإمام (أى أبو حنيفة) مخالفا مذهبه فى الحركات و القنوت و ما إلى ذلك، و لما سئل عن ذلك قال: إني فعلته أدبا مع الإمام أبى حنيفة أن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٦٩ أخالفه فى حضرته. انظروا إلى أدب علمائنا بعضهم مع بعض.

### تأليفه لكتابه "الرسالة" و أهميته:

تأليفه لكتابه "الرسالة" و أهميته: أصبح من عادة الشافعى أن يجلس فى الحرم عند بئر زمزم حيث كان يجلس الصحابى الجليل شيخ المفسرين عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ... و بدأ يؤلف فى مكة كتابه "الرسالة"، و كان صيته العلمى فى هذا الوقت يطبق الآفاق فى مختلف أنحاء البلاد و مقاطعات الدولة الإسلامية الشاسعة، فأتية طلاب العلم و المعرفة من أقصى الأماكن و كان من هؤلاء أحمد بن حنبل الذى كان تلميذا للإمام ابن عيينة إمام الحديث فى عصره فى المسجد الحرام. و ابن عيينة كان يروى جلّ أحاديثه عن الزهرى و هو أعلى الأسانيد، فكان الناس يغشون مجلسه. و لكن الإمام أحمد لما علم بمجلس الشافعى و سمع منه ترك مجلس ابن عيينة و أصبح يغشى مجلس الشافعى فلما سئل عن ذلك قال: إنك إن فاتك الحديث بعلوّ تجده بنزول و لا يضرك ذلك أما إن فاتك عقل هذا الفتى - يقصد الشافعى - فإنى أخاف أن لا تجده إلى يوم القيامة، ما رأيت أحدا أفقه بكتاب الله تعالى من هذا الفتى القرشى. و كان أحمد يقول: كان الفقه مقفلا على أهله حتى فتحه الله للإمام الشافعى. قال الحسن بن محمد الزعفرانى: كنا نحضر مجلس بشر المريسي المعتزلى القدرى المناظر البارع و كنا لا نقدر على مناظرته فسالنا أحمد بن حنبل فدلنا على الشافعى، فسالناه شيئا من كتبه فأعطانا كتاب اليمين مع الشاهد فدرسته فى ليلتين ثم غدوت على بشر المريسي و تخطيت إليه فلما رآنى قال: ما جاء بك يا صاحب الحديث؟ قال الحسن الزعفرانى: ذرنى من هذا، ما هو الدليل على إبطال اليمين مع الشاهد؟ فناظرته فقطعته فقال: ليس هذا من كيسكم، هذا من كلام رجل رأيت بمكة معه نصف عقل أهل الدنيا. و كان بشر المريسي لما رأى الشافعى المفتى فى مكة يحدث قال لأصحابه المعتزلة: إنى لا أخاف عليكم من أحد و لكنى أخاف عليكم من هذا الفتى فإنّ معه نصف عقل أهل الدنيا. و الذى يدعو إلى الإعجاب أن يكون الشافعى كتب هذه الرسالة فى أصول الفقه و هو شاب و كان قد طلبها منه إمام المحدثين فى بغداد لكى يستفيد منها هو و غيره من كبار العلماء فى كيفية فهم النصوص. و لما كتب الشافعى الرسالة و وصلت إلى إمام المحدثين فى بغداد، جعل يتعجب و يقول: لو كانت أقل لفهم ... و قال الإمام المزنى: قرأت الرسالة خمسمائة مرة، ما من مرة إلا و استفدت منها فائدة جديدة. و فى روايه عنه قال: أنا أنظر فى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٧٠ الرسالة من خمسين سنة، ما أعلم أنى نظرت فيها مرة إلا

و استفدت شيئاً لم أكن عرفته. كتاب "الرسالة" هو مقدمة ضخمة لكتابه "الأم" مثل مقدمة ابن خلدون لكتابه "تاريخ الأمم و الملوك"، و مقدمة ابن خلدون ليست كتاباً مستقلاً و إنما هي مقدمة لموسوعة تاريخية و لأهمية هذه المقدمة طبعت طبعاً مستقلاً و افردت باسم مستقل و أصبحت مقدمة ابن خلدون اسم مستقل تماماً، و كذلك كتاب "الرسالة" فهو في أصله عبارة عن مقدمة كبيرة و واسعة جداً لكتاب "الأم" و هو عبارة عن سبعة أجزاء، إلا أن "الرسالة" فيما بعد افردت بالطباعة و أصبحت عبارة عن كتاب مستقل لأنه يحوى علماً مستقلاً، و قد تضمن ما يلي: أولاً: بيان أن أى علم شرعى لا بد أن يدور على فلك نص مأخوذ من الكتاب أو السنة. ثم أكد أهمية و حجيه حديث الآحاد (و حديث الآحاد هو الحديث الذى يرويه صحابى واحد أو اثنين أو ثلاثة عن النبي صلى الله عليه و سلم) و قد ذكرنا طرفاً من ذلك من قبل، و استدلل على حجيه الآحاد بأدلة كثيرة منها: - أن الله تعالى حينما أنزل فى القرآن الكريم تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى مكة المكرمة، جاء صحابى و أخبر الصحابة الذين كانوا يصلون فى مسجد ذى القبلتين فاستداروا و هم فى الصلاة، فإذا أخذوا بخبر الواحد! - حينما أنزل الله تعالى آية تحريم الخمر، أخبر صحابى باقى الصحابة بذلك، فانتهوا و ألقوا خمورهم. - إن النبي صلى الله عليه و سلم بعث معاذ رضى الله عنه إلى اليمن ليبلغ عنه و لقد أخذ عنه أهل اليمن. - إن الله عز و جل قد أمرنا أن نأخذ بقول الشاهدين و هما من الآحاد. و هذا الأمر أى حجيه حديث الآحاد لم يخالف فيه أحد من الأئمة الأربعة و إنما اختلفوا فى نسخ الآحاد للقرآن أى هل ينسخ حديث الآحاد حكم آية من كتاب الله تعالى و هل يخص هذه الآية أم لا؟ ... ثانياً- و كان قد ظهر فى عصر الشافعى من يدعى أنه يأخذ بالقرآن الكريم وحده و يدع العمل بالحديث الآحاد و هم من الزنادقة، فرد عليهم الشافعى رداً مفحماً و سمي بذلك "نصير السنة النبوية ... ثم عقد الشافعى باباً سماه "الدلالات" أى كيف تدل الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٧١ النصوص على معانيها سواء كان المفهوم الموافق أو المفهوم المخالف و كيف نستخرج قواعد القياس على نص فى كتاب الله تعالى ... و أوضح البيان، أى كيف يمكن أن يكون القرآن بعضه بياناً لبعض و أن النص قد يكون عاماً و قد يكون خاصاً و قد يكون مطلقاً و قد يكون مقيداً. و النص المطلق يمكن أن يأتي نص آخر فى المعنى ذاته فيقيده و يفسره ... و أوضح أيضاً فيما إذا كان يمكن للسنة أن تخصص القرآن العام أو أن تقيده و هل يصح العكس ... و باختصار كتاب "الرسالة" هو عبارة عن مفاتيح لكيفية فهم الأحكام من النصوص. و قد كان المجتمع آنذاك يفتقر إلى هذا العلم و لم يكتب فيه أحد قبلاً، صحيح أن الإمام أبو حنيفة و الإمام مالك كل منهما بنى فقهه على أصول و مبادئ و لكن هذه المبادئ لم تسجل و لم يصرح بها كلها بل إن تلامذتهما هم الذين استنبطوا الأصول من فروع المسائل. و الذى أعان الشافعى على هذا العلم علم استنباط الأحكام من النصوص فضلاً عن كونه عالماً بالفقه و الحديث و بلوغه درجة قصوى من الذكاء، هو أنه عاش فى البادية عشر سنوات حيث أخذ الطبيعة العربية و السليقة العربية من ينبوعها، فكان يعلم كيف يفهم الرجل العربى الجملة و كيف يأخذ المعنى إثر المعنى من الجملة الواحدة، و مما جعل من الشافعى حججاً فى اللغة.

### عودة الشافعى إلى العراق:

عودة الشافعى إلى العراق: عاد الشافعى إلى العراق و أقبل العلماء جميعاً من شتى المذاهب على كتاب "الرسالة" و أعجبوا به أيما إعجاب و كان الشافعى يشرح و يناقش هذه القواعد. و كان الشافعى يضرب فى طول البلاد و عرضها فى سبيل أن ينقل علم الحجاز إلى العراق و بالعكس و يجمع الكل تحت مظلة هذه القواعد، فلقد تبيّن إلى ثغرات علماء العراق و هى أنهم كلما فقدوا النص استنجدوا بالرأى و استحسنا و مالوا إلى ما تطمئن إليه نفوسهم و لكن على أى أساس؟ و على أى قاعدة؟ و ما هو المقياس الذى يوضح الرأى المتفق مع شرع الله تعالى و حكمه و الرأى المتنكر عن شرع الله تعالى و حكمه؟ لا يوجد! إذا هذه هى الثغرة التى يعانى منها أهل العراق. أما أهل الحجاز فلاحظ أنهم يأخذون بالنص دون أن يتوغلوا فى فهم طرق دلالاته و قوانين هذه الدلالة. إذا رأوا نصاً

في كتاب الله تعالى أو سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تصوّروا ضرورة تطبيق هذا النص دون التأمل في كفيته وأسلوبه، وهذه هي ثغرتهم، فكان كتاب الرسالة سدا لثغرة أهل الحديث فتقبله الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٧٢ المسلمون في جميع أنحاء البلاد و أقبلوا عليه. و يقول الشافعي في هذا الموضوع: صحيح أننا لا نخرج عن دائرة النص و لكن هناك فرق بين من لا يغوص في أعماق النص و لا يتعمق به و بين من يبحث و يتفكر و يتعلم و يتعمق و يستنبط معان عديده فيجد أنّ مسافة النص ١٠ أمتار من حيث المعنى. و ضرب على ذلك أمثلة عديده فقال: - إنَّ الله عز و جل خاطب عباده في كتابه بألفاظ عامه و أراد منها الخاص و خاطب عباده بألفاظ خاصه و أراد منها العموم، مثال على ذلك: قوله عز و جل: "الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ" إنما أريد بالناس الأولى رجل واحد هو أبو سفيان، فيكون هنا اللفظ عام يراد منه الخاص. - مثال على الخاص الذي يراد منه العام: قال الله تعالى: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ، [الطلاق: ١]، فهو خطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحده و لكن المقصود به عموم الناس. من هنا كثر إعجاب الإمام أحمد بالشافعي فعن صالح بن أحمد بن حنبل قال: جاء الشافعي يوما إلى أبي يعوده- و كان عليلًا- فوثب أبي إليه، فقتل ما بين عينيه، ثم أجلسه في مكانه و جلس بين يديه. قال فجعل يسأله ساعة، فلما وثب الشافعي ليركب قام أبي فأخذ بركابه و مشى معه، فبلغ يحيى بن معين هذا الخبر فوجه إلى أبي: يا أبا عبد الله، يا سبحان الله! أ اضطرك الأمر إلى أن تمشي إلى جانب بغلة الشافعي؟ فقال له أبي: و أنت يا أبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر لانتفعت به قال: ثم قال أبي: من أراد الفقه فليشم ذنب هذه البغلة. و قال الفضيل بن زياد: قال أحمد بن حنبل: هذا الذي ترون كله أو عامته من الشافعي، ما بتّ مدة أربعين سنة إلا و أدعو الله للشافعي. قلت و هذا من شيم أهل الفضل يعرفون الفضل لأصحابه. و كان الشافعي بالمقابل يحب و يجلّ الإمام أحمد كثيرا و كان يجلس بين يديه يتعلم منه الحديث و يقول له إذا صح عندك الحديث فأخبرني عنه. و كان الإمام أحمد يحدث ابنته كثيرا عن الشافعي و عن تقواه و علمه و في يوم نزل الشافعي ضيفا عند أحمد و لعل ذلك كان في رحلة الشافعي الأخيرة له إلى بغداد، فأعطاه غرفة لينام فيها. و كان الإمام أحمد كثير التعب و كثير التنسك فأخذت ابنته تراقب الشافعي كيف تكون عبادته و متى سيستيقظ من الليل و أيهما أكثر تعبدا والدها أم الشافعي. فلاحظت أنّ غرفة الشافعي بقيت مظلمة إلى قبيل أذان الفجر بينما الإمام أحمد كان يقوم أكثر الليل. و في الصباح الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٧٣ قالت لأبيها: أ هذا هو الشافعي الذي حدثني عنه؟ فلم يجبه الإمام أحمد و دخل على الشافعي فقال له: كيف كانت ليلتك يا أبا عبد الله؟ فقال له: لقد فكرت الليلة في بضع آيات من كتاب الله تعالى و روايته في حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فاستخرجت منها أحكاما كثيرة- و في روايته فوق الستين حكما- فقال الإمام أحمد لابنته: لضجعة واحدة من الإمام الشافعي خير من صلاة أبيك الليل كله!. هذا يصور لنا كيف كان أدب و تعظيم أئمة المسلمين بعضهم لبعض و نظر كل واحد منهم إلى الآخر على أنه إمام و حجة. أما اليوم فلأسف كثير ممن يدعون حب إمام من الأئمة يسفّهون أو ينتقدون إماما آخر. و قد أنبأنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا الداء الخطير و أنه من أشرط الساعة أن يلعن آخر هذه الأمة أولها.

### أسفاره و زيارته مصر:

أسفاره و زيارته مصر: لقد طاف الشافعي في آفاق العالم الإسلامي، و لم يترك بقعة إلا زارها من الحجاز حتى أقصى الشرق و الشمال و لكنه لم يأت مصر بعد. و مصر مهد عريق في الحضارة و العلم و هي في الوقت عينه مجتمع علماء فحول و فضلا عن ذلك هي مدرسة إمامه و شيخه الليث بن سعد. و بينما إمامنا العظيم في تطلعه هذا إذ جاءته دعوة كريمة لزيارة مصر فوافقت هوى قلبه و نفسه و كانت الدعوة من أحد تلامذته و محبيه، الفقيه العالم، و التاجر الواسع الثراء "ابن عبد الحكم". فشد الشافعي رحاله على الفور و كان وداع الناس و العلماء خاصة له في بغداد مؤثرا جدا. كانوا يبكون و يحاولون إقناعه بالبقاء خصوصا الإمام أحمد ... و امتدت إقامة الشافعي في مصر خمس سنوات حيث استقبل استقبالًا حافلا من مختلف الطبقات إذ سبقه صيته إلى هناك و حاول الكثيرون أن

يستفيدوا من ضيافتهم له فعرضوا عليه الإقامة عندهم من الوالى حتى أقل الناس شأنًا و لكن الشافعى آثر التشبه برسول الله صلى الله عليه و سلم حين هاجر إلى المدينة المنورة فنزل عند أقارب أمه ... و كان أول ما فعله الشافعى أن قام بزيارة قبر الإمام الليث بن سعد و وقف عند القبر خاشعا يردد و يقول: لله درك يا إمام ... لقد حزت أربع خصال لم يكملن لعالم: العلم و العمل و الزهد و الكرم.

### لقاؤه السيدة نفيسة و أخذه عنها العلم:

لقاؤه السيدة نفيسة و أخذه عنها العلم: كانت السيدة نفيسة رضى الله عنها حفيده الحسن بن على و الحسين بن على رضى الله عنهم موئل علم و دين و تقوى، تقيم فى مصر، و كان الشافعى يعرف مقدارها و مكانتها. فاستأذن فى زيارتها فأذنت له و رحبت بالإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٧٤ به و أعجبها عقله و ورعه و سمع منها ما لم يكن قد وصل إليه من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم.

### تدريسه و تأليفه لكتابه "الأم":

تدريسه و تأليفه لكتابه "الأم": كان الشافعى جامع علم فى شتى الفنون، فكان يجلس فى جامع تاج الجوامع فى مصر بعد صلاة الفجر و يبدأ بالقرآن و علومه فىأتيه علماء التفسير و علوم القرآن الفطاحل ليتعلموا منه، فإذا انتهى تحوّل إلى الحديث فىأتيه علماء الحديث ليتعلموا منه و إذا فرغ انتقل إلى علوم اللغة و آدابها فىأتيه علماءها يدرسون عنه و هكذا ... و فى مصر أعاد الشافعى النظر فى "الرسالة" فجدد تأليفها- و "الرسالة" التى بين أيدي الناس اليوم هى "الرسالة" المؤلفة فى مصر- كما أعاد النظر فى كتابه "الحجة" فألف بدله كتاب "الأم" و هو مجموع لكتب كثيرة جديدة ألفها الشافعى فى مصر و هذا الكتاب هو المعروف و المشهور فى أيامنا. و تراجع الشافعى عن بعض مسائله الفرعية فى العراق و أفتى بغيرها من هنا إذا قيل اليوم فى المذهب الشافعى القديم فإنما يراد به أقواله فى العراق المجموعة فى كتابه "الحجة" و إذا قيل مذهب الشافعى الجديد فيراد به أقواله فى مصر المجموعة فى كتابه "الأم". و ابتكر الشافعى كتبا- كما يقول الإمام النووى- لم يسبق إليها، منها: أصول الفقه و كتاب "القسامة" و كتاب "الجزية" و كتاب "أهل البغى" و غيرها. فائدة: الفتوى اليوم هى على المذهب الجديد إلا- فى بعض المسائل التى لا تتجاوز العشرين مسألة حيث يفتى فيها بالقول القديم.

### أدب الشافعى مع مخالفى مذهبه و عدم تعصبه:

أدب الشافعى مع مخالفى مذهبه و عدم تعصبه: الشافعى رضى الله عنه إن وجد نفسه يخالف فى بعض آرائه الإمام مالك، لم يكن يعرض لذلك و لم يكن يناقشه و لم يكن يتحدث حتى لا يضع نفسه من أستاذه موضع المناقش أو الزاد على رأيه و لكن فى الوقت نفسه يخالف بأدب. إلى أن بلغه أنّ فى المغرب أناسا وصل بهم التقديس الأعمى للإمام مالك. فصاغ الشافعى هنا فى هذا الوقت المتأخر من حياته "خلاف مالك" أى "خلافياتى مع مالك" و قال إن الإمام مالك بشر يصيب و يخطأ و هو أى الشافعى بشر يصيب و يخطأ و بدأ يناقش مسائل يرى خلافا فيها مع مالك. و فى كثير من الأحيان ذهب كثير من الأئمة العظام ضحية عصبية تلامذتهم و هذا فى التاريخ كثير. قد يكون الإمام عظيما لكن له تلامذة يتعصبون و يتشجعون. من هنا كان الشافعى ينادى مرارا و تكرارا: (إذا صح الحديث فهو مذهبي) يعنى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٧٥ إن صح حديث لم أكن قد سمعت به و أفتيت بخلافه و وصل إليكم و فقهتم المعنى فإنّ هذا هو مذهبي. إذا هذا القول ليس موجها إلى عامة الناس و إنما هو موجّه إلى فقهاء مذهبه و تلامذته و أصحابه.

يعنى مثلاً- قد يأتي من يعترض و بالفعل فقد أتى فى هذا الزمن كثير من اعترض على الشافعى، يقول مثلاً إن النبى صَلَّى الله عليه و سلم قال فى الحديث الصحيح "من لحم جزور فليتوضأ"، و الشافعى يقول إذا صح الحديث فهو مذهبى. نقول ليس مطلق حديث وقع عليه إنسان يستطيع أن يطبق عليه مقولته الشافعى إذ ينبغى أولاً- أن يكون من أهل النظر و الاجتهاد، ثانياً أن يرى هل اطلع على هذا الحديث الشافعى أو أصحابه أو فقهاء المذهب من بعد و كيف فسروه؟ و لقد رد الشافعية على هذا الحديث فقالوا هذه واقعة حال و الواقعة أن رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم كان جالساً مع بعض أصحابه و قد أكلوا لحم جزور و خرجت رائحة كريهة من أحد الحاضرين ثم حان وقت الصلاة و من البديهي أن الذى سيذهب للوضوء سيعلم حاله، فرسول الله صَلَّى الله عليه و سلم الأديب الرفيع الذوق قال رفعا للحرص عن هذا الصحابي: من أكل لحم جزور فليتوضأ. هذه واقعة حال و وقائع الأحوال لا تصلح للاستدلال. ثم لو صح أن لحم الجزور ينقض الوضوء، فمن المعلوم أن أهل مكة و المدينة لا- يأكلون فى ذلك الوقت من اللحوم إلا لحم الإبل و لو صح أنه ينقض الوضوء لعلم ذلك و شاع و لكن لم ينقل إلا عن هذا الصحابي و فى هذه الحالة ... و كان الشافعى يدعو إلى عدم التعصب فى أمر من الأمور لأن الشيطان دائماً يتربص بالمسلمين على الأطراف التى تشكل الإفراط أو التفريط فكلمنا ابتعد الإنسان عن القصد فى الطريق تخطفه الشيطان و إنه لا- يستطيع أن يتخطفه إلا- إذا خرج عن الجادة الوسطى كما قال تعالى "أَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ."

### علم أصول الفقه و تعريفه:

علم أصول الفقه و تعريفه: علم أصول الفقه إجمالاً هو الميزان العربى الذى تزان به فهوم الفقهاء بنصوص الكتاب و السنة. و هذا العلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام: - قسم يسمى "الدلالات". - قسم يسمى "البيان". - قسم يسمى "صفات المجتهد و كيفية الاجتهاد." فقسم الدلالات عبارة عن كيف يفهم العربى الكلام العربى، مثلاً نقول الأمر الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٧٦ (افعل، اقرأ، اكتب) يدل على الوجوب و النهى يدل على طلب الترك الجازم و يدل على الحرمة. اللفظ يدل بمعناه الإيجابى دلالة منطوق و يدل بمعناه السلبى دلالة مفهوم مخالف. هذه كلها دلالات و الكلمة تتفاوت حسب قوة الدلالات على المعنى عبر سلم من الدرجات. فأقوى دلالة على المعنى اسمها "النص"، فى الدرجة الثانية يأتى ما يسمى "بالظاهر"، و فى الدرجة الثالثة "المجمل"، و فى الرابعة "المتشابه." النص كيف يفهم و الظاهر كيف يؤول ... هذا خلاصة قسم الدلالات. القسم الثانى و هو قسم "البيان" أى كيف يأتى نص فى القرآن الكريم بيانا لنص آخر، و كيف يأتى نص من القرآن بيانا لحديث من السنة، و كيف يأتى حديث من السنة بيانا لنص من القرآن أى شرحاً له. كثيراً ما يأتى نص من القرآن عاماً محتملاً فيأتى نص آخر واضح وضع النقاط فيه على الحروف فيفسر هذا النص الذى يسمى الخاص على العام عن طريق ما يسمى بالتخصيص أو التقييد أو التأويل أو النسخ، و هذا خلاصة القسم الثانى. أما القسم الثالث و هو "الاجتهاد:" ما الاجتهاد؟ و بأى الأحكام نجتهد؟ القاعدة تقول أنه لا اجتهاد فى معرض النص و إذا لم يكن هناك نص و لكن هناك إجماع أيضاً لا اجتهاد. و إذا كان الاجتهاد وارداً فما هى شروطه يا ترى؟ و ما هى شروط المجتهد أى ما هى الشروط التى ينبغى أن تتوفر فيه من علم و دراية و ذوق و فقه و ما إلى ذلك حتى يستطيع أن يجتهد؟ كل هذه الأسئلة تكمن إجابتها فى هذا القسم. هل هناك خلاف فى أصول الفقه بين العلماء؟ الحقيقة أن هناك خلاف بين الأئمة فى بعض الفروع أما فى أصول الفقه فالخلاف قليل جداً جداً. الإمام الشافعى عند ما دون هذا العلم وافقه العلماء الذين كانوا فى عصره، فكل من المالكية و الحنابلة و الشافعية طبّقوا هذه القواعد التى دونها الشافعى، لذلك لا يوجد عندنا كتب أصول فقه للمالكية و الحنابلة، فقط الحنفية هم الذين خالفوا الشافعى فى مسائل فى أصول الفقه. لذلك عند ما ندرس أى كتاب فى أصول الفقه نجد أن هذه الأصول تأخذ أحد طرفين طريقة الأئمة الثلاثة مالك و الشافعى و أحمد و تسمى طريقة المتكلمين و طريقة الحنفية. ملاحظة: هنا قد يرد إشكال ألا و هو إن

كان الإمام الشافعي هو الذى وضع قواعد أصول الفقه بمعنى أن الفقه الذى تفرّع من هذه الأصول يمكن أن نعتبره فقها وضعه الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٧٧ الشافعي و بالتالى لا تثبت البيّنة على أن الفقه هو حكم الله عز و جل و شرعه المنزل، هذا من جهة و من جهة أخرى هناك إشكال آخر أثاره بعض المستشرقين يقول فيه: من أين جاء الإمام الشافعي بقواعد أصول الفقه؟ لعله ابتدعها من عنده! الجواب: إن هنالك فرقا دقيقا و لكن هاما جدا بين قولنا إن الإمام الشافعي وضع علم أصول الفقه و بين قولنا إنه دون علم أصول الفقه. الشافعي لم يخترع و لا قاعده واحدة من قواعد علم أصول الفقه إطلاقا و إنما بحكم أن الشافعي حجة و إماما فى اللغة عكف على أساليب العرب و كيفية فهمهم للكلام و المعانى التى تستخلص من العبارات فاستخرج من قواعد العرب و اصطلاحات اللغة العربية فى الفهم و النطق استخرج من ذلك قواعد دونهما و لفت إليها أنظار الفقهاء و المحدّثين. و لكى نقرب الصورة أكثر نضرب المثال التالى: إن أول من دون علم اللغة العربية هو أبو الأسود الدؤلى، فهل لأحد أن يقول إذا أن أبو الأسود الدؤلى اخترع اللغة العربية؟! فأبو الأسود الدؤلى إذا كان وضع قواعد هذا فهذا لا يعنى أنه اخترعها. نحن جميعا نعلم أن اللغة العربية كانت موجودة من قبل أبى الأسود بكثير و أن الناس كانوا يرفعون الفاعل و ينصبون المفعول به و يجزّون المضاف إليه و ما إلى ذلك قبل الدؤلى بقرون و لكن الذى حصل أن أبا الأسود عمد بعبريته الفذة إلى النطق العربى و تتبعه فوجد أن العرب دائما ترفع الفاعل و ما إلى ذلك، فقعد له قوانين و قواعد حتى يستطيع من لا يجيد العربية بالسليقة أن ينطق النطق السليم. و الكلام نفسه يطبّق على الشافعي و علم أصول الفقه، فالشافعي مثلا وجد أن العرب إذا سمعوا جملة ما، تدرك لها معناها الإيجابى و تأخذ بالاعتبار معناها السلبى. مثال على ذلك، عند ما تسمع العرب حديث "مطل الغنى ظلم" (أى إذا كان المدين مليئا غنيا و ماطل فى دفع الدين المترتب عليه فهو ظالم) العرب قبل الفقهاء فهموا من هذا الكلام أن مطل الفقير ليس بظلم و هذا ما سماه الشافعي "المفهوم المخالف". إذا هو لم يخترع هذا و إنما تتبع لغة العرب و قعدتها.

### منهج الشافعي العلمى:

منهج الشافعي العلمى: أخذ الشافعي بالمصالح المرسلّة و الاستصلاح و لكن لم يسمها بهذا الاسم و أدخلها ضمن القياس و شرحه شرحا موسعا. و كذلك كان الشافعي يأخذ بالعرف مثل مالك و لكن كل لدرجة ما. يروى إنه فى أحد الأيام، فى مجلس مالك، كان فيه الشافعي، جاء رجل يستفتى الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٧٨ مالكا، يقول أنه ابتاع طائرا من رجل أقسم البائع بالله تعالى و فى رواية بالطلاق أن طائره هذا لا يفتأ عن التغريد. فلما أخذه الشارى و جده يغرد حينا و يسكت حينا، فسأل مالكا فقال له: لك حق خيار العيب (أى أنه لك الحق فى رده بسبب عيب فيه) و قد حث فى يمينه أو على الرواية الأخرى وقع الطلاق. و كان الشافعي جالسا فى ذلك المجلس و لكنه لم يتكلم أدبا مع شيخه مالك. فلما ذهب الرجل لحق به و سأله: طائرَكَ يغرد فى اليوم أكثر أو يسكت أكثر؟ قال الرجل: بل التغريد أكثر، فقال له الشافعي: إذا البيع صحيح و ليس لك خيار العيب و لم يحث و فى تلك الرواية لم يقع الطلاق. فجاء الرجل إلى مالك، فلما ناقشه الشافعي قال له: يا سيدى، الألفاظ التى نطق بها إنما نضعها فى ميزان العرف الشرعى إن وجد (مثل الطلاق و العتق...)، لكن إن فقد العرف الشرعى عندئذ نشرحه بالعرف اللغوى الدراج بين الناس فإن فقد العرف اللغوى الدراج بين الناس نعود إلى اللغة العربية فى جذورها و أمهاتها. و نحن نعود فى هذا إلى كلام رسول الله صلى الله عليه و سلّم فقد روينا عن المصطفى عليه الصلاة و السلام أن امرأة جاءت تستشيره فى رجلين قد خطباها فأيهما تتزوج، فقال لها النبى صلى الله عليه و سلّم: أما فلان فلا يضع العصا عن عاتقه و أما فلان فصعلوك (أى لا يليق بك من حيث المستوى الاجتماعى و غيره). قال الشافعي: فقوله صلى الله عليه و سلّم لا يضع العصا عن عاتقه كناية عن كثرة السفر و قد علمت أنه يصلى فيضع العصا عن عاتقه و يأكل و يضعها عن عاتقه و ينام و يغتسل و فى كل ذلك يضع العصا عن عاتقه و رسول الله صلى الله عليه و سلّم صادق فيما يقول، إذا هذه الكلمة سارت



مسار العرف الدراج و هنا (أى فى مسألة الطائر) عرف فى السوق لو قال البائع هذا الطائر لا يفتأ عن التغريد يعنى أن أكثر أوقاته التغريد. و كان الشافعى يتمسك بالأحاديث الصحيحة و يعرض عن الأخبار الواهية و الموضوعية. و اعتنى بذلك عناية فائقة. و قال الشافعى ذاكرة فضل الله تعالى عليه: ما كذبت قط و ما حلفت قط بالله تعالى صادقاً و لا كاذباً. قال أبو زرعة: ما عند الشافعى حديث فيه غلط. و قد وضع الشافعى فى فن مصطلح الحديث مصطلحات كثيرة، لم يسبق إليها مثل: الاتصال و الشاذ و الثقة و الفرق بين حدّثنا و أخبرنا ... الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٧٩

### من عباداته و نوافله:

من عباداته و نوافله: كان يقسم ليله إلى ثلاثة أجزاء: ثلث ينام و ثلث يكتب و ثلث يصلى. و كان يختم القرآن فى كل شهر ثلاثين مرة و فى رمضان ستين ختمة. و من نوافل الشافعى كثرة صلاته على النبى صلى الله عليه و سلم و كان يحض على ذلك أصحابه و تلاميذه و من يحضره. و كان أسخى الناس على الدينار و الدرهم و الطعام لا يدخل على مكة حتى يتصدّق بما معه.

### مرضه و وفاته:

مرضه و وفاته: كان الشافعى من الأئمة العاملين فربط فترة فى مصر فى الثغور و هى المواضع التى يخشى هجوم العدو منها على بلد مسلم. و فى آخر حياته ظهرت عليه علة البواسير و كان يظن أن هذه العلة إنما نشأت بسبب استعماله اللبان - و كان يستعمله للحفظ - و بسبب هذه العلة ما انقطع عنه التزيف و ربما ركب فسال الدم من عقبيه. و كان لا يبرح الطست تحته و فيه لبدة محشوة، و ما لقى أحد من السقم ما لقى. و العجيب فى الأمر بل يكاد يكون معجزاً أن تكون هذه حال الشافعى و يترك فى مدة أربعة سنوات كلها سقم من اجتهداه الجديد ما يملأ آلاف الورق مع مواصلة الدروس و الأبحاث و المناظرات و المطالعات فى الليل و النهار، و كأن هذا الدأب و النشاط فى العلم هو دواؤه الوحيد الشافى!. و ألح على الشافعى المرض و أذابه السقم و وقف الموت ببابه ينتظر انتهاء الأجل. و فى هذه الحال، عند آخر عهده بالدنيا و أول عهده بالآخرة، دخل عليه تلميذه المزنى فقال: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً و للإخوان مفارقاً و لكأس المتيّة شارباً و على الله جلّ ذكره وارداً و لا والله ما أدرى روحى تصير إلى الجنة فأهنتها أو إلى النار فأعزيتها! ثم بكى و أنشأ يقول: و لما قسى قلبى و ضاقت مذاهبى جعلت الرّجا منى لعفوك سلماً تعاضمنى ذنبى فلما قرنته بعفوك ربى كان عفوك أعظماً و ما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود و تعفو منّ و تكرمنا و دفن الشافعى رحمه الله تعالى عليه فى القاهرة فى أول شعبان، يوم الجمعة سنة ٢٠٤ هجرى. مات و كان له ولدان ذكران و بنت و كان قد تزوج من امرأة واحدة ...

### من وصاياه و أقواله:

من وصاياه و أقواله: له رحمه الله تعالى و رضى عنه أقوال مهمة، منها: - ما تقرّب إلى الله عز و جل بعد أداء الفرائض بأفضل من طلب العلم. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٨٠ - طلب العلم أفضل من صلاة الناقله. - من ضحك منه فى مسألة لم ينسها أبداً. - من حضر مجلس العلم بلا محبرة و ورق كان كمن حضر الطاحون بغير قمع. - ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفّق أو يسدد أو يعان و يكون له رعاية من الله تعالى و حفظ، و ما ناظرت أحداً إلا و لم أبال بين الله تعالى الحق على لسانى أو لسانه. نحن كلما رأينا سيرة إمام قلنا و الله هذا أحق بالتباع و كلما سمعنا دليله قلنا و الله هذا لهو الدليل المقنع! نعم كلهم أحق بالتباع و كلهم عندهم أدلّتهم

المقنعة فلذلك و رحمة من الله تعالى بنا جاز لنا أن نتبع من شئنا منهم و الحمد لله رب العالمين.

#### ٤- ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه

##### إشارة

٤- ترجمة الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه الإمام أحمد بن حنبل رجل النصف الأول من القرن الثالث، فليس من أحد في عصره بلغ من الشهرة و الثقة و الاعتقاد ما بلغه، ذلك أنه كان رحمه الله إماما في الورع، إماما في الزهد، إماما في التفقه، إماما في طريقته الفقهية، إمام أئمة الحديث في عصره و إماما في الثبات و الصبر.

##### مولده و نسبه:

مولده و نسبه: ولد الإمام أحمد بالاتفاق في عام ١٦٤ هجرى في بغداد و توفي عام ٢٤١ فكان عمره عند ما مات الشافعى أربعين عاما، و كان الشافعى يكبره بأربعة عشر عام. و هو عربى الأصل من قبيلة شيبان لم تخالط العجمه نسبه قط و يلتقى نسبه مع رسول الله صلى الله عليه و سلم عند نزار بن معد. توفي والده و هو صغير و تولت أمه تربيته و كانت رعايه والدته له أشبه ما تكون برعايه والدته الشافعى. و كانت والدته فقيرة و كانت شابه حسناء جميلة فتقدم لخطبتها و الزواج منها عدد كبير من الراغبين لكنها رفضت و امتنعت و فضلت أن تعيش لولدها و نذرت نفسها له، و هذا الأمر أنشأ في نفس أحمد برا بأمه ... و لم يتزوج حتى ماتت لكي لا يدخل على الدار سيده أخرى تنازع أمه السيادة و كان قد بلغ الثلاثين.

##### طلبه للعلم:

طلبه للعلم: كسائر أترابه تعلم القرآن في صغره و تلاه تلاوة جيدة و حفظه عن ظهر قلب. و عند ما تجاوز الخامسة عشرة من عمره، بدأ يطلب العلم، و أول من طلب العلم عليه هو الإمام أبو يوسف القاضى. و الإمام أبو يوسف كما هو معلوم من أئمة الرأى مع الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٨١ كونه محدثا و لكن في البداية و بعد مرور فترة لأحمد مع أبى يوسف وجد الإمام أحمد أنه يرتاح لطلب الحديث أكثر. فتحول إلى مجالس الحديث و أعجبه هذا النهج و اتفق مع صلاحه و ورعه و تقواه و أخذ يجول و يرحل في سبيل الحديث حتى ذهب إلى الشامات و السواحل و المغرب و الجزائر و مكة و المدينة و الحجاز و اليمن و العراق و فارس و خراسان و الجبال و الأطراف و الثغور و هذا فقط في مرحلته الأولى من حياته. و لقد التقى الشافعى في أول رحله من رحلاته الحجازية في الحرم، و أعجب به و كنا قد ذكرنا أن الإمام أحمد بقى أربعين سنة ما بات ليلة إلا و يدعو فيها للشافعى. و كان يقول عند ما يروى حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن الله يبعث على رأس كل أمة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها. و كان يقول: لقد أرسل الله تعالى سيدنا عمر بن عبد العزيز يجدد لهذه الأمة دينها على رأس المائة الثانية و أمل أن يكون الشافعى على رأس المائة الثالثة. و قد حيل بين أحمد و مالك ابن أنس فلم يوفق للقائه و كان يقول: لقد حرمت لقاء مالك فعوضنى الله عز و جل عنه سفيان بن عيينة. (لاحظوا مدى تعظيم الأئمة لبعضهم البعض، بينما الجماعات في عصرنا لا هم لهم إلا تسفيه العلماء و منهم من يتعصب لمذهبه فيسفه باقى الأئمة حتى يرفع من شأن إمامه) و الشافعى كان يكثر من زيارة الإمام أحمد، فلما سئل عن ذلك أنشد قائلا: قالوا يزورك أحمد و

تزوره قلت الفضائل لا تبارح منزله إن زارني فبفضله أو زرتة فلفضله فالفضل في الحالين له قصته و يحيى بن معين مع عبد الرزاق: ارتحل يوما الإمام أحمد من العراق هو و يحيى بن معين قاصدا المحدث الكبير عبد الرزاق في اليمن لطلب الحديث منه. فلما و صلا مكة و أخذوا يطوفان حول البيت، فإذا بهما يريان الإمام عبد الرزاق فقال يحيى بن معين لأحمد تعال نسأله أن يحدثنا بدلا من أن نلحق به إلى اليمن فقال الإمام أحمد: "خرجت من بغداد و أنا قاصد أن أرحل إلى دار عبد الرزاق بن الهمام اليمنى صاحب المصنف في اليمن من أجل مزيد من المثوبة و الأجر فلن أفسد هذه النية." حاول عبد الرزاق أن يصل أحمد ببعض المال و هو في ديار الغربه فرفض و صمم أن يكسب عيشه و عمل نساخا. و كان أشد ما أتعب الإمام أحمد و أرهقه من العلماء هو عبد الله بن المبارك الذي الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٨٢ ظل أحمد يسعى وراءه هنا و هناك ليلقاه و لكن من غير جدوى. و كان ابن المبارك فقيها محدثا واسع العلم و واسع الغنى و كان من أزهد الناس. و تعلم أحمد من ابن المبارك حقيقة الزهد و كان يطعم الفالوذج و يأكل الخبز و إذا انتهى طعاما طيبا لم يأكله إلا مع ضيف و يقول: بلغنا أن طعام الضيف لا حساب عليه. و قيل له قل مالك فقل من صلة الناس فقال: إن كان المال قل فإن العمر قد نفذ. و أصبح يعتبره أحمد أستاذه في الحديث و السلوك. و حاول أن يصله مثل عبد الرزاق و لكن أبى أحمد و قال: أنا ألزمك لفقهك و علمك لا لمالك. و تلقى الحديث عن هشيم بن بشير و استفاد منه أكثر ما استفاد من غيره و تعلم منه الهمة العالیه في الحديث. و تلقى الفقه و أصوله عن الشافعي.

### حجة بيت الله الحرام:

حجة بيت الله الحرام: حج الإمام أحمد خمس مرات إلى بيت الله، حج منها ثلاث مرات ماشيا راجلا و ذلك لأنه كان قليل المال و لكن ما منعه ذلك عن الحج.

### ورعه و تقواه و تعففه:

ورعه و تقواه و تعففه: من عظيم ما عرف به الإمام أحمد هو تعففه و له في ذلك قصص رائعة، فقد كان يسترزق بأدنى عمل و كان يرفض أن يأخذ من صديق و لا شيخ و لا حاكم قرضا أو هبة أو إرثا لأحد يؤثره به. و قد يقبل هدية و لكنه يعجل في إعطاء من أهده هدية مثلها أو خيرا منها، رافعا بذلك شأن العلم و العلماء. و لقد أجمعت الأمة على صلاحه و كان مضرب مثل في الصلاح و التقوى حتى أن بعض العلماء قال: لو أن أحدا قال إن الإمام أحمد هو من أهل الجنة لم يحث و لم يتألى على الله تعالى، و دليلهم على ذلك إجماع أهل العراق و الشام و غيرهم على هذا الأمر و الإجماع حجة. تنبيه: إجماع الأمة على هذا الأمر إنما كان بعد مماته.

### منهجه العلمي و مميزات فقهه:

منهجه العلمي و مميزات فقهه: اشتهر الإمام أنه محدث أكثر من أن يشتهر أنه فقيه مع أنه كان إماما في كليهما. و من شدة ورعه ما كان يأخذ من القياس إلا الواضح و عند الضرورة فقط و ذلك لأنه كان محدث عصره و قد جمع له من الأحاديث ما لم يجتمع لغيره، فقد كتب مسنده من أصل سبعمائة و خمسين ألف حديث، و كان لا يكتب إلا القرآن و الحديث من هنا عرف فقه الإمام أحمد بأنه الفقه بالمأثور، فكان لا يفتي في مسألة إلا إن وجد لها من أفتى بها من قبل صحابيا كان أو تابعيا أو إماما. و إذا وجد للصحابة قولين أو أكثر، اختار واحدا من هذه الأقوال و قد لا يترجح عنده قول صحابي على الآخر فيكون للإمام أحمد في هذه المسألة قولين.

الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٨٣ و هكذا فقد تميز فقهه أنه في العبادات لا يخرج عن الأثر قيد شعرة، فليس من المعقول عنده أن يعبد أحد ربه بالقياس أو بالرأى و كان رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم يقول: "صلوا كما رأيتموني أصلي،" و يقول في الحج: "خذوا عني مناسككم." كان الإمام أحمد شديد الورع فيما يتعلق بالعبادات التي يعتبرها حق لله على عباده و هذا الحق لا يجوز مطلقاً أن يتساهل أو يتهاون فيه. أما في المعاملات فيتميز فقهه بالسهولة و المرونة و الصلاح لكل بيئته و عصره، فقد تمسك أحمد بنصوص الشرع التي غلب عليها التيسير لا التعسير. مثال ذلك: "الأصل في العقود عنده الإباحة ما لم يعارضها نص،" بينما عند بعض الأئمة الأصل في العقود الحظر ما لم يرد على إباحتها نص... و كان شديد الورع في الفتاوى و كان ينهى تلامذته أن يكتبوا عنه الأحاديث فإذا رأى أحداً يكتب عنه الفتاوى، نهاه و قال له: "لعلني أطلع فيما بعد على ما لم أطلع عليه من المعلوم فأغير فتاوى فأين أجدرك لأخبرك؟... و لما علم الله تعالى صدق نيته و قصده قيض له تلامذة من بعده يكتبون فتاويه و قد كتبوا عنه أكثر من ستين ألف مسألة. و لقد أخذ بمبدأ الاستصحاب كما أخذ بالأحاديث المرسله.

### رفضه للفتوى في أول حياته:

رفضه للفتوى في أول حياته: مع انتشار علمه في الآفاق، لم يفت و قد أصرَّ الناس عليه بالفتوى فلم يفت إلا بعد أن بلغ الأربعين من عمره و ذلك لأسباب: ١- تقليد النبي صَلَّى الله عليه و سلم و هو في هذا كعبد الله بن عمر رضى الله عنهما. ٢- كان يعتبر الفقه أو مجلس الفتيا مجلس الوراثة النبوية. ٣- كيف يفتي و الشافعي شيخه و إمامه و هو لا يزال على قيد الحياة.

### شدة حرصه و أسلوبه في التدريس:

شدة حرصه و أسلوبه في التدريس: و مع أنه أوتي حافظه لم يؤتها أحد في عصره إلا نادراً، كان يحمل كتبه أي كتب الحديث و يأتي بها إلى المجلس و يوصي تلامذته أن لا يحدثوا إلا من كتاب. و كان إذا جلس في الدرس يسود مجلسه الوقار و السكينة كأنما على رءوسهم الطير، و كانت هذه السكينة تظلل مجالسه كلها إلى جانب تواضعه العظيم. و أي مجلس جلس فيه الإمام أحمد سواء كان معلماً أو متعلماً سادته السكينة و الوقار، كان هذا الطبع منه يهيمن على الشيوخ الذين كان يأخذ عنهم، و ذلك بسبب احترامه و تقديره و الشخصية العظيمة التي كان يتمتع بها. يروى عن أستاذه يزيد بن الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٨٤ هارون أنه مدح بمناسبة ما فتنحج أحمد، فوضع يزيد يده على جبينه و قال: أ لا أخبرتوني أن أحداً هنا. و كان كثير التواضع هيناً طرياً و لكن كان الواحد إذا نظر إليه تذكر الله تعالى. لقد ألبسه الله عز و جل ملابس هيئته فقام مستعزاً بعزة الله تعالى. و كان بعيداً جداً عن الخوض في الفلسفة و ذلك أن الفلسفة في عصره كانت في بدايتها، ثم طبق العلماء قاعدة: خذ الحكمة و لا تبالي من أي وعاء خرجت. و كان الإمام أحمد يعيش بعيداً عن أمور الفلسفة و شغل نفسه بالأحاديث و آثار الصحابة، حتى أن من ترجم له قال: إن الإمام أحمد من طبقة الصحابة معنوية و إن جاء متأخراً إلا أنه في طبعه و سلوكه و عقيدته و حياته العامة أشبه ما يكون بالصحابة. و قال بعض العلماء لو كان الإمام أحمد في عصر بني إسرائيل لاحتمل أن يكون نبياً!! سئل الشافعي عن يصلح للقضاء فأشار إلى أحمد الذي قال: "أنا أجلس في مجلسك لكي يزيد في العلم زهداً في الدنيا و أنت تطلبني للقضاء.!!!" و لقد كان عاملاً بأحاديث رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم و هو الذي يروى: كل معروف صدقه و من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق... فطبق هذا الحديث على نفسه، فكان لا يلقى الناس إلا مبتسماً و يقدمهم عليه إذا مشوا في الطريق أو دخلوا مكاناً أو اصطفوا لصلاة الجماعة. و كان إذا قرأ القرآن أو صلى و دخل عليه أحد سكت على الفور و إذا خرج من عنده عاد لصلاته و قراءته و ذلك خشية الرياء. و كان مستجاب الدعوة. و من الجدير بالذكر أن الشافعي

قبل وفاته كان قد أرسل برسالة مع الربيع إلى الإمام أحمد قبل وفاته جاء فيها: لقد رأيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المنام في الرؤيا وقال لي أبلغ أحمد بن حنبل عنى السلام وقل له إنه مدعو إلى محنة وفتنة سيدعى فيها إلى القول بخلق القرآن وسيثبت على الحق وإن الله تعالى سيرفع له علما بذلك إلى قيام الساعة. وأعطى الإمام أحمد قميصه الذى يلى جسده للربيع على هذه البشرى فقال له الشافعى: لن أطلبك بالقميص (رحمة به و لعلمه أن الربيع لا يؤثر على بركة قميص الإمام أحمد أحدا) ولكن بله بالماء ثم أعطنى الماء حتى أتبرك به.

### محنته العظيمة:

محنته العظيمة: عاش الإمام أحمد فى عصر المأمون ثم المعتصم ثم الواثق ثم المتوكل. فى هذه العصور، كانت صولة المعتزلة و جولتهم فى أعلى ذروتها لا سيما فى عصر المأمون. و كان المأمون تلميذا لأبى هذيل العلاف من رؤساء المعتزلة، فافتتن بالفلسفة الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٨٥ اليونانية. و استغل هذه الصلة أحمد بن أبى ذؤاد المعتزلى المتعصب و راح يكلم المأمون و يتودد إليه حتى عينه وزيرا خاصا له و مستشارا. الإمام أحمد كما سبق و ذكرنا، كان بعيدا عن الفلسفة و عن الاعتزال و فى هذه الأثناء قال المعتزلة بخلق القرآن أى أن القرآن حادث مخلوق و ليس كلام الله الأزلى القديم و تبنى المأمون هذا القول. و فى عام ٢١٨ هـ أرسل كتابا إلى نائبه فى بغداد و هو إسحاق بن إبراهيم يوضح فيه هذا القول مدعوما بالحجة العلمية المفصلة على زعمهم. و الواضح أن هذا لم يكن من كلام المأمون و لكن من كلام وزيره خاصة و المعتزلة عامة. و أمر المأمون إسحاق أن يجمع كل العلماء و يقتنعهم بأن القرآن مخلوق و أمره أن يقطع رزق و جراية كل من لم يقتنع بهذا. امتثل إسحاق بادئ ذى بدء لهذا الأمر فجمع كل العلماء من أهل السنة و هددهم بقطع أرزاقهم و منع الجراية عنهم إن هم لم يقتنعوا، و أرسل إلى المأمون بأجوبة هؤلاء التى تتضمن رفض هذا القول. فأرسل المأمون ثانية أمرا بقطع أرزاق من لم يقتنع و إرساله إليه مقيدا بالأغلال تحت تهديد القتل. و كان الإمام أحمد من بين الثلاثة التى رفضت أن تقتنع و لم تتراجع، فقيّدوا جميعا بالأغلال و ذهب بهم إلى طرسوس. و فى الطريق تراجع البعض خوفا و مات البعض الآخر و لم يبق إلا أحمد الذى جاءه خادم المأمون و قال له: إن المأمون أقسم على قتلك إن لم تجبه. و لكن أحمد رفض التراجع عن الحق و بينما هو فى الطريق لا يفصله عن المأمون إلا ساعات من السير، إذ جثى على ركبتيه و رمق بطرفه إلى السماء و دعا بهذه الكلمات: سيدى غرّ حلمك هذا الفاجر حتى تجرّأ على أوليائك بالضرب و القتل، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق فألقنا مؤنته. توفى المأمون قبل أن يصل أحمد إلى طرسوس فأعيد الإمام أحمد و أودع السجن ريثما تستقر الأمور. و جاء بعد ذلك المعتصم و لكن المأمون كان قبيل موته قد أوصى أخاه أن يقرب ابن أبى ذؤاد المعتزلى منه. لذلك لما استقر الأمر للمعتصم استدعى الإمام أحمد و هو مثقل بالحديد و كان عنده ثلثه من المعتزلة على رأسهم ابن أبى ذؤاد الذى كان يضم كيدا شديدا لأحمد، و سأله: ما تقول فى خلق القرآن؟ قال: أقول إنه كلام الله. قال: أقدم أم حادث؟ قال: ما تقول فى علم الله؟ فسكت أبو ذؤاد. قال أحمد: القرآن من علم الله و من قال إن علم الله حادث فقد كفر! و طلب المعتصم أن يناقشوه و كاد أن يقتنع بقول أحمد و لكن قال له المعتزلة و ابن أبى ذؤاد إنه لصال مبتدع. عرض المعتصم على الإمام أحمد أن يرجع عما يقول مغريا الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٨٦ إياه بالمال و العطايا و لكن الإمام أحمد قال له: أرنى شيئا من كتاب الله أتمد عليه (أى أعطنى دليلا على ما تزعم من كتاب الله تعالى). و حذر المعتزلة المعتصم إن هو أطلق سراحه أن يقال إن هذا الرجل تغلب على خليفتين اثنتين فسيق أحمد إلى الضرب و التعذيب. و كان يضرب ضربا مبرحا حتى يغشى عليه ثم يأتون به فى اليوم المقبل. و برغم ذلك أقبل أحمد على الناس فى السجن يعلمهم و يهدىهم. أمر ابن أبى ذؤاد بنقله إلى سجن خاص حيث ضاعفوا له القيود و الأغلال و أقاموا عليه سجانين غلاظ شداد، و كم سالت دماؤه الزكية و كم أهين و هو رغم هذا كله يرفض أن يدعن لغير قول الحق و لو كلفه ذلك حياته. و بعد مرور عامين و نصف

على هذه المعاناة وهذه المحنة، أوشكت الثورة أن تشتعل في بغداد نعمة على الخليفة المعتصم و ابن أبي ذؤاد، فقد وقف الفقهاء على باب المعتصم يصرخون: أ يضرب سيدنا! أ يضرب سيدنا! أ يضرب سيدنا! فلم يجد المعتصم بدا من إطلاق سراحه و أعيد إلى بيته يعالج جراحه. و لما سئل عن المعتصم دعا له بالرحمة و أن يعفو الله تعالى عنه و قال إنه يستحي أن يأتي يوم القيامة و له حق على أحد!. ثم تولى الواثق الحكم و حاول ابن أبي ذؤاد إقناعه بموضوع خلق القرآن و لكن خشى الفتنة. أما المتوكل فكان من أهل السنة و حاول أن يكرم الإمام أحمد و أن يصله و لكنه رفض شاكرا و لقد ندم المعتصم على ما وقع منه و كان يرسل كل يوم من يطمئن على حاله، بينما ابتلى ابن أبي ذؤاد بالفالج الذي أقعده أربع سنوات و استرد منه المتوكل كل أمواله التي تعد بالملايين. و كان الإمام أحمد يصلي من الليل قبل ضربه ٣٠٠ ركعة و بعد مرضه الشديد صار يصلي ١٥٠ ركعة.

### موقفه من الحكم و الدولة:

موقفه من الحكم و الدولة: كان بإمكان الإمام أحمد أن يفتي الناس بكفر الخليفة أثناء حكم المأمون أو المعتصم و كيف يفعل ذلك و هو يراقب الله تعالى في كل لحظة، فكان يقول أنه لا يجوز الخروج على إمام المسلمين برا كان أو فاجرا ما دام مسلما و هذا هو قول الجمهور و باقى الأئمة.

### مسند الإمام أحمد:

مسند الإمام أحمد: بدأ بجمع مسنده منذ أن كان عمره ستة عشر سنة، فسجل الأحاديث بأسانيدها، فى أوراق منثورة و ظل على هذه الحال إلى أن قارب الوفاة. و لما شعر بدنو أجله بدأ يجمعها و يحذف منها ... و أملى هذه الأحاديث كلها على أولاده و أهل بيته و أنبأهم بالعمل الذى قام به و لعله أوصى ابنه عبد الله أن ينهض بجمع هذه الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٨٧ الأحاديث و تنسيقها من بعده فجمعها عبد الله بطريق السند و هذا الأسلوب يعتبر صعبا جدا و هو أن يرتب الأحاديث حسب درجة روايتها من الصحابة فيبدأ بالأحاديث المروية عن أبى بكر ثم عن عمر ثم هكذا. و كانت طريقة الإمام أحمد فى انتقاء الأحاديث أنها إن كانت تتعلق بأحكام أو عقيدة كان لا بد من اشتراط الصحة فيها، أما إن كانت تتعلق بفضائل الأعمال و لها ما يؤيدها من الكتاب أو السنة الصحيحة فلا بأس أن تكون ضعيفة. و إن كان الحديث يعارضه نص آخر أقوى منه لا يمكن الجمع بينهما، حذف الأضعف. مثلا نجد اسم عبد الله بن لهيعة فى المسند مع أن الحفاظ ضعفوه لا لأنه اتهم بالكذب و لكن الرجل كان عنده كتب و مخطوطات كثيرة كان يروى عنها ثم تلفت، فلما تلفت أخذ يرويها من الذاكرة و كثيرا ما كان يخطئ و رواة الحديث كانوا متشددين و مدققين و محتاطين جدا فى هذا الأمر. جزم ابن تيمية و ابن القيم أنه ليس فى المسند حديث موضوع، و قال البعض فيه أربعة أحاديث موضوعة و لكنها ليست من أحمد. و الأحاديث الضعيفة التى فى المسند لا تتعلق بالأحكام و هى ليست شديدة الضعف. و لقد طاف أحمد بن حنبل الدنيا مرتين حتى جمع مسنده. من أقواله: له أقوال جليئة منها: إذا أردت أن يدوم لك الله كما تحب فكن كما يحب. قصة ثوب أحمد بن حنبل: وقعت حريق فى بيت صالح بن أحمد بن حنبل و كان قد تزوج بامرأة ثرية، فلما علم بأمر الحريق راح يبكى لا على شىء و لكن على ثوب أبيه الذى كان يتبرك به، و لما دخل إلى بيته، وجد الثوب على السرير و قد أكلت النار ما حوله و بقى سالما. و هناك مذاهب فقهية عديدة أخرى لا يتسع المجال لتفصيلها، كالزبدي للإمام زيد بن على زين العابدين بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم الرضوان و السلام جميعا، و الجعفرية للإمام جعفر الصادق رضى الله عنه، و الظاهرية لابن حزم الأندلسى .. و هناك أيضا مذاهب أخرى قسم منها دثر أو قل أتباعه كمذهب الأوزاعى و الثورى و عطاء بن أبى رباح و إبراهيم النخعى و عبد الله بن المبارك و غيرهم

الكثير .. فقد الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٨٨ ذكر الأستاذ الدكتور عبد الحميد حمد العبيدي أنه أشرف على بحوث دراسات عليا ماجستير و دكتوراه عديدة بكلية الشريعة بجامعة بغداد في تفصيل المذاهب الفقهية فوجدوا أنها بالعشرات .. و قد قسم هذه المذاهب الفقهية إلى عدة أقسام: ١- من العلماء من كان له مذهب فقهي و كان له طلاب علم و أتباع، فدونوا علمه فوصلنا كما هو الحال في المذاهب الأربعة لأهل السنة مع المذهبيين الشيعيين الزيديه و الجعفرية. ٢- منهم من كان له مذهب فقهي كبير الشأن و اتبعه كثير من الناس فدونه أتباعه و لكنه دثر كما هو حال كثير من المذاهب كمذهب الأوزاعي و الثوري و عطاء بن أبي رباح و إبراهيم النخعي و عبد الله بن المبارك و غيرهم الكثير، فضعف أتباعها و انتهت و لم تعد متبعة. ٣- منهم من كان له أتباع و لكنهم بقي منهم القليل كما هو حال المذهب الظاهري لابن حزم الأندلسي، و كذلك الأشاعرة و الإباضية. ٤- و منهم من كان له مذهب و لكن لم يدون و لم يكن له طلاب يدونون علمه. و غير ذلك من التصانيف مما لا يتسع المجال لذكره، و ما ذلك إلا لسعة أفق هذا الدين ليشمل كل الأجناس و يستوعب كل الحضارات و على مر العصور، إذ معلوم أن الخلاف في المذهب الفقهي عن الآخر متأت من خلاف على تفسير آية أو مجموعة أحاديث، أو خلاف على إجماع أو قياس و كما فصلنا في بداية الملحق هذا .. هذا الخلاف إنما هو خلاف في الفروع و ليس في أصول الدين كما حصل في فرق الأديان السابقة التي اختلفت في الأصول فذمها الله تعالى في القرآن الكريم في آيات عديدة منها قوله تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه و سلم إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩)، (الأنعام: ١٥٩) .. لذلك فهذا الخلاف مقبول عند الله تعالى فلا يصل إلى مرحلة الاختلاف (١) التي ذمها الله تعالى في كتابه الكريم و حذر منها المصطفى صلى الله عليه و سلم. و كل هذه المذاهب كان

(١) راجع كتابنا (القوانين القرآنية للحضارات- النسخة المفصلة) فستجد تفاصيل عن الفرق بين الخلاف و الاختلاف. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٨٩ أصحابها علماء أجلاء أوصلوا الدين للأمة و كانوا يحترمون رأى بعضهم البعض و لا يتجرأ أحدهم على الآخر بالقدح أو الذم أو الاستهزاء كما يفعل بعض علمائنا اليوم و مع الأسف، بل على العكس كانوا و كما رأينا في بعض زوايا هذا الملحق متأخين متحابين كل ما يروجوه هو إيصال العلم الحق من منبعه الصافي من رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الناس كي لا يضيع الدين، فاجتهدوا لذلك فجزاهم الله تعالى عن دينه و كتابه و رسوله صلى الله عليه و سلم ألف خير. على أن هناك اتجاهات مدمرة لأصل العقيدة و الشريعة و مناف لإجماع الأمة، من هذه الاتجاهات: من كان له مذهب نحى به منحى غير مقبول من الأغلبية، فأدى في زمانه إلى صراع فكري لإثبات بطلانها أخذ زمنا ليس بالقصير كالمعتزلة و الزنادقة و غيرها. منهم من اتخذ اتجاهات شاذة متطرفة و مغالية كالخوارج، و منهم من وصل به التطرف لحد الكفر و الإلحاد كالعلى إلهية و القدرية و الباطنية و البائية و البهائية و غيرهم. أما ما حصل من تحول في مسار المذاهب بعد إقحام بعضها في الصراعات السياسية، أو تحول بعضها إلى الاتجاه السياسي المحض فقد أدى بالأمة إلى الانشقاق إلى فرقتين رئيسيتين استغلها أعداء الأمة على مر العصور لإثارة النزعات و التفرقة و الاقتتال فيما بينها لخدمة مصالح الأعداء .. و هذا ما يفرح شياطين الإنس و الجن عند ما ترى أمة الحبيب صلى الله عليه و سلم و هي تفترق و تتناحر، و هو ما لا يرضاه الله تعالى لهذه الأمة المرحومة، و هو أيضا ما يحزن الحبيب صلى الله عليه و سلم و آله الأطهار و صحابته الأخيار الذين رووا بدمائهم الزكية الطاهرة أرض الله الواسعة لنشر من أجل أن تكون كلمة الله هي العليا و كلمة الذين كفروا السفلى، فنسأل الله تعالى أن يحقن دماء المسلمين و يعيدهم إلى وحدتهم و دينهم و كتابهم و سنة رسولهم صلى الله عليه و سلم و طريق عظماء هذه الأمة من الآل و الأصحاب و التابعين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. و الحمد لله رب العالمين ... الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٩٠

## أعمال للمؤلف

أعمال للمؤلف ١. كتاب (المنظار الهندسي للقرآن الكريم)، دار المسيرة، عمان- الأردن، ط / ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. ٢. كتاب (المنظار

الهندسى للقرآن الكريم)، دار المسيرة، عمان-الأردن، ط/ ٢، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م. ٣. كتاب (أنت و الأنترنت- جلّ ما تحتاجه من خدمات الشبكة العالمية-)، دار الرشد، ط/ ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م. ٤. كتاب (القرآن منهل العلوم)، طبع الجامعة الإسلامية، بغداد، ط/ ١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م. ٥. كراس (مواصفات الفحوص المختبرية لأعمال الهندسة المدنية)، مع مجموعة من المختصين، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م. ٦. كتاب (القوانين القرآنية للحضارات- النسخة المختصرة، ١٢٥ صفحة من القطع الصغير-)، طبع ببغداد عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م. ٧. سلسلة كتب (ومضات إعجازية من القرآن و السنة النبوية- ١٥ جزء-)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. أ. التاريخ و الآثار. ب. المادة و الطاقة. ت. الفلك. ث. الأرض. ج. الرياح و السحب. ح. المياه و البحار. خ. النبات و الإنبات. د. الحيوانات و الحشرات. ذ. الطب. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٩١ ر. الصيدلة و الأمراض. ز. الوراثة و الاستنساخ. س. الجملة العصبية و الطب النفسى. ش. الأحكام و الباراسايكولوجى. ص. الإقتصاد و الاجتماع. ض. آخر الزمان. ٨. كتاب (القوانين القرآنية للحضارات- النسخة المفصلة، ٣٦٥ صفحة من القطع الكبير)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان .. ٩. كتاب (تفصيل النحاس و الحديد فى الكتاب المجيد)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان. ١٠. عدة بحوث فى مجال الهندسة المدنية منشورة فى مجلات و مؤتمرات هندسية مرموقة داخل العراق و خارجه. ١١. عدة بحوث و مقالات فى مجال الإعجاز القرآنى منشورة فى صحف و مجلات و مؤتمرات مرموقة داخل العراق. ١٢. عدة أعمال مرئية تلفازية و حاسوبية فى محطات محلية و أخرى فضائية عربية.

### مشاريع كتب للمؤلف

مشاريع كتب للمؤلف ١. كتاب (استنباط الحلول من أسباب النزول)، قيد التأليف. ٢. كتاب جامعى عن المواد الهندسية، قيد التأليف. ٣. تصاميم شبكات الخدمات المائية و الصحية، قيد الإعداد. الإقتصاد و الإجتماع، ص: ١٩٢

### فهرس المحتويات

فهرس المحتويات مقدمة ٣ الفصل الأول: نظرة عامة ٩ الفصل الثانى: الإقتصاد فى الإسلام ١٦ الفصل الثالث: النظام الاجتماعى الإسلامى ٢٥ الفصل الرابع: بعض دلائل الرقى فى السلوك الاجتماعى فى الإسلام ٦٥ الملحق: تاريخ التشريع الإسلامى ٨٥ فهرس المحتويات ١٩٢

### تعريف المركز القومية باصفهان للتمريات الكمبيوترية

جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فى سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١). قَالَ الإمامُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرُّضَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فى تلخيص بحار الأنوار، للعلامة فىض الاسلام، ص ١٥٩؛ عيون أخبار الرضا(ع)، الشيخ الصدوق، الباب ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧). مؤسس مُجْتَمَع "القائمية" الثقافى بأصبهان - إيران: الشهيد آية الله "الشمس آبادى" - "رحمة الله" - كان أحدًا من جهابذة هذه المدينة، الذى قد اشتهر بشعفه بأهل بيت النبى (صلوات الله عليهم) و لاسيما بحضرة الإمام على بن موسى الرضا (عليه السلام) و بساحة صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ و لهذا أسس مع نظره و درايته، فى سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفئ مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم. مركز "القائمية" للتحرى الحاسوبى - بأصبهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه... الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما،



تعزيز دوافع الشَّبَاب و عموم الناس إلى التَّحَرِّي الأَدَقِّ للمسائل الدِّيَنِيَّةِ، تخليف المطالب النَّافِعَةُ - مكانَ البَلاتِيثِ المبتدلة أو الرَّدِيئَةُ - في المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيداً أرضِيَّةِ واسعةٍ جامعَةٍ ثقافيَّةِ على أساس معارف القرآن و أهل البيت - عليهم السَّلَام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطَّلَّابِ، توسعة ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هُوَاهُ برامج العلوم الإسلاميَّة، إنالهُ منابع اللزامة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة في الجامعه، و ... - منها العَدَالَةُ الاجتماعيَّة: التي يُمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعدهً، على أَنَّهُ يُمكن تسريع إبراز المَرافِقِ و التسهيلات - في آكناف البلد - و نشر الثقافه الاسلاميَّة و الإيرانيَّة - في أنحاء العالم - مِن جِهَةٍ أُخْرَى. - من الأنشطة الواسعه للمركز: الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريَّة، مع إقامة مسابقات القراءه ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيقيَّة و مكتبيَّة، قابله للتشغيل في الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المعارض ثَلَاثِيَّة الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرُّسوم المتحرَّكه و... الأماكن الدينيَّة، السياحيَّة و... د) إبداع الموقع الانترنتي " القائميَّة www.Ghaemiyeh.com و عدده مَوَاقِع أُخْرَه) إنتاج المُنتجات العرضيَّة، الخطابات و... للعرض في القنوات القمرية و) الإطلاق و الدِّعْم العلمي لنظام إجابة الأسئلة الشرعيَّة، الاخلاقيَّة و الاعتقاديَّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤ ز) ترسيم النظام التلقائي و اليدوي للبلوتوث، ويب كشك، و الرسائل القصيره SMS ح) التعاون الفخري مع عشرات مراكز طبيعيَّة و اعتباريَّة، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميَّة، الجوامع، الأماكن الدينيَّة كمسجد جمكران و... ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المُشاركين في الجلسه ي) إقامة دورات تعليميَّة عموميَّة و دورات تربيَّة المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه المكتب الرئيسي: إيران/أصبهان/ شارع "مسجد سيد" " ما بين شارع "بنج رَمضان" و مُفترق " وفائي / بنايه "القائميَّة" تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجريَّة الشمسيَّة (=١٤٢٧ الهجريَّة القمرية) رقم التسجيل: ٢٣٧٣ الهويَّة الوطنيَّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكتروني: Info@ghaemiyeh.com المتجر الانترنتي: www.eslamshop.com الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ - (٠٠٩٨٣١١) الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١) مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١) التجارِيَّة و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩ امور المستخدم ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١) ملاحظه هامه: الميزانيَّة الحاليَّة لهذا المركز، شعبيَّة، تبرعيَّة، غير حكوميَّة، و غير ربحيَّة، اقتنيت باهتمام جمع من الخيَّرين؛ لكنَّها لا تُوافي الحجم المتزايد و المتسرع للامور الدينيَّة و العلميَّة الحاليَّة و مشاريع التوسعه الثقافيَّة؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المُسمى بالقائميَّة) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيَّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجه الشَّريف) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدِّ التَّمكَّن لكلِّ احدٍ منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء اللهُ تعالى؛ و اللهُ وليُّ التوفيق.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
الغمامة اصححان



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**  
www.Ghaemiyeh.net  
www.Ghaemiyeh.org  
www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

